مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة دولية علمية أكاديمية محكمة تعنى بدراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية تصدر عن مركز البحث
وتطوير الموارد البشريةّ –رماح–
عمان
الأردن

المجلد 02 العدد 02

إدارة المجلة

المشرف العام: أ/د خالد الخطيب، عمان –الأردن–

نائب المشرف العام: الدكتور صائب كامل اللالا، جامعة الأميرة نورة، السعودية

مدير المجلة: أ/د فوزي بن دريدي جامعة محمد الشريف مساعدية –سوق اهراس –الجزائر

رئيسة التحرير: د/ نعيمة رحماني جـــــامعة أبي بكر بلقايــد –تلمســـان– الجزائـــر

عنوان المجلة

مركز البحث وتطوير الموارد البشرية (رماح)
عمان –الأردن–
شارع وصفي عمان
الهاتف /الفاكس: 0096265153561
البريد الإلكتروني: inforemaah@gmail.com

10فبراير 2019م

ISBN :978–9957–67–204–1 – ISSN (ISSN–L):2617–9857

مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة دولية علمية أكاديمية محكمة تعنى بدراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية تصدر عن مركز البحث وتطوير الموارد البشريةّ –رماح–

عمان– الأردن–

التصنيف ضمن قواعد البيانات العالمية

مصنفة ضمن قاعدة بيانات أسك زاد ASK ZAd

مقرها بالولايات المتحدة الامريكية، والامارات العربية المتحدة، وجمهورية مصر العربية والمملكة الأردنية الهاشمية

مصنفة ضمن قاعدة بيانات دار المنظومة Dar Almandumah

مقرها بمدينة الرياض، المملكة السعودية.

مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة دولية علمية أكاديمية محكمة تعنى بدراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية تصدر عن مركز البحث وتطوير الموارد البشريةّ –رماح–

عمان– الأردن–

الهيئة العلمية الاستشارية

أ.د/ أحمد أويصال مدير مركز دراسات الشرق الأوسط تركيا

أ.د/ فؤاد الدراويش، جامعة طوليدو، أمريكا أ.د/ لودوفيك زاهد، معهدcalem، فرنسا

أ.د/ هاني العريان، جامعة أليكانتي، اسبانيا أ.د/ حاجي دوران، جامعة جيلشيم، تركيا

أ.د/ خالد الجندي، الجامعة اللبنانية، لبنان أ.د/سعيد المصري، جامعة القاهرة، مصر

أ.د/ فاضل بيات، مركز إرسيكا، **تركيـــــا** أ.د/ **ماغي حسين عبيد، جامعة بعلبك، لبنان**

أ.د/ يوسف قاسمي، جامعة قالمة، الجزائر أ.د/ خليف مصطفى حسن غـــــرايبة، جامعــة البلقـــــاء، الأردن أ.د/ رحيم حلو محمد البهادلي، جامعة البصرة، العراق

أ.د/ ماجد بن عبد العزيز بن ناصر التركي، مركز الاعلام والدراسات العربي– الروسية، الرياض، السعودية

مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة دولية علمية أكاديمية محكمة تعنى بدراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية تصدر عن مركز البحث
وتطوير الموارد البشريةّ –رماح–
عمان– الأردن–

الهيئة العلمية التحكيمية

د/عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد الشقير، جامعة الملك سعود، السعودية
د/اسلام البوريني، جامعة الفلاح، الامارات
د/سوسن عبد اللطيف، الجامعة الامريكية، مصر
د/أفاق أحمد، جامعة عليكره الإسلامية، الهند
د/احمد محمد احمد سلامة، جامعة سامراء، العراق
د/علي سيف سعود اليعربي، جامعة البلقاء الاطنة سلطنة، عمان
د/سليمان موصلي، الجامعة العربية الدولية، سوريا
د/دعاء عبد الرحمن محمد مصطفى، جامعة حائل، السعودية
د/ مولاي عمر صوصي، جامعة القرويين، المغرب
د/حمادة عبد الرزاق علي حمادة، جامعة القصيم، السعودية
د/عبد الرزاق محمود إبراهيم جامعة دهوك العراق
د/ أحمد عبد الله محمد آدم، جامعة الجزيرة، السودان
د/سميرة الوهازي جامعة جندوبة تونس
د/رضا سلاطنية، جامعة سوق اهراس، الجزائر
د/أروى الجعبري، الجامعة الأردنية، الاردن

د/عبد السلام أحمد الدار، جامعة تعز، اليمن

د/ خالد بن محمد بن احمد السعدي، جامعة الباطنة سلطنة، عمان

د/علي سعيد المهنكر جامعة ليبيا

د/ولد الزين ولد الامام، جامعة نواكشط، موريتانيا

د/ خليل عبد الله علي حسن، جامعة غرب كردفان، السودان

د/جهاد علي فلاح السعايدة، جامعة البلقاء التطبيقية، الأردن

د/ محمود الدريني، جامعة الازهر، مصر

د/ إلكير كالان، جامعة أنقرة تركيا

د/محمد خالد الرهاوي، جامعة باشاك شهير، تركيا

شروط النّشر في المجلّة

1- تنشر مجلّة دراسات في العلوم الإنسانيّة والعلوم الاجتماعيّة الأبحاث الأصيلة ذات المنهجيّة العلميّة الرصّينة والتي تلتزم بالموضوعيّة، وتتوافر فيها الدّقة والجديّة.

2- كلّ بحث لا يحترم شروط النّشر لا يؤخذ بعين الاعتبار.

3- تخضع كلّ الأبحاث إلى التّحكيم من قبل هيئة مختصّة، ويلقى البحث القبول النّهائي بعد أن يقوم الباحث بالتّعديلات المقترحة.

4- للمجلّة كلّ الحق في أن تطلب من الباحث أن يحذف أو يعيد صياغة بحثه، أو أي جزء منه بما يتناسب مع طبيعة المجلّة.

5- لا يجب أن يكون البحث قد سبق نشره أو كان جزءا من كتاب منشور.

6- يتعهّد الباحث بعدم تقديم البحث للنشّر في جهة أخرى، بعد إقرار نشره في مجلّة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، إلاّ بعد الحصول على إذن كتابيّ بذلك من مدير المجلّة.

7- لا تتجاوز صفحات البحث المقدّم 15 صفحة.

8- على الباحث احترام شروط الكتابة التّالية:

*تحتوي الصّفحة الأولى من البحث على؛ عنوان البحث، الاسم الكامل للباحث ودرجته العلمية، والجامعة التي ينتمي اليها باللّغة العربيّة واللّغة الانجليزيّة، البريد الالكتروني للباحث، ملخّص للدّراسة في حدود 150 كلمة حجم 12 بلغة المقال وبلغة أجنبيّة (الإنجليزية)، الكلمات المفتاحيّة بعد الملخّص.

*تقدّم الأبحاث مكتوبة ببرنامج Word بخط Traditionnel Arabic حجم 14، تكتب العناوين الرئيسيّة والفرعيّة للفقرات بحجم 14 مثلها مثل النصّ الرئيسيّ لكن مع تضخيم الخط. أما الأبحاث المكتوبة باللّغة اللاتينيّة فتكتب بخط Time new Roman، بحجم 12 وتكون الحواشي 4 سم على جوانب الصّفحة الأربعة، كما تدرج

الرّسوم البيانيّة والأشكال التوضيحيّة في المقال، وتكتب عناوينها والملاحظات التوضيحيّة أسفلها، أما الجداول ترقم ترقيماً متسلسلاً وتكتب عناوينها أعلاها والملاحظات التوضيحيّة أسفلها.

*يلتزم الباحث بتهميش المعلومات على طريقة **American APA Psychological Association**

*بالنّسبة لعلامات الترقيم، توضع النّقطة (.) بعد الكلمة مباشرة دون وجود فراغ بينهما، ويوضع فراغ واحد بين النّقطة وبداية الجملة التّالية. كما لا توضع النّقطة (.) أبدا في العناوين، أمّا إذا كان العنوان يضمّ عنوانين أحدهما فرعيّ والآخر رئيسيّ فيفصل بينهما بنقطتين.

*يجب إدراك الفرق بين الفاصلة بالعربية (،) والفاصلة بالأجنبية(,) واستغلالهما في الكتابة المناسبة، كما تكتب الفاصلة بعد الكلمة مباشرة ولا يوجد فراغ بينهما.

*تكتب واو العطف ملتصقة بالكلمة التي تليها ولا يترك فراغ بينهما.

*عدم تزيين النصّ بالألوان والخطوط العريضة وتكبير الحجم، يجب احترام الشروط المعروضة سابقا.

* ضبط اتّجاه النصّ بالعربيّة من اليمين الى اليسار، والنصّ بالأجنبيّة من اليسار الى اليمين، وضبط اتجاه الجمل في النّصوص إذا كانت باللّغة العربيّة او بالأجنبيّة.

* عدم الإكثار من الفقرات وجمعها في نصّ سياقي واحد، واللّجوء الى الفقرات عند الضرورة النصية.

9- الأفكار والآراء التي يتضمّنها البحث لا تعبّر عن رأي المجلّة وإنما هي وجهة نظر أصحابها. كما أنّ هيئة تحرير المجلّة غير مسؤولة عن أيّ سرقة علميّة تتم في البحوث المقدّمة لها.

10- يرفق صاحب البحث تعريفا مختصرا بنفسه ونشاطه العلميّ والثقافيّ.

11- ترسل الأبحاث الى ايميل المجلة**inforemaah@gmail.com**

مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية

مجلة دولية علمية أكاديمية محكمة تعنى بدراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية تصدر عن مركز البحث
وتطوير الموارد البشريةّ –رماح–
عمان– الأردن–

الفهرس

كلمة مدير المجلة	ص10
مدى ممارسة جامعة حائل للاقتصاد المعرفي وتطلعاته المستقبلية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس الأستاذ الدكتور خالد محمد عبد الفتاح أبو شعيرة	ص11
أساليب تنمية الطفل الموهوب داخل الأسرة الدكتورة فوزية محمدي	ص40
شعرية النص الجامع الدكتور كمال بن عطية	ص54
الحجاج واستراتيجيات التأويل؛ مقاربة مفهومية في ضوء البلاغة الجديدة ونظريات القراءة الدكتور محمد قراش	ص66
المسرح الشعبي ودوره في إنتاج الوعي الثوري الدكتور بن معمر بوخضرة	ص89

بكاء المدن في الشعر الجزائري القديم الدكتور محمد بوعلاوي	ص102
المباحث الدلالية في تفسير (أضواء البيان) لمحمد الأمين الشنقيطي الدكتور جلول دواجي عبد القادر	ص118
التوافق النفسي الاجتماعي للطفل العامل –دراسة ميدانية– الدكتورة لموشي حياة	ص169
الرواية السلطانيةّ في تاريخ تونس، أو حينما يسّوغ المؤرخ لسياسات الحكام. (الإتحاف نموذجا) الدكتور عبدالقادر سوداني	ص190
الفكر السياسي عند أبي حمو موسى الثاني من خلال كتابه– واسطة السلوك في سياسة الملوك– (دراسة مقارنة بين النظرية والتطبيق). طالب دكتوراه ولد العربي بلال. الدكتور قدور وهراني	ص209

كلمة مدير المجلة

مجلّة دراسات في العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة مجلّة دوليّة علميّة أكاديميّة محكّمة وفصليّة متخصّصة، تصدر عن مركز البحث وتطوير الموارد البشريةّ –رماح– بالأردن، تعنى بنشر الأبحاث ذات الصّلة بالعلوم الإنسانيّة والعلوم الاجتماعيّة.

تسعى المجلة إلى خلق فضاء معرفيّ يتيح الفرصة للباحثين أساتذة وطلبة من أجل المساهمة في تطوير المعرفة في خلال عرض اسهاماتهم النظريّة والميدانيّة التي تعبّر عن آرائهم العلميّة من داخل الأردن ومن خارجها. والتي تتّسم بالجودة العلميّة مع احترام أصول البحث العلمي وسلامة المنهجيّة المتعارف عليها عالميّا، ومن ثمّ فهرسة المجلة في القواعد الدوليّة.

تصدر مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعيّة باللغات العربية والفرنسية والانجليزية والاسبانية والتركية، وتنشر الأعمال الفردية أو المشتركة، وكذلك الأعمال المنجزة في إطار المشاريع البحثية، والمؤتمرات والندوات الدولية والوطنية. كما تنشر الدراسات المتخصصة، والدراسات المعرفية لمختلف العلوم الأخرى بما تقتضيه الضرورة في قسمين؛ قسم للدراسات العربية وقسم للدراسات الأجنبية. ويتم الاشراف عليها من قبل الهيئة العلمية الاستشارية والهيئة العلمية التحكيمية.

مدير المجلة

مدى ممارسة جامعة حائل للاقتصاد المعرفي وتطلعاته المستقبلية

من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس

الأستاذ الدكتور خالد محمد عبد الفتاح أبو شعيرة

جامعة حائل / المملكة العربية السعودية

تاريخ الإيداع: 2019/01/22 م تاريخ التحكيم: 2019/01/25م تاريخ القبول: 2019/01/28م

الملخص:

هدفت الدراسة التعرف على مدى ممارسة جامعة حائل للاقتصاد المعرفي وتطلعاته المستقبلية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس والتعرف فيما إذا كان هناك فروق في وجهة نظرهم تعزى للنوع الاجتماعي والخبرة والكلية، واعتمد في هذه الدراسة المنهج الوصفي؛ ولتحقيق أهداف الدراسة تم إعداد استبانة مكونة من (36) فقرة بعد التحقق من صدقها وثباتها، طبقت على عينة مكونة من (206) اختيروا بطريقة طبقية من أعضاء هيئة التدريس في جامعة حائل، وأظهرت نتائج الدراسة أن درجة ممارسة جامعة حائل للاقتصاد المعرفي وتطلعاته المستقبلية جاءت بدرجة متوسطة، كما أظهرت الدراسة عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات تقديرات أفراد العينة تعزى لمتغيرات الدراسة الثلاث : النوع الاجتماعي والكلية وسنوات الخبرة. الكلمات الدالة :الاقتصاد المعرفي، التطلعات المستقبلية .

The extent of the practice of the University of hail for the knowledge economy and its future aspirations from the viewpoint of faculty members.

Prof. Khaled Mohammed Abd el Fattah Abu Sheirah

University of Hail / Kingdom of Saudi Arabia

Abstract

The study aimed to identify the extent of the practice of the University of hail for the knowledge economy and its future aspirations from the viewpoint of faculty members and to know whether there are differences in their point of view due to gender, experience and college, and adopted in this study the descriptive method; and to achieve the objectives of the study was prepared A questionnaire consisting of (36) paragraphs after verifying their sincerity and persistence, applied to a sample of (206) selected in a stratified manner by faculty members at the University of Hail, and the results of the study showed that the degree of the practice of the University of hail for the cognitive economy and its future aspirations came to a moderate degree, as the study showed no The existence of statistically significant differences between the average estimates of the sample members is due to the three variables of the gender and the college and the years of experience.

Key words: Knowledge economy, Future aspirations

مدى ممارسة جامعة حائل للاقتصاد المعرفي وتطلعاته المستقبلية

من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس

الأستاذ الدكتور خالد محمد عبد الفتاح أبو شعيرة

جامعة حائل / المملكة العربية السعودية

مقدمة الدراسة وخلفيتها:

تحتل الجامعات مكانة مهمة في عملية تطوير المجتمع، فهي تُسهم بما تقدمه من دعم ورعاية علمية متكاملة في تعليم وتخريج طلاب قادرين على دفع عجلة التنمية وازدهارها باعتبار أن الجامعة عنصراً أساسياً في إنتاج المعرفة التي تعد سلعة استراتيجية تعتمد عليها المجتمعات، عن طريق الاستثمار الأمثل في العقول البشرية القادرة على المنافسة من خلال الإنتاج البحثي والإبداع العلمي، كما تسعى الدول على اختلافها لتطوير تلك المنظومة وتعمل على تعزيزها بشتى السُبل والوسائل الممكنة، لإرساء قواعد توجهها نحو الاقتصاد المعرفي، مما يجعل المعرفة لها ثمن كونها أصبحت عنصراً من عناصر الإنتاج، ويتوقع من الجامعات أن تسهم في إنتاج المعرفة ومشاركتها وتطبيقها ونشرها في شتى المجالات.

منذ أكثر من قرنيين والاقتصاد التقليدي يرتكز على عاملين في الإنتاج هما :رأس المال، والعمالة الرخيصة. وكان ينظر إلى المعرفة، والتعليم، ورأس المال الفكري، كعوامل ثانوية، ومع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين وحدوث الثورة المعلوماتية والتكنولوجية التي شهدها العالم وما زالت، اختلفت بعض المعايير؛ حيث أدى ذلك إلى تغييرات عميقة في

الهيكل الاقتصادي انعكست على أداء الاقتصاد ونموه، إذ أصبحت المعلومات والتكنولوجيا هي المفتاح لتشغيل الإنتاج، وباتت المعرفة مورداً أساسياً من الموارد الاقتصادية، في حين تشكل تكنولوجيا المعلومات العامل الأساس في النمو الاقتصادي، وفي ظلّ هذا التطور، ظهر في الآونة الأخيرة مفهوم جديد هو" الاقتصاد المعرفي " الذي شاع استخدامه في العالم بشكل عام والعالم العربي بشكل خاص (العمري ،2013).

لقد أضحى الاقتصاد المعرفي أحد الأدوات المحورية في قياس مدى قدرة الدول على حيازة أسباب التقدم وامتلاك ناصية مقوماته اللازمة لنجاح خططها وبرامجها للتنمية الاقتصادية الشاملة، ومن ثم أصبحت هناك دعوات عامة للإجابة عن جاهزية الدول لمحاكاة متطلبات ترسيخ هذا المفهوم من حيث تجسيد آلية تطبيقه، فالاقتصاد المعرفي يُعنى باستثمار القدرات التكنولوجية والصناعات والوظائف والأعمال الجديدة، وهو ما يتطلب موارد بشرية مؤهلة تتصف بالعديد من المهارات الخاصة؛ كالإبداع والتكيف مع المستجدات. وبالإشارة إلى دور التعليم العالي في تدعيم متطلبات الاقتصاد المعرفي يرى جوروز (Guruz,2011) أن مؤسسات التعليم العالي سوف يكون عليها مزيداً من الإلحاح والمراقبة للتغير في اتجاه توسيع فرص الوصول للتعليم العالي، كما أنه يجب أن ينتج التدريس قوة عاملة ذات توجه استثماري وقدرة على التعلم ومهارات الثقافات والمهارات اللازمة للتكيف مع الطرق ، (Intercultural Skills)المتعددة الجديدة لاستخدام المعرفة وتنظيم العمل لإنتاج البضائع والخدمات عالميًا، كما أنه يجب على البحث العلمي أن ينتج أنشطة تجارية تناسب التحول نحو الاقتصاد المعرفي وقد تعددت مفاهيم الاقتصاد المعرفي نظراً لاختلاف توجهات الباحثين وتفاوت الخلفية العلمية والمعرفية لهم، إذ يرى الزيادات (2014)" أنه اقتصاد يهدف إلى تحسين رفاهية الأفراد والمجتمعات عن طريق دراسة إنتاج وتصميم المعرفة، ثم إجراء التدخلات الضرورية لتطوير النظم، من خلال توليد نماذج نظرية للبحث العلمي، وتطوير

الأدوات العملية والتقنية التي يمكن تطبيقها مباشرة في الواقع، مما يحدث ميل متزايد نحو المعرفة التكنولوجية والعلمية التي تساعد على تحقيق ميزات تنافسية، وتكوين تقنيات حديثة تولد مهارات وسلع وخدمات جديدة."

ويبين الحاج (2014) "أنه اقتصاد موجه صوب إنتاج المعرفة واستخدامها والتوظيف المكثف للتقنية بصورة تجعلها المحرك الأساسي للنمو الاقتصادي وتكوين الثروة، بهدف تحسين نوعية الحياة عن طريق الإفادة من الخدمات المعلوماتية الثرية والتطبيقات التقنية المتطورة، واستخدام العقل البشري بوصفه رأس مال وتوظيف البحث العلمي لإحداث مجموعة من التغييرات الاستراتيجية في طبيعة الاقتصاد وتنظيمه ليصبح أكثر استجابة وانسجاماً مع تحديات العولمة وتقنية المعلومات والاتصالات، وعالمية المعرفة والتنمية المستديمة".وأجرى ديلي(Dailey, 2008) دراسة هدفت إلى الكشف عن تأثيرات التخصص على تطوير قدرات الاقتصاد المعرفي لدى خريجي الكليات الجامعية، فقد تكونت عينة الدراسة من(140000) خريج من الكليات والجامعات في مينيسوتا بأمريكا، وتم استخدام التحليل الهرمي وذلك بالاعتماد على الأدب النظري لتحديد أبعاد الكفاءة والقدرات المطلوبة في الاقتصاد المعرفي وهي القيادة، والاتصال في المجموعات، والحل المعرفي للمشكلات، والتعلم مدى الحياة، وتوصلت الدراسة إلى أن التعلم مدى الحياة هو من أهم الكفاءات المطلوبة لعصر اقتصاد المعرفة، ووجود تأثير إيجابي للعمل لصالح حل المشكلات المعرفية في نجاح الفرد في حقول الإدارة والاقتصاد.

كما هدفت دراسة باندي (pandey,2012) إلى التعرف على مدى توظيف مهارات الاقتصاد المعرفي في المدارس الثانوية لدى عينة تكونت من (217) معلمًا ومعلمة في فرنسا ، اتبعت الدراسة المنهج الوصفي ، وأظهرت الدراسة وجود مستوى متدن لمهارات الاقتصاد المعرفي لدى أفراد العينة ، كما أظهرت وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مستوى تطبيق

مهارات الاقتصاد المعرفي يعزى لمتغير الجنس ولصالح المعلمات ، كما أظهرت الدراسة وجود دور للاقتصاد المعرفي في تحسين مستوى التحصيل الدراسي لدى الطلبة.كما قام رمضان (2015) بدراسة استهدفت التعرف على د رجة توافر مهارات الاقتصاد المعرفي لدى طلاب كلية العلوم الاجتماعية في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس والطلاب أنفسهم ، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي المسحي من خلال تطبيق استبانة على عينة طبقية عشوائية من أعضاء هيئة التدريس بلغت (77) عضواً ومن الطلاب بلغت (299) طالبًا وقد أسفرت نتائج الدراسة أن درجة توافر مهارات الاقتصاد المعرفي لدى الطلاب جاءت بدرجة متوسطة على جميع محاور الاستبانة والدرجة الكلية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، كما أسفرت نتائج الدراسة أيضًا عن وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات أفراد عينة الدراسة تبعاً لمتغيري الدرجة الوظيفية والخبرة لأعضاء هيئة التدريس لصالح الأساتذة المشاركين والأساتذة من ذوي خبرة(5) سنوات فأكثر، ومتغيري المستوى الدراسي للطلاب لصالح طلاب الدراسات العليا، بينما لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة تعزى لمعدل الطلاب.

وقام بوضياف (2016) بدراسة هدفت التعرف إلى درجة تقديرات رؤساء الأقسام في الجامعات الجزائرية لمعوقات تفعيل دور الاقتصاد المعرفي في تطوير أداء الجامعات ، وأثر كل من الجنس ، والخبرة على درجة التقدير واستخدم المنهج الوصفي المسحي؛ ولتحقيق ذلك تم تطوير استبانة لتقيس ذلك ، طبقت على عينة مكونة من (60) رئيس قسم في الجامعات الجزائرية ، وتوصلت الدراسة إلى النتائج التالية :أن تقديرات رؤساء الأقسام لمعوقات تفعيل دور الاقتصاد المعرفي في تطوير أداء الجامعات كانت مرتفعة ، كما بينت عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في درجة تقدير معوقات تفعيل دور الاقتصاد المعرفي في تطوير الأداء تعزى لمتغيري الجنس والخبرة. أما الهزايمة(2016) فقد هدفت دراسته إلى معرفة واقع

ممارسات اقتصاد المعرفة في المدارس الحكومية في محافظة اربد بعد تنفيذ "مشروع التحول نحو الاقتصاد المعرفي "الذي تبنته وزارة التربية والتعليم الأردنية .ولتحقيق هدف البحث تم تطوير استبانة تكونت من(23) فقرة موزعة على أربعة مجالات طبقت على مجتمع البحث والذي تكون من (170) مديراً ومديرة في مديرتي قصبة إربد ولواءي الطيبة والوسطية .وقد أسفر البحث عن مجموعة من النتائج منها :أن واقع ممارسات اقتصاد المعرفة في المدارس الحكومية في محافظة إربد من وجهة نظر مديري المدارس كانت بدرجة مرتفعة على الأداة ككل، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة بين وجهات نظر مديري المدارس تعزى إلى متغيرات البحث(النوع،المؤهل العلمي، المديرية) .

كما بين أبو صعليك والوريكات (2017) بدراسة هدفت إلى معرفة درجة امتلاك طلبة كلية العلوم التربوية في الجامعة الأردنية للمهارات التكنولوجية المتضمنة في الاقتصاد المعرفي، ومعرفة مدى وجود فروق ذات دلالة إحصائية في درجة امتلاك الطلبة للمها رات التكنولوجية تعزى لمتغيرات الجنس، العمر، المؤهل العلمي، واختيرت عينة الدراسة البالغة) (400طالبٍ وطالبةٍ بالطريقة العشوائية الطبقية .ولتحقيق أهداف الدراسة والإجابة عن أسئلتها قام الباحثان بتطوير أداة الدراسة وهي عبارة عن استبانة لقياس درجة امتلاك الطلبة للمهارات التكنولوجية،حيث تكونت من (60) فقرة موزعة على (5) مجالات، توصلت إلى النتائج الآتية:أن درجة امتلاك طلبة كلية العلوم التربوية في الجامعة الأردنية للمهارات التكنولوجية المتضمنة في الاقتصاد المعرفي كانت متوسطة، وأيضا عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى للجنس وللعمر ، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى للمؤهل

وتوصلت دراسة حورية وطحلاوي (2017) التي هدفت في البحث بمساندة نموذج التمايز لمنظومة التعليم الجامعي في المملكة العربية السعودية ودعم توجهها نحو الاقتصاد المعرفي، من خلال بناء تصور مقترح للتحول إلى جامعات بحثية .ولتحقيق هذا الهدف اتُبع

المنهج الوصفي باستخدام تقنية "دلفاي "كطريقة لمسح آراء أهل الفكر والاختصاص من الخبراء، بالاعتماد على الاستبيان الإلكتروني كأداة لتحديد أهم المتطلبات المستقبلية للتحول إلى جامعات بحثية، طبقت على (72) خبيراً في الإدارة والتخطيط .وبعد تحليل البيانات ومعالجتها أظهرت النتائج أن أهم أبعاد التحول إلى جامعات بحثية في ظل التوجه نحو الاقتصاد المعرفي من وجهة نظر أفراد عينة البحث من الخبراء كان بُعد البرامج الأكاديمية يليه بعد السياسات والاستراتيجيات المؤسسية ، ثم بعد البحث العلمي والبعد الدولي ، أما على مستوى المتطلبات فتمثلت أهم متطلبات التحول في مرافق ومختبرات مجهزة بأحدث الوسائل والمعدات والتقنيات الداعمة للبحث العلمي، وحوافز ومكافآت مادية ومعنوية للإنجازات البحثية المتميزة، إذ حصل المتطلبان على مستوى أهمية مرتفع، وانتهى البحث ببناء تصور مقترح للتحول إلى جامعات بحثية، ويؤمل أن يسهم في مساعدة المخططين والقيادات التربوية لاتخاذ القرارات الرشيدة التي تدعم هذا التحول بما يسهم في نمو الاقتصاد المعرفي للمملكة العربية السعودية.

كما قام كل من الربابعة والهياجنة (2017) بدراسة هدفت إلى التعرف على درجة تقييم دور الاقتصاد المعرفي في تمكين التعليم الجامعي، بالإضافة إلى الكشف عن تحديات تطبيقه لدى عينة من (509) عضو هيئة تدريس في الجامعات الأردنية ، استخدم المنهج الوصفي التحليلي ، كشفت النتائج عن وجود مستوى متوسط لدور الاقتصاد المعرفي في تدعيم مكونات التعليم الجامعي، حيث كان الدور الأكبر للاقتصاد المعرفي في مجال تمكين المنهاج، ثم المدرس، تلاهما الطالب، وأخيراً إدارة التعليم، كما أظهرت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في درجة تقييم دور الاقتصاد المعرفي تعزى لمتغيرات(الجنس، التخصص، الرتبة الأكاديمية) بالمقابل كشفت النتائج عن وجود مستوى مرتفع من تحديات الاقتصاد المعرفي في التعليم الجامعي، حيث كانت أكثرها التحديات الإدارية ثم الاقتصادية تلاهما البشرية ،

كما لم تظهر النتائج وجود فروق في مستوى التحديات تعزى لمتغيرات(الجنس، والرتبة الاكاديمية) في حين كان هناك فروق في مستوى التحديات الاقتصادية تعزى للتخصص ولصالح التخصصات العلمية.

وهدفت دراسة عبد الله (2018) إلى التعرف إلى درجة ممارسة القادة الأكاديميين بالجامعات الأردنية لكفايات الاقتصاد المعرفي من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، والتعرف إلى اختلاف وجهات النظر باختلاف متغيرات الجنس، والكلية، والرتبة الأكاديمية، وعدد سنوات الخبرة، ولتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام المنهج الوصفي المسحي، وتم تطوير استبانة مكونة من (49) فقرة طبقت على عينة مؤلفة من (304) من أعضاء هيئة تدريس. وأظهرت نتائج الدراسة :أن درجة ممارسة القادة الأكاديميين بالجامعات الأردنية لكفايات الاقتصاد المعرفي كانت بدرجة مرتفعة، كما أظهرت وجود فروق ذات دلالة إحصائية لدرجة ممارسة القادة الأكاديميين لكفايات الاقتصاد المعرفي بالجامعات الأردنية تبعا لمتغير الجنس لصالح الذكور، وعدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغيرات الرتبة الأكاديمية والكلية وعدد سنوات الخبرة.

يتضح مما سبق تنوع الد راسات التي تناولت الاقتصاد المعرفي في الجانب التربوي والتي ركزت جميعها على أهمية الاقتصاد المعرفي وأن ظهوره أحدث تحولات كبرى من حيث إضافة المعرفة والتكنولوجيا في النظام التعليمي. إن ما يميز الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة انها تطرقت لموضوع (ممارسة الجامعة للاقتصاد المعرفي وتطلعاته المستقبلية) لأن أغلبية الدراسات التي أجريت حول الاقتصاد المعرفي كانت تدور حول معاييره ومرتكزاته و دور المعلم والمتعلم فيه وكيفية اعدادهم في ظل التوجه للاقتصاد المعرفي، وأيضا كيفية تغيير المناهج وبنائها بطريقة تتناسب مع التوجهات العالمية نحو الاقتصاد المعرفي.

مشكلة الدراسة:إن مواكبة الثورة الالكترونية ووسائل التواصل الاجتماعي المختلفة أدى إلى نشوء ما يسمى بالاقتصاد المعرفي ، مما أدى إلى وضع المؤسسات التعليمية وبخاصة الجامعات أمام تحديات كبرى مما شكل مبرراً مهماً للدراسة. وبالتالي الكشف عن واقع الحال الذي تنتهجه جامعة حائل ، ومدى استفادتها من التقنية الحديثة في التعامل مع المعرفة ، وكذلك الكشف عن مدى اهتمام الادارات الجامعية في تأهيل الطلبة وإعدادهم في التخصصات والمهارات اللازمة لمجتمع المعرفة ، وبالتحديد سعت الدراسة الإجابة عن الأسئلة التالية :

1. ما مدى ممارسة جامعة حائل للاقتصاد المعرفي وتطلعاته المستقبلية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس ؟

2.هل يختلف واقع ممارسة جامعة حائل للاقتصاد المعرفي من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس باختلاف متغيرات النوع الاجتماعي والخبرات و الكلية؟

أهداف الدراسة : تسعى الدراسة لتحقيق الأهداف التالية:

1.التعرف إلى مدى ممارسة جامعة حائل للاقتصاد المعرفي وتطلعاته المستقبلية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس .

2. بيان واقع التوجه نحو الاقتصاد المعرفي في جامعة حائل باختلاف متغيرات الجنس والرتبة والخبرات ونوع الكلية.

أهمية الدراسة : تنبثق أهمية الدراسة من الاعتبارات التالية:

1.المسّوغات التي دعت إلى ضرورة التحول نحو الاقتصاد المعرفي، وأنّ المعرفة أصبحت الأساس في التمييز والتطور والتأثير على عناصر العملية التعليمية من أعضاء هيئة التدريس بشكل خاص ونوعية مخرجات التعليم الجامعي بشكل عام.

2.الكشف عن توجه جامعة حائل نحو الاقتصاد المعرفي وتطلعاتها المستقبلية نحوه ومدى ممارستها له من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس.

3.سعي جامعة حائل إلى إعادة النظر في سياساتها واستراتيجياتها فيما يتعلق بالوظائف التي تقوم بها من تدريس وبحث وخدمة مجتمع.

مصطلحات الدراسة : اشتملت الدراسة على مصطلحين أساسيين قام الباحث بوضع تعريف لهما على النحو الآتي:

1.الاقتصاد المعرفي: هو الاقتصاد الذي ينتج عن تفاعل تكنولوجيا المعلومات مع العمليات التي تتضمن تنظيم وتوليد ونشر المعرفة وتطبيقها في جامعة حائل من خلال التدريس والبحث العلمي والممارسات الإدارية وخدمة المجتمع وتقديم الخدمات والخبرات الأكاديمية بشتى أنواعها واختلاف تخصصاتها للمجتمع المحلي والإقليمي.

2.التطلعات المستقبلية: هي التطلعات الاستراتيجية التي تسعى جامعة حائل إلى فتح باب البحث والتطوير والتعليم والتدريب والبنية المعلوماتية والحاسوبية لمنسوبيها من أعضاء هيئة تدريس وإداريين حسب ما جاء ذكره في فقرات أداة الدراسة.

محددات الدراسة : ستتحدد نتائج الدراسة الحالية بما يأتي:

1.الحدود البشرية : تضمنت الدراسة أعضاء هيئة التدريس بجامعة حائل.

2.الحدود الزمانية : طبقت الدراسة في الفصل الدراسي الأول 2019/2018م

منهج الدراسة : في ضوء هدف الدراسة الرئيس وهو مدى ممارسة جامعة حائل للاقتصاد المعرفي وتطلعاته المستقبلية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس سوف يستخدم المنهج

الوصفي ، الذي يتم بواسطته استجواب أفراد مجتمع البحث وذلك بهدف وصف الظاهرة المدروسة من حيث طبيعتها ودرجة وجودها. وهذا المنهج لا يقتصر على الوصف بل يتعداه إلى استنتاجات تساهم في التطوير والتغيير.

مجتمع وعينة الدراسة: تكون مجتمع الدراسة من أعضاء هيئة التدريس الذين يمارسون التدريس في كليات جامعة حائل، أما عينة الدراسة تم اختيارها من الكليات النظرية والتطبيقية العلمية منها والإنسانية من مجتمع الدراسة، وجدول (1) يوضح توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً لتصنيف متغيراتها.

جدول (1) توزيع أفراد عينة الدراسة وفقاً لتصنيف متغيراتها

المتغير	التصنيف	العدد
النوع الاجتماعي	ذكر	118
	أنثى	88
الكليات	العلوم الصحية	73
	العلوم الأساسية والهندسية	24
	العلوم الإنسانية	109
الخبرة	1-5 سنوات	51
	من 6-10 سنوات	58

	أكثر من 10 سنوات	94
المجموع الكلي		206

أداة الدراسة وتصميمها: وللكشف عن مدى ممارسة جامعة حائل للاقتصاد المعرفي وتطلعاته المستقبلية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس؛ جرى تطوير استبانة لجمع البيانات اللازمة للدراسة اعتماداً على ما ورد في بعض الدراسات السابقة مثل دراسة كل من دراسة عبد الله(2018) وحورية وطحلاوي (2017) والربابعة والهياجنة (2017) وبوضياف(2016) وقدتكونت الأداة من قسمين : الأول؛ يتعلق بجمع معلومات ذاتية عن أفراد عينة الدراسة تتمثل في : النوع الاجتماعي ،الكلية ، ، الخبرة ، و الثاني على (36) فقرة ،وقد صممت فقرات الاستبانة باستخدام مقياس ليكرت (Likrt) الخماسي المكون من خمس درجات للموافقة مرتبة تنازلياً على النحو الآتي (5) موافق بشدة ، و(4) موافق ، و(3) موافق نوعاً ما، و(2)غير موافق، و(1) غير موافق بشدة، وتبنت الدراسة الأوزان المبينة في الجدول (2) لقياس عن مدى ممارسة جامعة حائل للاقتصاد المعرفي وتطلعاته المستقبلية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس من خلال المتوسط الحسابي لكل فقرة من فقرات الاستبانة كما هو موضح في جدول رقم (2).

جدول (2): تقدير المتوسطات الحسابية

فئة المعيار	درجة التصور
3.68 -5	مرتفعة
2.34 - 3.67	متوسطة

1 - 2.33	ضعيفة

صدق الأداة: للتحقق من صدق الاستبانة تم عرضها على لجنة من المحكمين من ذوي الاختصاص والخبرة وعددهم (10) من أعضاء هيئة التدريس في كليات التربية في الجامعات السعودية، وقد طلب من المحكمين الحكم على جودة محتوى الفقرات في ضوء عدد من المعايير، وطلب منهم إبداء الرأي في ما يلي: مدى ملاءمة فقرات الاستبانة، الدقة اللغوية، وما يرونه مناسباً سواء أكان بالحذف أم الدمج أم الإضافة. وقد تم الآخذ بتوجيهات ومقترحات أعضاء لجنة التحكيم، فقد تم تعديل الصياغة اللغوية لبعض الفقرات وذلك عندما يجمع خمسة محكمين على ذلك حيث تم استبعاد فقرتين من فقرات الاستبانة، وبالتالي أصبحت الأداة مكونة من (36) فقرة.

ثبات أداة الدراسة: للتحقق من ثبات أداة الدراسة ، تم حساب معامل الاتساق الداخلي باستخدام معادلة كرونباخ ألفا ، حيث بلغت قيمة الثبات وفق هذه الطريقة(0.91) للاستبانة الكلية، كذلك تم حساب معامل الثبات بطريقة التجزئة النصفية (سبيرمان – براون) وبلغت (0.84) وهي قيم مقبولة لإجراء مثل هذه الدراسة.

المعالجات الإحصائية: لأغراض تحليل بيانات الدراسة تم استخدام برنامج الحزم الإحصائية للعلوم الاجتماعية (spss) لتحليل بيانات الاستبانة وللإجابة عن أسئلتها ، تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لكل فقرة من فقرات المقياس ، كما استخدم اختبار "ت" (T-test) و تحليل التباين الأحادي (one-Way nova) للكشف عن الاختلافات بين المتوسطات الحسابية .

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الدرجة
2	تتوجه نحو التحول إلى الإدارة الالكترونية بجميع كليات الجامعة.	4.34	0.62	مرتفع
.8	تعقد دورات تأهيلية بشكل دوري للعاملين من أعضاء هيئة التدريس والإداريين في مجال التكنولوجيا.	4.13	0.78	مرتفع
.24	تساهم الجامعة في تسهيل عملية نشر البحوث التي يقوم بها أعضاء هيئة التدريس	4.12	0.69	مرتفع
4	تعمل على توفير شروط الاستقرار والاطمئنان في مناخ العمل.	4.3	0.69	مرتفع
25	توفر نظاماً لمتابعة ومساءلة العاملين.	4.03	0.93	مرتفع
10	تنظم حوارات مستمرة مع المؤسسات الرسمية وغير الرسمية.	4.02	0.81	مرتفع
3	تشارك في عضوية المؤسسات والاتحادات الجامعية على النطاق الدولي والإقليمي.	4.00	0.76	مرتفع
9	تشارك في عضوية المؤسسات والاتحادات الجامعية على النطاق المحلي.	3.97	0.78	مرتفع
18	تستفيد من آراء مؤسسات المجتمع المدني والجهات التي	3.95	0.79	مرتفع

	يعمل فيها الخريجون.			
27	توفر خدمة الأنترنت لبعض قطاعات المجتمع المحلي.	3.94	0.70	مرتفع
23	تسعى إلى تطبيق مفهوم الجامعة المنتجة.	3.86	0.71	مرتفع
12	تخرج أكبر عدد ممكن من المتخصصين في مجال تكنولوجيا المعلومات .	3.85	0.87	مرتفع
26	تتيح المجال للطالب بالانتقال بسهولة بين أنواع التعلم المختلفة.	3.82	0.94	مرتفع
1	تعقد دورات خاصة بالطلبة غير تلك المرتبطة بتخصصهم.	3.81	0.72	مرتفع
36	تلتزم بتطبيق قانون حق الملكية الفكرية.	3.81	0.97	مرتفع
6	تعلم الطلبة كيفية الوصول إلى مصادر المعرفة واستخدامها.	3.78	0.85	مرتفع
17	تشجع أعضاء هيئة التدريس في مناقشات عن المعرفة الإلكترونية.	3.78	0.77	مرتفع
7	توجه نحو تعليم الطلبة تنظيم المعرفة في خرائط مفاهيمية من خلال وسائل التواصل المختلفة.	3.74	0.89	مرتفع
31	تطلب من أعضاء هيئة التدريس تمكين الطلاب من	3.68	0.95	مرتفع

	استخدام أدوات المعرفة الحديثة.			
22	تضع الجامعة نظم الحوافز للمحافظة على الأكفاء من أعضاء هيئة التدريس.	3.64	0.93	متوسط
19	تستفيد الجامعة من مشاريع تخرج الطلبة المتميزة في خدمة المجتمع.	3.63	0.91	متوسط
35	تشجع الطلبة على المشاركة في المسابقات البحثية ذات المعرفة الحديثة .	3.59	1.01	متوسط
30	توجه نحو التعلم المستمر من خلال إتاحة الدراسات العليا للعاملين فيها .	3.56	0.95	متوسط
34	تستضيف الجامعة مفكرين من خارجها للتفاعل مع أعضاء هيئة التدريس والطلبة .	3.55	1.09	متوسط
28	تشارك الجامعة في تقديم الاستشارات للمؤسسات المختلفة إذا طلب منها ذلك.	3.54	0.96	متوسط
16	تأكد الجامعة على التخصصية كأحد أهم ركائز الاقتصاد المعرفي.	3.46	0.97	متوسط
21	توجه تحديث المحاضرات بما ينسجم مع متطلبات سوق العمل.	3.44	0.96	متوسط

32	تركز على نوعية الأبحاث التي يقوم بها أعضاء هيئة التدريس وليس على كميتها.	3.37	1.00	متوسط
14	تطور الجامعة سياسات خاصة بإدارة المعرفة	3.31	0.94	متوسط
5	تنسق مع قطاع الإعلام للمساعدة في التوجه نحو الاقتصاد المعرفي.	3.22	1.03	متوسط
13	توظف المعرفة وتطبقها في حياة الطلبة العملية داخل الجامعة وخارجها.	3.21	0.98	متوسط
11	تستثمر المصادر المفتوحة للمحتوى المعرفي (الخطوط الهيكلية، قوائم المراجع، البحوث ذات الصلة،...) في إغناء عمليات التّعلم.	3.18	0.97	متوسط
33	تسهم في وصول المعلومات لصانع القرار في الوقت المناسب مع اتسامها بالدقة والموثوقية والشمولية.	2.91	1.24	متوسط
15	تعتمد على نظم حوافز ومكافآت تركز على توليد المعرفة وتحديثها باستمرار.	2.88	1.23	متوسط
29	تتوجه نحو تقويم يسهم في تشخيص الطالب المتميز القادر على ابتكار المعرفة الجديدة في المستقبل.	2.83	1.24	متوسط
20	تتوجه نحو دراسات عليا في مجالات العلوم الاستراتيجية والتقنيات المتقدمة والاهتمام بتعريب	2.64	1.13	متوسط

	العلوم والتقنية.			
المجموع الكلي	3.53	0.44	متوسط	

عرض نتائج الدراسة ومناقشتها: فيما يلي عرض للنتائج التي تم التوصل إليها، بعد أن تم جمع البيانات بواسطة أداة الدراسة "استبانة مدى ممارسة جامعة حائل للاقتصاد المعرفي وتطلعاته المستقبلية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس "، وفقاً لأسئلة الدراسة.

النتائج المتعلقة بالسؤال الأول: "ما مدى ممارسة جامعة حائل للاقتصاد المعرفي وتطلعاته المستقبلية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس ؟" للإجابة عن هذا السؤال، تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة ممارسة جامعة حائل للاقتصاد المعرفي وتطلعاته المستقبلية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس، والجدول رقم (3) يوضح ذلك.

جدول رقم (3) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة لدرجة ممارسة جامعة حائل للاقتصاد المعرفي وتطلعاته المستقبلية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس

1.يتضح من جدول رقم (3) أن درجة ممارسة جامعة حائل للاقتصاد المعرفي وتطلعاته المستقبلية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس قد جاءت بدرجة متوسطة ، إذ بلغ المتوسط الحسابي لاستجابة أفراد العينة على المقياس ككل (3.53) بينما تراوحت متوسطات استجاباتهم على فقرات الأداة (2.64-4.34). وتتفق هذه النتيجة مع دراسة كل من الربابعة (2017) وأبو صعليك (2017) ورمضان (2015)التي أشارت إلى أن استخدام التوجه نحو الاقتصاد المعرفي جاء بدرجة متوسطة واختلفت مع دراسة باندي (pandey,2012)التي أشارت إلى وجود مستوى متدن لمهارات الاقتصاد المعرفي لدى

أفراد العينة ، كما اختلفت مع دراسة كل من بوضياف (2016) والهزايمة (2016)وعبد الله (2018) والتي جاءت بدرجة مرتفعة. ويعزو الباحث درجة التقييم المتوسطة لدور جامعة حائل في التوجه نحو الاقتصاد المعرفي وتطلعاته المستقبلية أنه ما زال دون التوقعات المرجوة من حقيقة الاقتصاد المعرفي وعملية توظيفه في جميع مناحي الجامعة التدريسية والإدارية ، كما تعكس درجة الممارسة المتوسطة شروع جامعة حائل في البداية في تنفيذ خططها الهادفة واستراتيجياتها في تطبيق مبادئ مهارات الاقتصاد المعرفي والذي يتمثل في سعيها في تحقيق الاعتماد الأكاديمي لجميع مناحي التدريس وخدمة المجتمع والبحث العلمي ، والسلوكيات والاتصالات الإدارية ، كما يعود السبب إلى كبر الحجم والعمل والجهد الذي تقوم به جامعة حائل في التوجه نحو الاقتصاد المعرفي من خلال الإصرار الواضح لمسايرة وتحقيق أهداف ورؤى المملكة 2030 المستقبلية. كما يستنتج الباحث أن هناك وعي لدى أعضاء هيئة التدريس يتمثل بأهمية ودور الاقتصاد المعرفي، وتفاعلهم الإيجابي مع توجهات المملكة ،وقدرة جامعة حائل على تحويل الأفكار والرؤى إلى إنجازات ومشاريع عملية واقعية. كما ظهر لدى الباحث أن إدراك أعضاء هيئة التدريس فكرة تبني الاقتصاد المعرفي ظهر واضحاً من خلال فقرات الاستبانة والإجابة عليها لا يتأتى بدون تحقيق مجموعة من الإصلاحات الإدارية والتنظيمية ، فكان لابد من وجود حزمة من الاجراءات المتكاملة في جامعة حائل من خلال إعادة النظر في السياسات والأهداف والاستراتيجيات التربوية التي تهدف إلى احداث التغير المطلوب لمجاراة التطورات واحتياجات الاقتصاد المعرفي ، كما أن هناك ضعفاً في توظيف أدوات التكنولوجيا الحديثة في العملية التعليمية كأداة من أدوات اقتصاد المعرفة.

2.حصلت الفقرة (2) على أعلى متوسط بمقدار (4.34) والتي نصت على " تتوجه نحو التحول إلى الإدارة الالكترونية بجميع كليات الجامعة" ويتمثل ذلك بأنها بدأت فعلاً

بالشروع في تطبيق الإدارة الالكترونية من خلال جميع معاملاتها الداخلية بين الكليات المختلفة ، ويستطيع الموظف من متابعة معاملته التي تقدم بها إلى أي دائرة وأين وصلت. وفي الترتيب الثاني جاءت الفقرة (8) وبمتوسط حسابي مقداره (4.13) ، ونصت على :" تعقد دورات تأهيلية بشكل دوري للعاملين من أعضاء هيئة التدريس والإداريين في مجال التكنولوجيا " ويعزو الباحث إلى حصول هذه الفقرة إلى مرتبة مرتفعة هو الجهد الذي تبذله عمادة الجودة والتطوير في جامعة حائل والمتمثلة في تشجع وحث العاملين على الالتحاق بالدورات التدريبية وخاصة التي تتعلق بالتكنولوجيا ، وأصبح جزء من تقييم الموظف السنوي يرتبط بالتحاقه بعدد من الدورات التدريبية. وفي الترتيب الثالث جاءت الفقرة (24) وبمتوسط حسابي مقداره (4.12) ونصت على " تساهم الجامعة في تسهيل عملية نشر البحوث التي يقوم بها أعضاء هيئة التدريس " ويفسر الباحث حصول هذه الفقرة أيضاً على ترتيب مرتفع جدا أن الجامعة تشجع البحث العلمي وتمول البحوث العلمية في مختلف الكليات حيث تجاوز أبحاث عدد أعضاء هيئة التدريس الذين تقدموا لدعم أبحاثهم العلمية (1000) بحث للعام الدراسي (2018/2017).

3.أما الفقرات التي احتلت في المراكز الأخيرة ، تمثلت في الفقرة (20) والتي جاءت أخيراً وبمتوسط حسابي (2.64)، ونصت على :" تتوجه نحو دراسات عليا في مجالات العلوم الاستراتيجية والتقنيات المتقدمة والاهتمام بتعريب العلوم والتقنية" ويرى الباحث حصول هذه الفقرة على درجة متدنية أن جامعة حائل ما زالت من الجامعات الفتية في المملكة العربية السعودية ، وبالكاد تركز فقط على ثلاث أو أربع برامج في درجة الماجستير لشح الإمكانيات البشرية والمادية. وهذا يتطلب إعادة النظر في السياسات التي تضعها الجامعة بخصوص الفعاليات المذكورة ولا سيما كثير من الدراسات السابقة تؤكد على التعليم المستمر ، وعلى أهمية التغيير الاستراتيجي استجابة للعوامل التي ترتبط بالضغوط الخارجية وعلى أهمية

الانتقال بثقافة الجامعة لتواكب الاقتصاد المعرفي، وجاءت بعدها الفقرة رقم (29) بمتوسط حسابي (2.83) والتي نصت على " تتوجه نحو تقويم يسهم في تشخيص الطالب المتميز القادر على ابتكار المعرفة الجديدة في المستقبل". بالنسبة للتقويم الذي يبتكر المعرفة يؤكد الباحث في ضوء خبرته التعليمية أنها من المفاهيم غير السائدة في ممارسة أعضاء هيئة التدريس وخاصة في الكليات العلمية وليس التربوية . تلتها القرة (15) بمتوسط حسابي (2.88) ونصت على" تعتمد على نظم حوافز ومكافآت تركز على توليد المعرفة وتحديثها باستمرار " ويفسر الباحث حصول هذه النتيجة على درجة منخفضة أن نظام الحوافز هي من أساسيات السياسات التي تواكب عصر اقتصاد المعرفة في الجامعات وهذا ما أكده ملر (Muller,2004) في دراسة له إذ يرى أن الجامعات في عصر الاقتصاد المعرفي بحاجة إلى إعداد طلبتها بطريقة أكثر اتساعاً وعمقاً وهذا يتطلب أعضاء هيئة تدريس أكفاء.

السؤال الثاني: "هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية($\alpha \leq 0.5$) بين متوسطات تقديرات أفراد العينة لمدى ممارسة جامعة حائل للاقتصاد المعرفي وتطلعاته المستقبلية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس تبعاً لاختلاف المتغيرات: النوع الاجتماعي الكلية، والخبرة ؟" للإجابة عن هذا السؤال، تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة على النحو التالي:

أ. حسب متغير النوع الاجتماعي: تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة على مدى ممارسة جامعة حائل للاقتصاد المعرفي وتطلعاته المستقبلية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس تبعاً لمتغير النوع الاجتماعي ، ولاختبار دلالة الفروق بين متوسطي الاستجابة ، استخدم اختبار "ت" T- Test والجدول رقم (4) يوضح ذلك.

الجدول رقم (4) المتوسطات الحسابية لتقديرات أفراد العينة على المحاور تبعاً لاختلاف متغير النوع الاجتماعي

النوع الاجتماعي	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	درجات الحرية	قيمة "ت"	مستوى الدلالة
الذكور	118	3.49	0.42	204	1.498	0.136
لإناث	88	3.58	0.47			

يتضح من جدول رقم (4) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين درجة ممارسة جامعة حائل للاقتصاد وتطلعاته المستقبلية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس وفقاً لمتغير النوع الاجتماعي ، حيث بلغت قيمة "ت" (1.498)، وهي قيمة غير دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$)، وعلى الرغم ملاحظة تفاوتاً ظاهرياً ضعيفاً في قيمة متوسط الإناث مقارنة بالذكور، وتعزى هذه النتيجة من وجهة نظر الباحث إلى تشابه الدور الذي يقوم به أعضاء هيئة التدريس من الذكور والإناث ، وبالتالي الإمكانات المادية والثقافية متشابهة في الجامعات السعودية لخضوعهم لقوانين وواجبات واحدة محددة، مما نتج عنه اتفاق في تقديراتهم لتوجه جامعة حائل نحو التطلعات المستقبلية للاقتصاد المعرفي ،وتتفق هذه النتيجة مع دراسة كل من بوضياف (2016) والهزايمة (2016)وأبو صعليك (2017) التي أشارت إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية تعزى لمتغير النوع الاجتماعي ، إلا أنها اختلفت مع دراسات باندي(2012) والربابعة والهياجنة (2017) وعبد الله (2018) التي أشارت إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين الذكور والإناث.

ب. حسب متغير الكلية: تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة ، تبعاً لمتغير الكلية والجدول رقم (5) يوضح ذلك.

الجدول رقم (5)المتوسطات الحسابية لتقديرات أفراد العينة تبعاً لاختلاف متغير الكلية

المتغير	نوع الكلية	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الكليات	العلوم الصحية	73	3.51	0.44
	العلوم الأساسية والهندسية	24	3.57	0.43
	العلوم الإنسانية	109	3.38	0.47

يتبين من الجدول رقم (5) وجود فروق ظاهرية بين متوسطات تقديرات أفراد العينة وفقاً لمتغير الكلية ، ولفحص الدلالة الإحصائية لتلك الفروق ، استخدم اختبار تحليل الأحادي (one-Way Anova) والجدول (6) يوضح ذلك.

جدول رقم (6) نتائج تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق بين المتوسطات وفقاً لمتغير الكلية

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسطات المربعات	قيمة "ف"	الدلالة الإحصائية
بين المجموعات	0.75	2	0.38	1.939	0.146

داخل المجموعات	39.38	203	0.19		
المجموع	40.13	205			

يتبين من الجدول السابق عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات أفراد العينة وفقاً لمتغير الكلية ، إذ بلغت قيمة "ف" (1.939)، وهي قيمة غير دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) وربما يفسر إلى أن هناك فهم وإدراك ووعي واضح لأفراد مجتمع الدراسة بجميع كليات جامعة حائل المختلفة النظرية والتطبيقية بأهمية التوجه نحو الاقتصاد المعرفي في جامعة حائل ، بالإضافة إلى فهم عينة الدراسة ما ترغب جامعة حائل في تحقيقه وتنفيذه فيما يتعلق بالاقتصاد المعرفي. وتتفق بذلك مع دراسة عبد الله (2018) والتي أشارت إلى عدم وجود فروق تعزى لمتغير الكلية، إلا إنها اختلفت مع دراسة الربابعة والهياجنة (2017) والتي أشارت إلى أن هناك فروق ولصالح الكليات العلمية.

ج. حسب متغير الخبرة:تم حساب المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لتقديرات أفراد العينة تبعاً لاختلاف متغير الخبرة والجدول رقم (7) يوضح ذلك.

جدول رقم (7)المتوسطات الحسابية لتقديرات أفراد العينة تبعاً لاختلاف متغير الخبرة

المتغير	المستوى	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
الخبرة	1-5 سنوات	51	3.55	0.55
	6-10 سنوات	58	3.46	0.42

	أكثر من 10 سنوات	94	3.56	0.39

يتضح من الجدول رقم(7) وجود فروق ظاهرية بين متوسطات استجابات أفراد العينة وفقاً لمتغير الخبرة ، ولفحص الدلالة الإحصائية لتلك الفروق ، تم استخدام اختبار تحليل التباين الاحادي (one-Way Anova) والجدول رقم (8) يوضح ذلك

جدول رقم (8) نتائج تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق بين المتوسطات وفقاً لمتغير الخبرة

مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسطات المربعات	قيمة "ف"	الدلالة الإحصائية
بين المجموعات	0.41	2	0.21	1.045	0.354
داخل المجموعات	39.24	200	0.20		
المجموع	39.65	202			

يتبين من الجدول رقم (8) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات أفراد العينة وفقاً لمتغير الخبرة ، إذ بلغت قيمة "ف" (1.045) ، وهي قيمة غير دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة ($\alpha \leq 0.05$) ، ويعزو الباحث ذلك إلى أنه مهما زادت أو قلت خبرة عضو هيئة التدريس فإن هناك إجماعاً بينهم نحو تفعيل ممارسة جامعة حائل للاقتصاد المعرفي وتطلعاته المستقبلية نحوه . بالإضافة إلى امتلاكهم الوعي الذي يؤهلهم للبحث عن الإبداع والدفع باتجاه الأفضل للجامعة. وتتفق هذه النتيجة مع دراسة بوضياف

(2016)وعبد الله (2018).الا إنه اختلفت مع دراسة رمضان (2015) التي أشارت إلى وجود فروق لصالح من كانت خبراتهم أكثر من خمس سنوات.

توصيات الدراسة : في ضوء نتائج الدراسة يوصي الباحث بما يلي:

1.الإسراع في تنفيذ السياسات والخطط المستقبلية التي تحكم عمل جامعة حائل بما يتلاءم والاقتصاد المعرفي.

2.تبني تطبيق برامج أكاديمية وأنشطة تعليمية وأساليب تقويم تحث الطلبة على الإبداع وتساعد نحو تقويم يسهم في تشخيص الطالب المتميز القادر على ابتكار المعرفة الجديدة في المستقبل.

3. استحداث دراسات وبرامج عليا بجامعة حائل في مجالات العلوم الاستراتيجية والتقنيات المتقدمة تساعد على مواكبة عصر اقتصاد المعرفة وبما يحقق رؤية وزارة التعليم في المملكة العربية السعودية 2030.

4. استحداث نظم حوافز ومكافآت لكافة عناصر العملية التعليمية البشرية من طلاب وأعضاء هيئة تدريس وإداريين تركز على توليد المعرفة وتحديثها باستمرار.

قائمة المراجع:

1.أبو صعليك، عائشة، الوريكات منصور.(2017). درجة امتلاك طلبة كلية العلوم التربوية في الجامعة الأردنية للمهارات التكنولوجية المتضمنة في الاقتصاد المعرفي، دراسات العلوم التربوية ، الجامعة الأردنية.(44) 159،2-180.

2.بوضياف، نوال .(2016). تقديرات رؤساء أقسام الجامعات الجزائرية لمعوقات تفعيل دور الاقتصاد المعرفي في تطوير أداء الجامعات ، مجلة جامعة جرش للبحوث والدراسات 17(1) ، 647-668.

3.برنامج الأمم المتحدة الإنمائي .(2014).تقرير التنمية البشرية "المضي في التقدم : بناء المنعة لدرء المخاطر ، نيويورك، دبي :دار الغرير.

4.الحاج، أحمد علي .(2014). اقتصاد المعرفة واتجاهات تطويره، عمان : دار المسيرة للنشر والتوزيع.

5.حورية، علي، وطحلاوي مها.(2017). تصور مقترح للتحول إلى جامعات بحثية في ظل التوجه نحو الاقتصاد المعرفي ، مجلة اتحاد الجامعات العربية للبحوث في التعليم العالي، (37) 3،55-89.

6.الربابعة، حمزة ، والهياجنة وائل.(2017).تقييم دور الاقتصاد المعرفي في تمكين العملية التعليمية وتحدياته المعاصرة في الجامعات الأردنية ، (25)1 ،121-142.

7.رمضان ، عصام .(2015).درجة توافر مهارات الاقتصاد المعرفي لدى طلاب كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس والطلاب ،المجلة الأردنية في العلوم التربوية ، 11(2)، 219-237.

8.الزيادات ، محمد عواد .(2014). اتجاهات معاصرة في إدارة المعرفة . عمان دار صفاء للنشر والتوزيع.

9.عبد الله ، اسراء.(2018). درجة ممارسة القادة الأكاديميين بالجامعات الأردنية لكفايات الاقتصاد المعرفي من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة الشرق الأوسط.

10.العمري ، فواز .(2013). مدى وعي طلبة الجامعات الأردنية الرسمية للمهارات الحياتية في ضوء الاقتصاد المعرفي ، مجلة دراسات نفسية وتربوية ،(10)،103-128.

11.الهزايمة ، فاضل.(2016). واقع ممارسات اقتصاد المعرفة في المدارس الحكومية بمحافظة إربد في ضوء تطبيق برنامج تطوير التعليم نحو اقتصاد المعرفة ، مجلة التربية ، جامعة الأزهر،168ج1 475-501.

12.Dailey,T.(2008). Effects of college major and context on 21 century Knowledge Economy competencies. Dissertaions Abstracts international, UMI 3248053.

13.Guruz, K. (2011).Higher Education and international Student Mobility in the Globa Knowledge Economy, State University of vailable.http://www.sunypress.edu/pdf/62192.pdf

14.Muller,E.(2004)The Impact of the new economy on the direction of higher

education in the 21 st century :Three case studies ,DISSERTATION Abstracts international .Vol.6503A,P.854,U.S.A:UNIVERSITY of Pennsylvania.

15.Pandey, C. (2012). Economic literacy of senior secondary school teachers: A field tudy.Journal of All Indias Association for Educational Research, 24 (1), 23-

أساليب تنمية الطفل الموهوب داخل الأسرة

الدكتورة فوزية محمدي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

تاريخ الإيداع: 2019/02/05م تاريخ التحكيم: 2019/02/06م تاريخ القبول: 2019/02/08م

ملخص الدراسة :

تهدف الدراسة الحالية إلى إبراز أهمية الأسرة في تنمية الموهبة هذه الأخيرة التي تعد بأنها قدرة الطفل على التميز بفضل ما يمتلكه من قدرات عقلية كالذكاء المرتفع والقدرة الإبداعية مما يجعله يتفوق في أحد المجالات بطريقة متفردة تجعله متميزا عن أقرانه , وهذا ما أشارت إليه الدراسات والبحوث ، فالطفل الموهوب يتميز عن غيره بجملة من الخصائص والسمات النفسية العقلية والسلوكية والأدائية , والتي يتم الكشف عنها في بداية حياته داخل الأسرة من خلال الملاحظة وتهيئة جو نفسي اجتماعي يتسم بالمرونة والتشجيع ، والعمل على تلبية حاجاته المتمثلة التقبل واحترام الموهبة ، وتوفير الوسائل المادية والمعنوية كل ذلك تتطرق له في هذه الدراسة المتمثلة في أساليب الأسرة في تنمية الموهبة .

الكلمات المفتاحية : الطفل الموهوب _ الموهبة _ الأسرة .

Summary of study: the current study aims to highlight the importance of the family in the development of talent, which is considered as the ability of the Child, thanks to the excellence of owned by the mental capacities of high creativity, making it excels in one of the areas in a unique way that makes it distinct from his peers, and this is indicated by the studies and research, the talented child, inter alia, the features of the other psychological characteristics of Mental and behavioral performance, which is disclosed in the beginning of his life within the family through observation and creating an atmosphere myself a flexible social encouragement, and work on the needs of the universal acceptance and respect for talent, providing material and moral means all that deal with him in this study of family planning methods in the development of talent.

Keywords: Talented Child _ talent_ family

أساليب تنمية الطفل الموهوب داخل الأسرة

الدكتورة فوزية محمدي
جامعة قاصدي مرباح ورقلة

مقدمة

تعتبر التنمية هي الهدف الأساسي للمجتمعات سواء المتقدمة أو النامية حيث أنها تستطيع من خلالها أن تحقق ازدهارها وتقدمها وتستطيع أن تلحق بالتطورات الحضارية والتكنولوجية السريعة, ولا تغفل التنمية العنصر البشري حيث أنه أساس كل تقدم يمكن أن يتم في المجتمع لذا يجب مده بالخبرات والتدريب الذي يؤهله لأداء دوره بطريقة إيجابية لخدمة المجتمع (أحمد محمد بسيوني , 1999 ، ص 264)

حيث تشتمل التنمية البشرية جميع عناصر الثروة البشرية والتي من بينها الأطفال وخاصة " الأطفال الموهوبين " باعتبارها ندرة ولكونها المرآة الصادقة للمجتمع الذي يعتمد عليهم في تقدمه فمن بين هؤلاء الموهوبين برز العلماء والمفكرين والمصلحين والمخترعين والمبتكرين ورعايتهم هي أحد أسس التنمية البشرية .

لذلك فقد حرصت أغلب المجتمعات على التعرف على الموهوبين والكشف عنهم ورعايتهم منذ الصغر فاستحدثت من المقاييس والاختبارات والوسائل ما يمكنها من الكشف عن الاستعدادات والقدرات الخاصة لدى الأطفال منذ وقت مبكر وصممت البرامج التعليمية الخاصة بهؤلاء الموهوبين لتشجع مواهبهم وقدراتهم في التفوق العلمي والإبداع والابتكار في مختلف النواحي

حيث تتشكل شخصية الطفل في السنوات الثماني الأولى من عمره وهذا التشكيل يخضع لاعتبارات تتصل بشخصية الطفل من جهة وبالمؤثرات التي تحيط به من جهة أخرى .

وتعتبر الأسرة هي أول هذه المؤثرات التي يتعرض لها الطفل في مرحلة طفولته وتتميز هذه المرحلة بالمرونة وقابلية الطفل للتشكل فهو يتأثر بالجو الاجتماعي والنفسي في محيط الأسرة وهذا يمكن أن يكون من العوامل المساعدة على غرس النبتة الأولى للإبداع , وبالمقابل من الممكن أن يكون من العوامل المحبطة والمثبطة لهما (محمد أمين المفتي , 1991 ص 158)

كما أن قدرات الطفل ومواهبه تحتاج إلى قدر كبير من الاستقلال والذاتية التي يجب أن توفرها له الأسرة حيث أن ذلك يساعد على تنمية هذه القدرات , وتلك المواهب , أما إذا تعمدت الأسرة قهر الطفل وعدم السماح له بالاستقلال فإنه يشب ميال للخضوع وعدم الميل إلى العمل التلقائي ويفقد الثقة بنفسه والآخرين من حوله , لذا فإن الأسرة لها دور كبير في تنمية القدرات العلمية والمواهب عند الأطفال ، كما يعتقد بلوم BLOOM 1985 أن الأسرة تلعب الدور الأهم في اكتشاف الموهبة لدى الطفل , وإن الأسرة إن لم تقم بالتشجيع وتقدير الموهوب وتوفير المناخ الملائم له في البيت فإن الموهبة قد تبقى كامنة داخله (جيهان العمران 1421هـ ,ص 30)

أهمية الدراسة : تأتي أهمية هذه الدراسة من أهمية موضوع " الموهبة " والموهوبين وتوفير الجو النفسي والاجتماعي والأسري الذي يساعد على اكتشاف الموهبة ورعاية الموهوبين وخاصة في إطار الأسرة , كما تأتي أهمية الدراسة من أهمية الطفولة بشكل عام وأهمية مراحلها المختلفة , وتأتي أهمية الدراسة من نوعية هؤلاء الأفراد ودورهم في تقدم المجتمعات اعتماد على نتاجهم العقلي والإبداعي لذلك الهدف من هذه الدراسة هو التعرف على أساليب الأسرة في تنمية ورعاية الأطفال الموهوبين .

1_بعض الدراسات السابقة الخاصة بتنمية الأسرة للموهبة والإبداع

تعددت الدراسات التي تناولت بالبحث موضوع الموهبة والموهوبين ومنها دراسة عبد الناصر عوض 1989 التي تهدف إلى التعرف على مدى فعالية العلاج الأسري في خدمة الفرد وتنمية القدرات الابتكارية للطلاب المضطربين سلوكيا , وقد طبقت الدراسة على عينة

ضابطة 14 فرد وعينة تجريبية قوامها 16 فرد وأسرهم تبين من نتائج هذه الدراسة فعالية ممارسة العلاج الأسري مع الطلاب المضطربين سلوكيا لتنمية قدراتهم الابتكارية .

أما دراسة علاء النجار 1991 استهدفت الدراسة التعرف على تأثير تفاعل الأساليب الوالدية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية , والكشف عن تأثير النوع ذكر أو أنثى على التفكير الابتكاري وتفسير التباين في التفكير الابتكاري لدى هؤلاء التلاميذ , وقد اشتملت عينة الدراسة على 644 مفردة موزعة إلى مجموعتين 327 ذكور و317 إناث من تلاميذ الصف الرابع ابتدائي باستخدام اختبار القدرات العقلية العامة واختبار التفكير الابتكاري واستمارة المستوى الاجتماعي والاقتصادي وتبين من نتائج هذه الدراسة أنه لا يوجد تأثير دال للتفاعل بين أساليب المعاملة الوالدية على التفكير الابتكاري لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية من الجنسين بسبب انفصال الأساليب الوالدية والتربوية لتنشئة التلاميذ لكل من المدرسة والأسرة .

دراسة هدى مصطفى حماد : تهدف الدراسة إلى معرفة تأثير الأساليب الوالدية (الحماية الزائدة _الإهمال) في تحقيق التفكير الابتكاري لطفل الروضة وكذلك أثر هذه الأساليب في تنمية هذا التفكير في هذه المرحلة , تكونت عينة الدراسة من 118 طفلا من الروضة وقد استخدمت الدراسة مقياس الاتجاهات الوالدية واختبار التفكير للأطفال واختبار رسم الرجل وقد توصلت الدراسة إلى عدم وجود فروق بين متوسط درجات أطفال الأسرة ذوي أسلوب الإهمال المرتفع متوسط درجات أطفال الأسرة ذوي أسلوب الإهمال المنخفض في درجات التفكير الابتكاري وكذلك عدم وجود فروق بين متوسط درجات أطفال الأسرة ذوي أسلوب الحماية المرتفع والمنخفض .

أما الدراسات الأجنبية دراسة بيرلر هـ ميشيل 1981 Berler H michael استهدفت هذه الدراسة معرفة العلاقة بين أبعاد معينة في السلوك الأبوي والمفهوم الشخصي للأطفال الموهوبين عقليا طبقت الدراسة على تلاميذ الصف السادس الابتدائي في مدرسة

محلية كبيرة حضرية وسط منطقة كاليفورنيا للأطفال الموهوبين وقد قيمت أبعاد العلاقة الأبوية بالقبول ألأبوي كما أن المفهوم الشخصي للأطفال تم تقييمه وتنسيقه ب 6 أبعاد (السلوك _السعادة _القلق –الذكاء_ الحالة الدراسية _ المظهر الجسماني)اعتمدت الدراسة على مقياس لتقرير الأطفال عن مخزون السلوك الأبوي , توصلت نتائج هذه الدراسة إلى أن هناك علاقة وطيدة بين القبول الأبوي وإدراك الأطفال الموهوبين للمفهوم الشخصي الإيجابي بنواحيه الستة .أما دراسة شنير لي كارل Schneyer lee Carl 1981 هدفت هذه الدراسة إلى معرفة اختلاف العلاقة الأبوية بالطفل بين مجموعتين من الأطفال إحداهما مجموعة من الأطفال الموهوبين هؤلاء عرفوا على أنهم موهوبين عقليا والمجموعة الثانية أطفال لديهم مشكلات أكاديمية تكونت عينة الدراسة من 27 طفلا منهم 16 طفلا موهوب , و11 طفلا لديهم مشكلات أكاديمية تتراوح أعمارهم بين 8_12 سنة من الطبقة المتوسطة أما عن أدوات الدراسة كانت كالآتي : مقياس المفهوم الشخصي لجامعة تنيسي لتقييم المفاهيم الشخصية الأبوية , ومقياس للمفاهيم الشخصية للأطفال , وفحص الاتجاه الأبوي لجامعة مير لا ند لقياس الاتجاهات الوالدية نحو الأطفال وكانت نتائج هذه الدراسة إلى أنه يوجد اختلافات بسيطة نسبيا في العلاقات الأبوية بالطفل بين عائلات الأطفال الذين لديهم مشكلات أكاديمية لصالح عائلات الأطفال الموهوبين .

أما دراسة جونسون ج لورنس & ليمان بيفر سميث Johnson J lawrence Lewman B Smith 1990 تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مدى إدراك الآباء لنبوغ وموهبة الأولاد والبنات الصغار الموهوبين وإدراك النبوغ والموهبة تكونت عينة الدراسة من 150 واستخدمت اختيارات الذكاء كأداة رئيسية لها وتبين من نتائج الدراسة أنه لا يوجد اختلاف في حاصل الذكاء للأولاد والبنات إلا أنه وجد اختلاف في إدراك الآباء لملامح نبوغ وموهبة أطفالهم الموهوبين من خلال إدراكهم لوقت فراغ أطفالهم وكيفية شغله والمؤشرات المبكرة للقدرات العقلية والكتب المفضلة لأطفالهم ,أما دراسة لوسير كاثرين

ماري LUSSIER CATHERINE MARY 1996 تهدف هذه الدراسة إلى مقارنة بين الأطفال الموهوبين عقليا وبين الأطفال غير الموهوبين قبل مرحلة المراهقة في خمسة أنماط العلاقات الشخصية (الأم, الأب , الأخ أو الأخت , أقرب الأصدقاء المدرس) وافترضت الدراسة أن الأطفال الموهوبين وغير الموهوبين سوف يدركون علاقاتهم بشكل متماثل , وقد تكونت عينة الدراسة 107 طفلا تتراوح أعمارهم ما بين 11_13 سنة وقد اعتمدت الدراسة على قائمة شبكة العلاقات كأداة رئيسية لها توصلت نتائج الدراسة إلى أن الأطفال الموهوبين عقليا يختلفون بدرجة كبيرة في علاقاتهم الشخصية عن أقرانهم من الأطفال غير الموهوبين .

3_تعريف الموهبة :

تعريف الموهبة لغة " جاء في ابن منظور الموهبة تعني العطية وموهبة بكسر الهاء أي معدا وقادرا وأوهب لك الشيء أعده إذا دام والموهبة هي وهبه الله الشيء يهب هبة .

أما التعريف الاصطلاحي فهناك الكثير من المفاهيم التي تتدخل مع مفهوم الموهبة وقد أظهر الاستقصاء الذي أجراه تيرمان Terman 1925 ومعاونوه حيث قاموا بمتابعة أفراد موهوبين مدة أربعين عاما (857 ذكرا , 671 أنثى) توصلوا أن ذكاء هؤلاء (150) فما فوق , وهذا يؤكد على الاتجاه الذي كان يعتبر نسبة الذكاء هي المحك الأساسي للتعرف على الموهوبين وفي الوقت نفسه يوجد بعض الدراسات التي ترى أن نسب الذكاء ليست محكات للموهبة(شاكر عبد الحميد 1995 , ص 75), أما يوسف أسعد 1985 يرى أن الموهبة تشير إلى الاستعداد الفطري الذي يعين على القيام بنوع معين من العمل وهو ما يتطلب اكتساب المهارة (يوسف ميخائيل أسعد , 1985 ص 24) وقد عرف المكتب الأمريكي للتعليم الموهبة بأنها المقدرة أو القدرة في أي مجال من المجالات الآتية (القدرة العقلية , الكفاءة الأكاديمية الإبداع , القيادة , فنون الأداء في المجالات المختلفة) .

كما تعرف الموهبة على أنها تلك القدرة الرائعة التي تجعل الطفل عند القيام بنشاط ما إن يظهر أداؤه بتميز في هذا المجال وتجعله متفردا وممتلكا لخصائص وسمات يحتمل ألا يمتلكها الآخرون . (فتحي عبد الرحمن جروان 1988 ص 476)

وتشير باربارا كلارك Garbara Clark في تعريفها للموهبة على أنها " قدرة فطرية أو استعداد موروث في مجال واحد أو أكثر من مجالات الاستعدادات العقلية والإبداعية والاجتماعية والانفعالية والفنية , وهي أشبه بمادة خام تحتاج إلى اكتشاف وصقل حتى يمكن أن تبلغ أقصى مدى لها . (فتحي عبد الرحمن جروان 1988 ص 476)

كما يعرف معجم الطفولة " الموهبة " (منحة أو عطية إلهية للفرد ويتمايز بها عن نظرائه في مستويات الإدراك والذكاء وسرعة ودقة إنجاز نشاط متميز)(أحمد زلط ، 2000 ، ص 178) والموهبة تعني القدرة على الابتكار في تحصيل الفرد في مجال أو أكثر .

الموهبة " تعرف على أنها توضيح أو كشف للقدرات العالية والمستوى العالي في الإبداع والقدرة على التعبير عن الجديد غير التقليدي وطرح الأفكار مبتكرة لحل المشكلات التي تواجه الأفراد , كما تشير الموهبة إلى المستويات العليا أو المرتفعة لحب الاستطلاع والأضواء والانطلاق .

4_ مفهوم الطفل الموهوب :

كما يراه جابر عبد الحميد 1972 " الطفل الموهوب هو الذي يحصل على درجة أعلى من نقطة معينة في اختبارات الذكاء وهي أعلى من 140 و كذلك يحدد بالدوين Baldwin 1965 " الطفل الموهوب معتمدا على معامل الذكاء مستخدما اختبار ستنافورد بينيه أما دير 1964 Durr أن الطفل الموهوب هو من لديه استعداد أكاديمي مرتفع وهو ما أكده جيلفورد وتورانس عندما ذهبا إلى أن الموهوب هو المتفوق العقلي وأيضا المبدع (محمد خيري محمود ,2000 ص 61)

أما فاخر عاقل 1975 " أن صفة الموهوب تعني قدرة عقلية عالية في حين تعني صفة العبقري إنجازا عظيما جدا وأصيلا تماما (فاخر عاقل, 1975 ,ص 38)

كما يشير بول ويتي Poul Witty للطفل الموهوب بأنه الطفل الذي يتصف بالامتياز المستمر في أي ميدان هام من ميادين الحياة . (بول ويتي , ت صادق سمعان , 1958 ص 16)

أما الأطفال الموهوبين فهم كما يرى أوجليفي Ogilivie 1973 كل طفل متميز في أي من القدرة العامة أو القدرة الخاصة , وقد مسح (D E S 1973) الأطفال الموهوبين على أنهم :

1. الذين تعترف بهم مدارسهم أنهم خارقين للقدرة العقلية العامة حيث يؤكد ذلك باستخدام اختبار ذكاء فردي مقنن بحيث لا تقل درجة الفرد عن 130 .
2. الذين يظهرون مستوى نام ومتطور وخارق في أدائهم لاختبارات التحصيل المتسقة مع ما سبق أن درسوه في الأعوام السابقة .
3. الذين يظهرون تنبؤ بنمو تحصيلي فائق وسريع في المجالات الأكاديمية أو الموسيقية أو الرياضية أو الفنية(رشيدة عبد الروؤف رمضان,1998 ص 275)

ويشير شور ماير SHORE MAIER 1982 بأن الطفل الموهوب هو الذي يكون لديه قدرات غير عادية قد تكون سلوكية أو اجتماعية أو عقلية أو فيزيقية حيث يؤخذ في الاعتبار دائما أنه في حاجة إلى برنامج تعليمي خاص.

5_ سمات وخصائص الأطفال الموهوبين :

من بين الملامح العامة التي يتسم بها الموهوبين وأكدته الدراسات والأبحاث ومنها دراسة لويس تيرمان 1921 التي تمت على حوالي ألف طفل موهوب وكانت دراسة طولية وتتبعيه واستخدمت اختبارات الذكاء من 140 فأكثر وقد توصلت هذه الدراسة أن الأطفال الموهوبين لم يكونوا من السهولة في الانقياد أو أنهم أنماط غير اجتماعية وكانوا يميلون إلى زيادة

في الطول عن المتوسط أو أصحاء جسمانيا وغالبا ما كانوا في أماكن قيادية(عبد السلام علي سعيد,1986 ص202)

وقد أشارت دراسة كل من والاس وكوجان WALLACE AND KOGAN إلى أن الموهوبين مجموعة من السمات والخصائص هي الإقدام وعدم التردد والميل إلى صداقة وصحبة الآخرين والتحلي بقدر عال من الثقة بالنفس والنظر بشكل إيجابي للذات والتمتع بأعلى قدر من التركيز والانتباه والميل الشديد إلى العمل الأكاديمي وكذلك تحمل القلق والضغط بمستوى متوسط كما أن للموهوب قدرة عالية على الشعور بالحرية وضبط النفس (رمضان محمد القذافي,ص 114)

كما حددت دراسة كوكس COX 1926 مجموعة من السمات العقلية والسمات الانفعالية والدافعية للأطفال الموهوبين حيث ترى الدراسة أن السمات العقلية للموهوبين هي استقلال التفكير, دقة الملاحظة قوة الذاكرة , سرعة الفهم والأصالة والابتكارية وعمق الفهم والعمل الذهني يكون مكرسا للمشروعات الخاصة, أما السمات الاجتماعية والانفعالية والدافعية للموهوبين هي الثقة بالنفس ويقظة الضمير , واتساع دائرة التأثير في الآخرين وشدة التأثير في المقربين إليه والرغبة في القيادة وفرض الإرادة وصحة تقديره لذاته وصحة تقديره لمواهبه الخاصة والثقة في قدراته وتكريس الجهد لأهداف بعيدة والمثابرة والبعد عن المعوقات وثبات الجهد والرغبة في التفوق (رشيدة عبد الروؤف ، ص292)

كذلك يتمتع الموهوبين بسمات وخصائص عديدة منها التحصيل العالي مقارنة مع غيرهم ممن ليس لديهم موهبة وأيضا يتمتعون بالتفكير العقلاني المتفرد والمتأني وهم كثير والجدل والمناقشة والاستفسار .

والطفل الموهوب يتسم بالإحساس بالمشكلات والقدرة على إنتاج كثير من الأفكار والحلول الجديدة والاتجاه المرن نحو حل هذه المشكلات وهو أقل قلقا وأقل حاجة للدفاع عن نفسه

وأكثر استعداد للاعتراف بأخطائه , ويميل إلى الاستقلال والتمتع بالكفاءة الذاتية ويتمتع أيضا بمستوى عالي من الواقعية واحترام الذات

أما من الناحية الوجدانية والاجتماعية فترى ماريال شيفل أن الطفل الموهوب يتمتع بالسمات التالية

1. يتفوق في السمات المحبوبة للشخصية وأكثر تعاونا مع الناس .
2. أكثر حساسية لروح الفكاهة ولديه قدرة أكبر على نقد نفسه .
3. أقل ميلا للفخر بنفسه أو المبالغة في تقدير عمله .
4. أكثر تفضيلا للألعاب التي تقوم على القواعد والأنظمة أي الألعاب المعقدة التي تتطلب تفكيرا ويكون أكثر ابتكارا لشخصية خيالية يلعب معها (ماريان شيفل ترجمة رياض عسكر , 1958 ص 22)

وقد أشار كمال حسن بيومي إلى قائمة تضم مجموعة من سمات الطفل الموهوب وتشمل هذه القائمة ما يلي :

1. ميل الطفل الموهوب إلى طرح وإثارة الكثير من التساؤلات والتعلم بشكل أسرع ممن حوله .
2. لديه ذاكرة قوية جدا .
3. لديه حب الاستطلاع قوي فضلا عن قدرة غير عادية في التركيز على موضوعات ذات اهتمام .
4. يتمتع بالقدرة على صياغة المشكلة وحلها وهو غالبا يفتقد المراحل المتوسطة في النقاش ليصل مباشرة إلى الحلول النهائية .
5. لديه خيال غير عادي .
6. يظهر مشاعر وأراء قوية ولديه حس غريب للمزاح .
7. الميل إلى الكمال والمستويات العليا للأشياء (كمال حسن بيومي , ص 11)

6 _ طرق الكشف عن الموهوبين في الأسرة :

أصعب ما قد يتعرض له الطفل الموهوب هو عدم اكتراث والديه بمواهبه العقلية أو الفنية وقد يصل الأمر بالوالدين إلى الحد من هذه المواهب وفي بعض الأحيان لا يشعر أولياء الأمور بتلك المواهب التي لدى طفلهم ، ولكن في كثير من الأحيان يخشى الأولياء أن يحول نبوغ الطفل دون تفاهمهم معه فلا يستطيعون بعد ذلك كبح جماحه , أو خشية أن هذه الموهبة قد تحول دون تكوين علاقات طيبة بينه وبين الآخرين (علي سليمان , 2000,ص 21)

إن اكتشاف الموهوبين والتعرف عليهم من الأمور الصعبة ولكنها ليست مستحيلة ولقد توصل العلماء إلى العديد من الطرق والأساليب التي تساعد على اكتشاف الموهوبين والتعرف عليهم يرى تيرمان terman في دراسته الشهيرة أن درجة 140 على اختبارات الذكاء هي الحد الأدنى للطفل الموهوب , ويرى لاكتيو lacito من خلال هذا التحديد أن الأطفال الموهوبين هم أولئك الأفراد الذين يمتلكون قوى ذهنية كامنة في مستوى تفكير عالي النوعية منتج وبإمكانهم أن يعالجوا مشاكل المستقبل ومبتكرين .

8_ حاجات الموهوبين :

يحتاج الأطفال الموهوبين إلى فرصة لتطوير الهوية وتدعيم الإحساس بالأمن وتزويد القدرة الثقافية والنوعية بتعميق وفهم الآخرين لهم (مجدي عبد الكريم حبيب , 2000 ص 112)كما تشمل حاجاتهم إلى ما يلي :

1. الحاجة إلى مزيد من الإنجاز ليناسب ما لديهم من قدرة عالية ودافعية نحو ما لديهم من قدرات وإمكانات .
2. الحاجة إلى مزيد من تقدير الآخرين ليناسب ذلك مع ما يشعر به الموهوبون نحو أنفسهم وما تؤكده إنجازاتهم .
3. الحاجة إلى مزيد من الرعاية والاهتمام والتوجيه ليناسب دقة المهمات .

4. الاندماج الاجتماعي ليوفر الأصدقاء والعمل المتعاون مع الآخرين ولكي لا يشعر بالغربة (سعد حسني العزة , 2000 ص 71)

9_ رعاية الطفل الموهوب في الأسرة :

إن رعاية الموهوبين تتطلب تضافر الجهود خاصة داخل الأسرة , لأن الأسرة تلعب دورا مهما وكبيرا في تنمية ورعاية قدرات هؤلاء الأطفال , ومن هنا فإنه يجب على الآباء الذين يرغبون في أن يكون أبناؤهم مبدعين في العلم والفن والأدب أن يتبعوا أسلوبا معينا في تربية أبنائهم بحيث يقوم هذا الأسلوب على التماسك والدفء والقبول والحرية (عبد الرحمن عيسوي ص 81) كما لا بد من إعطائهم الفرصة لكي يشعروا بالثقة في أنفسهم وفي شخصياتهم ومساعتهم على فهم المتطلبات السيكولوجية , ويبدأ دور الأسرة في تنمية موهبة الطفل منذ بزوغ الموهبة أو العلامات الأولية الدالة عليها ، بل إن الأسرة تساهم في اكتشاف هذه الموهبة من خلال ملاحظة مظاهر التميز لدى طفلها , ورعاية الأسرة للطفل الموهوب تحتاج إلى مضاعفة مجهوداتها للعمل على توفير هذه الرعاية وتتجه نحو معرفة الصعوبات التي تواجهه وإزالتها إتاحة الفرصة لكي يمارس هواياته ومواهبه دون أي ضغوط وقيود , والأهم من ذلك هو توفير مقومات التوافق داخل الأسرة وتوفير الحب والأمان وتوفير مستوى اجتماعي واقتصادي وثقافي مناسب (رمضان محمد القذافي , ص 225)

ويتمثل دور الأسرة في تنمية طفلها الموهوب فيما يلي :

1. توفير الحاجات المادية مثلا طفل لديه موهبة الرسم ولا يجد الأدوات اللأزمة لرسم لوحه
2. الحاجة إلى التقدير فدائما الطفل الموهوب بحاجة إلى التقدير من قبل الآخرين والتشجيع لمواصلة موهبته ولفت انتباه إلى من حوله في المنزل إلى أهمية ما يقوم به هذا الطفل من عمل يستحق عليه الثناء والتقدير لزيادة ثقته بنفسه وتشجيعه على مواصلة الإبداع

3. الحاجة إلى الحب والتقبل ذلك لن الطفل الموهوب يشعر بأنه طفل مختلف عن أقرانه وقد يشعر بالنبذ وعدم التقبل .
4. الحاجة إلى وقت الفراغ لكي يمارس الطفل موهبته بحرية واستقلال , وأن يتسم توزيع الوقت توزيعا مناسب بين احتياجات الدراسة واحتياجات الموهبة ويساعده على التوفيق بينهما , هذا بالإضافة إلى اللعب وممارسة حياته بشكل طبيعي .
5. تهيئة الجو النفسي الملائم للأطفال الموهوبين داخل الأسرة حتى يشعروا بالتقبل والاطمئنان الداخلي , ومعالجة النزاعات الأسرية والاتجاهات الوالدين غير السوية وسخرية الإخوة من الطفل الموهوب والإقلال من تسلط الوالدين وقسوتهم وإهمالهم .
6. توفير جو من الحرية داخل المنزل وعدم منع الطفل الموهوب من ممارسة مواهبهم وهواياتهم , وعدم إجبارهم على إطاعة الأوامر داخل الأسرة دون مناقشة .
7. ممارسة أساليب المعاملة الوالدية السوية مع أطفالهم والبعد عن الأساليب السالبة التي تؤثر بالسلب على مواهبهم مما يؤدي إلى كبتها وتلاشيها .

المراجع :

1. بول ويتي ، أطفالنا الموهوبين ترجمة صادق سمعان ، مكتبة النهضة المصرية مصر 1985.
2. رشيد عبد الرؤوف رمضان ، آفاق معاصرة في الصحة النفسية للأبناء ، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع ، 1998 .
3. رمضان محمد القذافي ، رعاية الموهوبين والمبدعين ، المكتبة الجامعية الإسكندرية 2000 .
4. سعيد حسني العزة ، تربية الموهوبين والمتفوقين ، الدار الدولية للنشر والتوزيع 2000 .

5. عبد السلام عبد الغفار ، مقدمة في علم النفس العام ، دار النهضة القاهرة ،1971.
6. علي سليمان ، طفلك الموهوب إكتشافه رعايته توجيهه دار السفير للطبع والنشر والتوزيع القاهرة 2000 .
7. فتحي عبد الرحمن جروان ، الموهبة والتفوق والإبداع ، دار الكتاب الجامعي الإمارات العربية المتحدة ، 1998 .
8. مجدي عبد الكريم حبيب ، بحوث ودراسات في الطفل المبدع ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة 2000 .
9. موسى نجيب موسى ، أساليب المعاملة الوالدية للأطفال الموهوبين ، القاهرة 2003.

شعرية النص الجامع

الدكتور كمال بن عطية

جامعة الجلفة (كلية الآداب واللغات والفنون) /الجزائر

تاريخ الإيداع: 2019/02/07 م تاريخ التحكيم: 2019/02/08م تاريخ القبول:2019/02/09م

ملخص الدراسة :

تحاول هذه الدراسة أن تبحث في مفاهيم الشعرية ، انطلاقا من المصطلح وصولا إلى العلاقات بين الشعرية كحقل معرفي وحقول معرفية أخرى ، وتبحث في الأخير على الشعرية عند الناقد الفرنسي جيرار جينيت الذي أصل للشعرية في الفكر الأوربي اطلاقا من أرسطو إلى الدرس النقدي المعاصر.

الكلمات المفتاحية : الشعرية،الأدبية،جيرار جينيت،النص،النص الجامع

Poetic el'architextualit

Dr. BENATIA KAMAL

University of Djelfa -Algeria-

Abstract:

This study attempts to examine the concepts of poetry, from the term to the relations between poetry as a field of knowledge and other fields of knowledge, and the latter on the poetry of the French critic Gerard Genet, the origin of poetry in European thought at all from Aristotle to the lesson of critical contemporary.

Keywords: Poetry, Literary, Gerard Genet, Text, l'architextual

شعرية النص الجامع

الدكتور كمال بن عطية

جامعة الجلفة (كلية الآداب واللغات والفنون) /الجزائر

إن البحث في الشعرية « poétique » محاولة فحسب للعثور على بنية مفهوميه هاربة دائما وأبدا ومهما نظر في الشعرية وعلى الرغم من كل الكلام الذي قيل فيها ، فسيكون من الأجدى جماليا أن نعّد الشعرية قضية تحمل في طياتها المسكوت عنه ، ولعل اختلاف وجهات النظر فيها واقتصار بعض الآراء على جانب دون آخر ، وصعوبة تحديد المفاهيم بدقة وصرامة دليل على صعوبة القبض على ماهية الشعرية وقوانينها وضوابطها(ناظم ،1994،ص10) ، وهذا ما يجعلنا نردد مع الناقد الفرنسي جيرار جنيت (Gérard Genette) قوله:« إن الشعرية إذن علم غير واثق من موضوعها إلى حدٍّ بعيد ومعايير تعريفها هي إلى حد ما غير متجانسة وأحيانا غير يقينية»(الرواشدة 1999،ص45)،فما هي الشعرية ؟ وما موضوعها ؟ و ماهي الصلات التي توجد بينها وبين علم السر ؟.

لم تكن البلاغة لتفي بغايات الدراسة الأدبية التي يقع على عاتقها إعطاء تفسير ينطوي على موضوعية ما للنص الأدبي ، وبالمقابل فإن النقد الانطباعي والحدسي لم يتوفر هو الآخر على أية موضوعية في تناوله للنصوص ، ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى تهيئة أرضية صالحة لمعالجة النصوص الأدبية؛وتُعنى هذه التهيئة بعملية المعالجة النقدية لهذه النصوص،ومن جانب آخر فقد فقدت الصورة الشعرية مع الشكلانيين الروس مفهومها القديم الذي يعطيها سمة " الهيمنة " على الشعر بوصفه تفكيرا بواسطة الصور حسب التحديد القديم وأصبحت

الصورة وسيلة من وسائل متعددة للغة الشعرية ، وبدءا مع الشكلانيين الروس تبلورت مفاهيم كلية تنطوي على قوانين الأعمال الأدبية ، وقد أجملت هذه المفاهيم تحت مصطلح واحد وهو « الشعرية » وهي تُعنى بقوانين الخطاب الأدبي،وهذا هو مفهومها العام والمستكشف منذ " أرسطو" ، وحتى الوقت الحاضر(ناظم ، 1994،ص05).

1- المصطلح:

إن إشكالية المصطلح تبدو محيرة وشائكة في نقدنا العربي ، وربما كان النقد الغربي متجاوزا إلى حد ما لهذه الإشكالية ، منذ أرسطو حين سمى كتابه بـ (po-etiks) " فن الشعر" أو " في الشعرية " وحمل النقاد الغربيون هذا المصطلح ذاته ، في حين أننا نواجه في مشروعنا النقدي العربي مصطلحات مختلفة لمفهوم واحد،فلقد تم نقل هذه الكلمة إلى العربية أولا ترجمة مباشرة قبل أن يتم إخضاعها إلى علم المصطلح ، وقد دعا عدد كبير من النقاد إلى الالتزام بمصطلح الشعرية فقط ، بينما رأى البعض الآخر الالتزام بما رآه من ترجمة واصطلاح(البدي،2006،ص20)،فترجمها عبد السلام المسدي إلى (الإنشائية)،وترجمها كل من شكري المبخوت ورجاء بن سلامة إلى(الشعرية)،وترجمها عبد الله الغذامي إلى (الشاعرية)،منتقدا ترجمة الكلمة إلى الشعرية لكون هذا اللفظ يتجه بحركة زئبقية نافرة نحو الشعر(الغذامي،1985ص19).

وعلى أية حال؛فإن هذه الترجمات المتعددة والمتباينة تسهم من دون ريب في تصعيد أزمة المصطلح الذي يعاني منه النقد العربي،مما يؤدي إلى تعطيل عملية القراءة والفهم لدى القارئ العربي ، وهذا ما يدعو بإلحاح إلى تبني سياسة مصطلحية- إن صح التعبير- نحل بها أزمة المصطلح ، وذلك من خلال فتح دائرة بحث و نقاش شاملة نتفق من خلالها على وضع

مصطلحات جامعة وموحدة لمفاهيم في النقد والأدب وبهذا فقط نستطيع الخروج من دوامة المصطلح لننتقل إلى التمعن والتدبر في الظواهر الأدبية ومعالجتها.

2- المفهوم:

تهتم الشعرية بالأشكال الأدبية عموما،وليس بالتفرد الخاص لهذا العمل أو ذاك ، وينحصر موضوعها طبقا لأمنية رومان ياكبسون (roman Jakobson) في إبراز الإجابة عن السؤال التالي: ما الذي يجعل من رسالة لفظية أثرا فنيا ؟(ياكبسون ،1998،ص24)؛أي الوظيفة الجمالية للّغة أو بتعبير آخر أدبيتها،فالكلام من أجل الإخبار هو من شأن اللسانيات أو البلاغة أو التداولية أما الحاصل الفني للّغة فهو من اختصاص الشعرية(فاليط،1999،ص99).

جاءت الشعرية لمعرفة القوانين العامة التي تنظم ولادة كل عمل ، مهتمة ببنية الخطاب الأدبي تبحث عن هذه القوانين داخل الأدب ذاته وهي لا تعنّى بتناول الأدب ذاته وإنما تكرّس الجهد لاستنطاق خصائص الخطاب الأدبي؛بوصفه تجليا لبنية عامة لا يشكل فيها هذا الخطاب إلاّ ممكنا من ممكناتها ولهذا لا تبحث الشعرية في هذا الممكن فحسب وإنما في الممكنات الأخرى أو بعبارة أخرى يقصد بالشعرية تلك الخصائص المجردة التي تصنع فرادة الحدث الأدبي أي أدبيته (litterarite) (ناظم،1994،ص17). هاته الخاصية التي تكلم عنها الشكلانيون الروس وميزوها بخصوصية موضوعها عن الممارسات التطبيقية القائمة في اللسانيات التي تخص اللغة وعن البلاغة التي تعالج مختلف أنواع الخطاب(مجموعة من المؤلفين ، 1996،ص35).وحسب "تودوروف T.Todorov " فإنه على الشعرية أن تجيب على عدة أسئلة جوهرية يمكن ترتيبها كما يلي:

1- ما هو الأدب ، وذلك بالنظر إلى الأدب كوحدة داخلية ونظرية أو بتحديد التقاطع الحاصل بين الخطاب الأدبي والأجناس الأخرى .

2- ماهي الوسائل الوصفية الكفيلة بتمييز مستويات المعنى وتحديد مكونات النص الأدبي(عثماني،1990،ص05).

وعموما ؛ فإن الشعرية تعنى أساسا بجماليات النص الأدبي،وإن جماليات الفنون اللغوية أصبحت تطرح من منظور الشعرية الحديثة باعتبارها نظرية أدبية نقدية عامة ، وخصوصا من جهود الشكلانيين الروس الذين وضعوا الأسس لمختلف اتجاهات هذا التيار النقدي العام،أو هي محاولة وضع نظرية عامة ومجردة ومحايثة للأدب،مستنبطة القوانين التي توجه الخطاب الأدبي بموجبها وجهة أدبية،فهي إذن تشخص القوانين الأدبية في أي خطاب لغوي(ناظم ، 1994،ص09).

3- العلاقات:

أ- علاقة الشعرية بالأدبية :

كانت الأدبية أسبق في الظهور في عالم النظرية النقدية الحديثة من الشعرية،وتعتبر من أهم الحقول الموازية للشعرية والأكثر منها قربا ، ويلخص سعيد علوش في كتابه "معجم المصطلحات الأدبية "مفهوم الأدبية في :

1. طابع ماهو خالص في الأدب،أي ماهو شاعري منذ بدايته.
2. ليس موضع علم الأدب هو الأدب،بل أدبيته أي ما يجعل من عمل ما عملا أدبيا.
3. المصطلح مقياس سيميائي يخص النصوص الأدبية وحدها.

4. تعرف الأدبية في النظرية السيميائية للأدب،لكونها تسمح بتميز كل نص أدبي بالنسبة للنصوص غير الأدبية في دراسة الشكلانيين الروس خاصة(علوش،1985،ص36).

من خلال هذا التعريف يظهر أن كلا من الشعرية والأدبية تشتركان في أن لهما غاية واحدة وأنهما تتسمان بالعلمية غير أن الأدبية لم تجد الرواج الكافي للانتشار وسرعان ما طغت عليها الشعرية واقتراب الأدبية من الشعرية في المفهوم والطريقة وصعوبة التمييز بين حدودهما جعل من الأدبية موضوعا أكيدا للشعرية نفسها ؛ تهدف إلى استنباط الخصائص المجردة في الخطاب الإبداعي الأدبي أي الخصائص التي تضفي على الخطاب أدبيته ، فهذه الخصائص هي اختصار الأدبية ذاتها ، وبالتالي فعلاقة الشعرية بالأدبية علاقة المنهج بالموضوع(ناظم،1994،ص36).

ب – علاقة الشعرية بالأسلوبية :

تعنى الأسلوبية بدراسة الخصائص اللغوية التي تحول الخطاب عن سياقه الإخباري إلى وظيفته الجمالية والتأثيرية ، وتنطلق من تساؤل علمي ذي بعد تأسيسي : ما الذي يجعل الخطاب الأدبي الفني مزدوج الوظيفة والغاية ؟يؤدي ما يؤديه الكلام عادة وهو إبلاغ الرسالة الدلالية ، ويسلط مع ذلك على المستقبل تأثيرا ضاغطا به لينفعل للرسالة المبلغة انفعالا ما (ناظم،1994،ص37).

يرى الغذامي أن الأسلوبية تتحد مع الأدبية ليشكلا معا الشعرية،ومن هنا يتضح أن الشعرية تشمل الأسلوبية ، بوصف هاته الأخيرة إحدى مجالات الشعرية فالأسلوبية وصف لخصائص القول في النص دون السياق،في حين أن الشعرية تسعى إلى دراسة الشفرة لتأسيس السياق (الغذامي ،1985 ،ص22/18) .

ج– علاقة الشعرية باللسانيات:

شهدت الدراسات اللغوية تحولا جذريا بفضل ثورة اللسانيات التي انبثقت في بداية القرن العشرين مع عالم اللغة – فرديناند دي سوسير- ،ولم تنحصر أهمية اللسانيات في تجديد الدراسات اللغوية فحسب،بل تعدتها إلى نطاق العلوم الإنسانية الأخرى كالأنثروبولوجيا وعلم النفس والدراسات الأدبية(ناظم،1994، ص66).

وفي إطار الدراسات الأدبية وباعتبار الأدب بأتم معنى الكلمة نتاجا لغويا(تودروف،1990، ص27) كان تعامل الشعرية مع اللسانيات مسألة حتمية،ذلك لأن الشعرية حقل معرفي يقارب النصوص اللغوية ، الأمر الذي يجعلها أكثر تماسا مع منهجية اللسانيات،مما يجعل هذه الأخيرة أكثر تعاملا مع الشعرية التي تهدف إلى تحليل العناصر التي تكون العمل الفني،ويمثل التركيز على الخاصية اللفظية للأثر أحد الاهتمامات الأولية في حقل الشعرية، وبما أن تنوعات البناء اللغوي تعتبر طرفا من الأطراف المنبثقة عن البناء اللغوي الأولي(الأصلي) فإن دراسة القيم المهيمنة في الأثر اللفظي تستند أساسا إلى معطيات اللسانيات وعلة البنيات اللغوية الشاملة ، وهكذا فإن الشعرية كما يؤكدها" رومان ياكبسون " بأن تهتم بقضايا البنية اللسانية تماما مثلما يهتم تحليل الرسم بالبنيات الرسمية ، فإنه يمكن اعتبار الشعرية جزءا لا يتجزأ من اللسانيات، ويترتب عن هذا التحديد ما يلي :

1.اعتبار الشعرية فرعا من فروع الدراسة اللسانية التي تهتم بتنوعات البنية اللغوية خاصة التنوع الذي تهيمن فيه الوظيفة الشعرية.

2.التركيز على القيمة المستقلة للأثر الفني مع انفتاحها على الأنساق الدلالية الأخرى(الغزالي ،2003، ص45).

* سنقوم بعد هذا العرض لمفهوم الشعرية وعلائقها – ولأن المشروعات الشعرية المقدمة كثيرة ومتنوعة- ، بتتبع المشروع الشعري للناقد الفرنسي " جيرار جنيت " الذي عمل على استنباط

مجموعة القوانين التي تحكم الخطاب الروائي بصفة خاصة،وزوّد الدراسات الأدبية بمفاهيم وأدوات تحليلية أظهرت كفايتها وقيمتها الإجرائية في التعامل مع الخطاب الروائي .

الشعرية عند جيرار جينيت :

إن المتتبع لموضوع الشعرية عند "جيرار جنيت " من خلال أعماله ومشاريعه النقدية لابد له أن يلمس التغير الذي طرأ عليها،فبعد أن كانت أعماله الأولى تنطلق من النص كبنية مغلقة لاستكناه آليات اشتغاله وبالتالي تحديد المفاهيم العامة التي تمّكن من تهيئ المقولات التي يستقيم بها كل نص فردي ، أصبح اهتمامه منصبا على المتعاليات النصية (transtextualité) .

أعطى " جيرار جنيت " للشعرية سنة (1979) مفهومها ؛ وهو معيارية النص والتي ترادف أدبية الأدب أي مجموعة المقولات العامة والمتعالية ؛ منها أنماط الخطاب وصيغ التلفظ والأجناس الأدبية ، فالكل يكوّن الشعرية التي موضوعها النص الجامع (l′architexte) (جينيت،1997،ص73).

وفي سنة (1982) ، استبدل جنيت موضوع الشعرية في كتابه أطراس (palimpsestes) الذي يعتبر بحق كتابا جامعا للجهاز المفاهيمي للشعرية وهو المركز الذي تشتتت عنه كل المفاهيم الشعرية والسردية (بلعابد،2008،ص26) ؛ والذي تجاوز فيه الأدبية ليصبح موضوع الشعرية هو المتعاليات النصية؛ويقصد بها كل ما يجعل من نصا ما يتعالق مع نصوص أخرى بطريقة مباشرة أو ضمنية،وقد ضمنها " جنيت " خمسة أنماط وهي : التناص،المناص،النص اللاحق،المتناص ، معيارية النص،وحددها جنيت كما يلي(Genette.1982.p07.) :

التناص(l′ intertextualité):ويقصد بها حضور نص بشكل فعلي أو مضمر في نص آخر، بطريقة واعية أو غير مقصودة كما هو الشأن لدى كريستفا وباختين.

المناص (النص الموازي، paratextualité) : وتحدث فيه عن علاقة النص بعتباته (العناوين، العناوين الفرعية،المقدمات،الملحقات،التصديرات،التعليقات،الهوامش،الاهداءات.... ..)

المتناص (métatextualité):وهي علاقة التعليق التي تربط نصا بآخر يتحدث عنه دون أن يذكره أحيانا.

التعالق النصي (hypertextualité) : ويكمن في العلاقة التي تجمع النص(ب) كنص لاحق (hypertexte) بالنص (أ) كنص سابق (hypotexte) وهي علاقة تقليد أو محاكاة أو تحويل.

النص الجامع (l′architextualité) : وهو النمط الأكثر تجريدا وتضمنا؛حيث يشير إلى علاقة النص بمجموع الخصائص العامة أو المتعالية للجنس الذي ينتمي إليه،لا تفضح عنها إلا إشارات مناصية ، وتتصل بالنوع (شعر، رواية ، مسرحية.....) على اعتبار أن التمييز النوعي يتحكم في توجيه أفق انتظار القارئ ، ومن ثم استقباله للعمل الأدبي.

يعتبر النص الجامع النمط الأكثر تجريدا وتضمنا؛حيث يشير إلى علاقة النص بمجموع الخصائص العامة أو المتعالية للجنس الذي ينتمي إليه،لا تفضح عنها إلا إشارات مناصية وتتصل بالنوع (شعر، رواية ، مسرحية.....) على اعتبار أن التمييز النوعي يتحكم في توجيه أفق انتظار القارئ،ومن ثم استقباله للعمل الأدبي.

يعرض جيرار جنيت في كتابه مدخل لجامع النص مسألة الأجناس الأدبية ويرى أن موضوع الشعرية (poétique) ليس النص بل جامع النص أي مجموعة الخصائص العامة أو المتعالية التي ينتمي إليها كل نص على حدة ونذكر من بين هذه الأنواع : أصناف الخطابات وصيغ التعبير والأجناس الأدبية .ولقد اجتهدت الشعرية الغربية منذ أرسطو في أن تشكل من هذه الأنواع نظاما موحدا قابلا للإحاطة بكامل الحقل الأدبي.ولم تتم تلك الجهود من غير التباسات أهمها التقسيم الثلاثي المعترف به منذ القرن الثامن عشر والذي أسند خطأ لأرسطو نفسه،وهو تقسيم الحقل الأدبي إلى ثلاثة أنماط أساسية صنفت تحتها جميع الأجناس والأنواع الأدبية : الغنائي والملحمي والدرامي ، ويستمر جيرار جينيت في توضيح مسعاه الرامي إلى تفكيك هذه الثلاثية المزعجة بأن أعاد رسم تكونها التدريجي وميز بدقة الأنماط المتعلقة بجامع النص التي تتداخل فيها،ويسعى كما يذكر إلى محاولة لفتح الطريق ولو بصيغة تهكمية أمام نظرية عامة ومحتملة للأشكال الأدبية (جينيت،1997،ص05) .

إعادة تركيب :

حاولت الشعرية بكل اتجاهاتها المعاصرة ،أن تبني تصورا لسبر أغوار النصوص الأدبية من خلال البحث عن التجريد والقوانين التي ينبني عليها النص الأدبي ، وأوكلت لنفسها مسألة التنظير المستقبلي للأنساق والأنظمة البنائية التي يمكن أن تتولد مستقبلا ، وهذا ما جعل البحث في الشعرية مجالا لإهتمامات رواد النقد المعاصرين ، ابتداء بتودروف ومرورا بجيرار جينيت الذي أبدع من خلال مشروعه النقدي في استقصاء الشعرية والبحث في علاقاتها وتحديد أجهزتها المفاهيمية .

قائمة المراجع المعتمدة :

1. البدي أيمن ،(2006)، الشعرية والشاعرية ، ط 01 ، دار الشروق للتوزيع، عمان ، الأردن .
2. برنانط فاليت،(1999).النص الروائي (تقنيات ومناهج) ، ط01، ترجمة : رشيد بن جدو ، المشروع القومي للترجمة .
3. تزفتان تودوروف،(1990)، الشعرية ،ط02 ، ترجمة : شكري المبخوت ورجاء بن سلامة ، دار توبقال للنشر ،الدار البيضاء ، المغرب.
4. جيرار جنيت ، (1997)، مدخل إلى النص الجامع ،ط01 ، ترجمة : عبد العزيز السبيل ، مراجعة : حمود حمادي ، المشروع القومي للترجمة ، المجلس الأعلى للثقافة ،مصر.
5. ناظم حسن ، (1994)، مفاهيم الشعرية (دراسة في الأصول والمناهج والمفاهيم) ،ط01 ،المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء.
6. رومان ياكبسون(1998)، قضايا الشعرية ، ط 01 ، ترجمة : محمد الولي ومبارك حنون ، دار توبقال للنشر،الدار البيضاء ، المغرب.
7. الرواشدة سامح ،(1999)، فضاءات شعرية (دراسة في ديوان أمل دنقل) ،ط01، المركز القومي للنشر ،الأردن .
8. علوش سعيد (1985)، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، ط01 ،دار الكتاب اللبناني ،بيروت ، الدار البيضاء .

9. بلعابد عبد الحق ،(2008) ، عتبات (جيرار جنيت من النص إلى المناص) ، ط01 ، منشورات الاختلاف ، الدار العربية للعلوم ناشرون ،الجزائر ، بيروت ،

10. الغزالي عبد القادر ،(2003) اللسانيات ونظرية التواصل ،ط 01 ، دار الحوار للنشر والتوزيع ،سوريا .

11. الغذامي عبد الله محمد ، (1985) ،الخطيئة والتكفير، ط01، النادي الثقافي الأدبي،جدة ، السعودية.

12. عثماني الميلود ، ط01 ،(1990) شعرية تودر وف ، عيون المقالات ، دار قرطبة ، الدار البيضاء ، المغرب.

13. مجموعة من المؤلفين ، (1996)مفهومات في بنية النص، ط01، ترجمة : وائل بكر ، دار معد للطباعة والنشر والتوزيع . سوريا.

14. Gérard Genette (1982) .. Palimpsests . ed du seuil. Paris

الحجاج واستراتيجيات التأويل؛
مقاربة مفهومية في ضوء البلاغة الجديدة ونظريات القراءة

الدكتور محمد قراش

جامعة زيان عاشور الجلفة. الجزائر

تاريخ الإيداع: 2019/02/07م تاريخ التحكيم:2019/02/08م تاريخ القبول: 2019/02/09م

ملخص المقالة :

يعرض المقال تحليلا نظريا للعلاقات المفهومية بين الحجاج والتأويل في ضوء مقاربتي البلاغة الجديدة ونظرية القراءة . يهدف الحجاج الى تحقيق إذعان المخاطب عبر تقنيات الخطاب ، مستمدا حججه من توظيف معطيات السياق المرجعي لجمهور المتلقين التي تتحكم تلقائيا بعمليات الفهم والاقتناع. لذلك تبقى نتائج الحجاج احتمالية خاضعة للتفاعل مع النشاط التأويلي لسلطة القارئ الذي أصبح بناء على" نظرية القراءة "إطارا مرجعيا لبناء المعنى من خلال علاقته الجدلية مع النص حيث يمارس القارئ سلطته الحجاجية عبر استراتيجياته التأويلية باتجاه ملء " بنية فراغات " النص عن طريق التخيل والإسقاط والتمثيل

الكلمات المفتاحية : الحجاج ، الخطاب ، التأويل ، القراءة ، الإستراتيجية ، الجمهور ، القارئ

Argumentation and strategies of interpretation:

A conceptual approach in the light of the new rhetoric and theories of reading

Dr.Mohamed kerrache
University of Ziane Achour . Djelfa . Alegria

:**Summary**

The article presents a theoretical Analysis on the conceptual relations between argumentation and interpretation in the light of the approaches of new rhetoric and reading theory :The argumentation seeks to persuade the interlocutor through speech techniques. His argument is derived from the use of contextual reference data for the audience of recipients who automatically control the processes of understanding and persuasion . Hence, its results remain subject to its interaction with the interpretive activity of the reader's authority. The reader, who since "reading theory" has become a critical frame for the construction of meaning within an interactive dialectical relationship between the text and the reader, whose argumentative power is exercised through its interpretive strategies towards filling the "structure of the spaces" of the text by Imagination, projection and representation

The Keys Words:
Argumentation.Discourse.Interpretation,Reading,Strategy,Audience, Reader

الحجاج واستراتيجيات التأويل؛
مقاربة مفهومية في ضوء البلاغة الجديدة ونظريات القراءة

الدكتور محمد قراش

جامعة زيان عاشور الجلفة. الجزائر

مقدمة / الخطاب بين الحجاج والتأويل: عتبة المفاهيم

تشكل هذه المفاهيم الثلاثة مرتكزا أساسيا في السياق المعرفي والمنهجي لتحليل الخطاب المعاصر ، لأنها خضعت جميعها الى مراجعات نقدية واسعة ، تناولت أسسها القديمة و أعادت صياغة مبادئها النظرية وتوسيع حدودها المفهومية ، وربما كان الخطاب هو المفهوم الجامع أو المشترك الذي تلتقي في مضماره مختلف العمليات اللسانية والتأويلية في السياق الاجتماعي منذ أن تحول مع فوكو الى حده الأوسع إذ يستوعب في كليته واستمراريته مختلف أشكال الملفوظ أو المنطوق التي" تظهر في تشكيلة خطابية واحـــدة". (الزواوي ، 2000 ،ص:97)مهما تعدد ت استراتجياتها وأنماطها ومقاماتها بين مرسل ومرسل إليه أو بين مخاطب ومتلقي أو بين كاتب وقارئ (الشهري،2003، ص:57). لا يختلف الأمر هنا لأن مدار الفعل يتصل بممارسة التلفظ ضمن إستراتيجية معينة تحددها تلقائيا وإجباريا تركيبة الأوضاع والمقاصد المشتركة بين طرفي الخطاب حيث نظر للخطاب بوصفه عملية تواصلية تحلل فيه الوقائع اللسانية بوصفها محاولة من مرسل لإيصال رسالته إلى متلق مع مراعاة كيفيات وشروط التأثير المتبادلة التي تفرضها وضعية التواصل. (يول وبراون ، 1997، ص: 30)

يتأسس الحجاج – في حده الأدنى – بوصفه إحدى إستراتجيات الخطاب ، ولكنه يتمدد في حده الأقصى الى إستراتيجية محايثة لكل ممارسة خطابية . وهكذا لا يمكن الفصل عمليا بين أبعاد المفهومين وتداخلاتهما إذا اعتبرنا أن كل خطاب هو ممارسة حجاجية . لم تكن بلاغة أرسطو نفسها بعيدة عن هذا التصور إذ هي بحكم طابعها التعددي والاحتمالي قد بنت " عملية الإقناع على عقلنة الخطاب دون إلغاء مبدأ إحداث التأثير بواسطة الأهواء لذلك شملت مجمل أنماط الخطاب البرهاني والاستشاري والقانوني".(الدهري ، 2011،ص : 5) على أن هذا التعميم لتعلق الحجاج بأنماط الخطاب المتعددة عرف في ضوء البلاغة الجديدة – لدى بيرلمان– تأسيسا شاملا لا يتصل بحضور الآليات الحجاجية ضمن الممارسة الخطابية فحسب ، وإنما ينظر الى طبيعة الحجج ذاتها التي يتوخى فيها التطلع الى مصداقية كونية ومستمع كوني ، ولذلك " يعتبر الحجاج خطابا ذا استدلال منظم باحث عن منطق للقيم متوجه الى مستمع كوني . ثم إنه في الشق الآخر يسخرها لاستجلاب مؤازرة الآخرين التي لا تتم إلا داخل فضاء تفاعلي يراعي الاعتبارات الذاتية التي عمل النموذج العقلاني على تلافيها ، ولذلك فإن نظريته للحجاج تقوم على تصور الحجاج بوصفه فعلا متصلا بسياق نفسي واجتماعي وثقافي ، وباعتباره تصنيفات من التقنيات الحجاجية المجردة في الآن نفسه". (الدهري ، 2011،ص : 6-7)

هكذا يتحول الحجاج – كفعل يتصدى لتحقيق الإقناع والاقتناع – الى ممارسة تبني حجيتها بالتفاعل مع السياق النفسي والاجتماعي والثقافي الذي تتشكل فيه ، والذي يحكم سلطة المخاطب وسلطة المتلقي معا ،ولذلك فإن التفكير في قضايا الخطاب كما قضايا الحجاج لن يستكمل عدته المنهجية دون تحليل موقع القارئ المؤول الذي يحتل المركز الحاسم في معادلة الخطاب حيث ينتهي إليه فعل استقبال كل ممارسة خطابية وبناء عالمها الدلالي .ليس التأويل هنا مجرد معنى محتمل أو فعل مضنون بإزاء واقعية الخطاب الناجزة ، ولكنه

واقعية موازية ،يتحقق عملها سواء في مستوى تشكل الخطاب عند التعامل مع الوقائع اللسانية ووقائع العالم التي لا يمكن صياغتها ضمن خطاب منسجم إلا عبر قرار تأويلي يتحقق لدى الكاتب أو المتكلم ،وتنجز بواسطته إستراتيجية الخطاب ، أم في مستوى قراءة الخطاب حيث تتواجه – جدليا – سلطة النص وسلطة التأويل .

ارتبطت مهام التأويل بحقل الهرمينوطيقا التي نقلها منظور شليرماخر من حدودها اللاهوتية الخاصة لتصبح علما للتفسير مهمته فهم النص بإعادة بناء تجربة المؤلف النفسية من جهة ، وتحليل وسيطها اللغوي من جهة ثانية (أبو زيد،1999 ،ص:22) بينما استكمل " دلتاي " عمل شليرماخر باعتبار الهرمينوطيقا مجال الفهم في العلوم الاجتماعية والإنسانية في مقابل العلوم الطبيعية ، في الوقت نفسه تتوسع مهمتها ليس لفهم النص وحده ولكن لفهم تجربة الحياة ذاتها باعتبارها مجالا مشتركا بين المؤلف و القارئ وتتجلى من خلال مشترك هو اللغة ، ولكن الفهم هنا ليس امرأ عقليا ، وإنما معايشة تعبر عن حوار بين تجربة القارئ الذاتية وتجربة المؤلف التي تتجلى موضوعيا في النص. (أبو زيد،1999 ،ص : 27 – 28)
و سواء بدأنا من الحجاج أم بدأنا من التأويل ، فإن منتهى غايتنا هو الخطاب حيث تتحقق استراتيجيات المحاججة في إي نمط خطابي ، تستحضر أو تترقب استراتجيات وآفاق التأويل الممكنة ، تلك الآفاق التي تم تظهير آليات اشتغالها في تشكل النص وبناء عالمه الدلالي ضمن نظريات القراءة المعاصرة حيث يمكننا أن نتفحص تلك العلائق النظرية بين ما أنجزته أطروحة البلاغة الجديدة وما قدمته منظور استجابة القارئ تحديدا.

أولا /منظور البلاغة الجديدة : استراتيجيات الحجاج و سلطة الجمهور

لا يتيسر البحث في سلطة القارئ أو المتلقي بوصفه جمهورا إلا ضمن المفهوم المركزي للحجاج كما ترسيه أطروحة البلاغة الجديدة ، حيث ترتكز حدود المفهوم على النشاط

الوظيفي لأي تقنيات خطابية يمكنها تحقيق الإقناع أو الإذعان لدى السامعين ، ولذلك تتأسس كل ممارسة حجاجية على " تقنيات الخطاب التي من شانها أن تؤدي بالأذهان الى التسليم بما يمر عليها من أطروحات أو تزيد في درجة ذلك التسليم ". (صولة ، 2011 ، ص :13) وهكذا فإن الوظيفة الحجاجية ترتهن بغاية مركزية محددة هي تحقيق الإذعان ، ليكون معيار النجاعة متعلقا على نحو حصري بتلك الغاية ،فإن " أنجع الحجاج ما وفق في جعل حدة الإذعان تقوى درجتها لدى السامعين بشكل يبعثهم على العمل المطلوب إنجازه أو إمساكه أو هو ما وفق على الأقل في جعل السامعين مهيئين لذلك العمل في اللحظة المناسبة ". (صولة ، 2011 ، ص :13)

تتدرج غاية الإذعان – ضمن هذا المنظور – من تحقيق إذعان السامعين بأعلى درجة ممكنة ، الى بلوغ رتبة التهيؤ الى القيام بالعمل المطلوب في لحظة مناسبة ، الى رتبة أعلى هي القيام بالعمل نفسه . وكل تلك الرتب متوقفة في تحققها على دور المتلقي – السامع ، فردا كان أم جمهورا ، الذي لا يمكن تصوره خاضعا مستسلما إزاء طبيعة الطرح أو طبيعة التقنيات الحجاجية التي تعرض عليه ، ذلك أن حقيقة الحجاج ضمن منظور البلاغة الجديدة نسبية مترددة بين الموضوعي والذاتي بحكم أنها " مرتبطة بالمقام ، ولا تكون إلا تحت أنظار الجمهور سواء كان جمهورا كونيا أم خاصا أم متكونا من شخص واحد يحاوره الخطيب". (صولة ، 2011، ص 14) ولذلك فإنها تستهدف مبدأ الاختيار والحرية الإنسانية من أجل تحقيق غاية الاقتناع ،ذلك أن إحدى " مقومات الحجاج ، حرية الاختيار على أساس عقلي". (صولة ، 2011، ص :14) مما يقتضى التمييز بين الإقناع الذي يحصل عن طريق الآخرين ، وبين الاقتناع الذي يتحقق به الإذعان الفعلي حيث يكون " المرء في حالة الاقتناع ..قد اقنع نفسه بواسطة أفكاره الخاصة ". (صولة ،2011، ص : 16)

تتعزز فاعلية المتلقي ضمن منظور البلاغة الجديدة بتأسيس مقومات الحجاج على مبدأ الاختيار والحرية الإنسانية وتكمن أهمية هذا التأسيس في كونه يبني حجيته دائما على منظومة القيم والوقائع التي تمتلك مشتركا ثقافيا وتتمتع بالمعقولية الكافية لدى الجمهور حيث تسمح له بممارسة اختيار حر إزاء خطاب الحجاج "إن الحجاج غير الملزم وغير الاعتباطي هو وحده القمين بأن يحقق الحرية الإنسانية من حيث هو ممارسة اختيار عاقل ". (صولة ، 2011 ، ص :16)

يلتزم المحاجج – انطلاقا من مبدأ الاختيار الحر – بمراعاة مقام المخاطبين ، الشرط المبدئي لنجاح أي ممارسة حجاجية ، حيث يتعين على المحاجج أن يجتهد في احتواء موقف المخاطب احتواء تاما بالحفاظ على " ميثاق التواصل بين أطراف الحجاج، من ذلك مثلا أنه لا ينبغي أن يؤسس المرسل للخطاب ناقدا كان أو مبدعا أو خطيبا بناءه الحجاجي بطريقة تعسفية تحريضية يساق من خلالها المعنيون خلسة ". (الأمين ،2004،ص:20) لتكون نتيجة مراعاة ذلك المبدأ – من الناحية المنهاجية – هي الإقرار بسلطة النشاط التأويل الذي يمارسه متلقي الخطاب وتتوقف عليه فاعلية الحجاج نفسه.

إن إحدى خصائص الحجاج – إذا – هي أن تكون نتائجه غير ملزمة بل احتمالية ، ولذلك تتأسس طبيعته الحوارية وانفتاحه على التأويل . ولا تنبعث الحوارية من الطبيعة الاحتمالية لنتائج الحجاج فحسب ، ولكنها تنبثق من تشكل آليات خطاب الحجاج نفسها باستحضار أفق توقع القارئ – المتلقي الذي يجسد منظومة قيم مرجعية مصاغة موضوعيا وتتحكم تلقائيا بعمليات الفهم والتأثر والاقتناع .فإذا كان كل خطاب هو مؤسس ضرورة على خطة حجاجية فإن فاعلية أي ممارسة حجاجية إنما تتحقق عبر تفاعلها مع النشاط التأويلي للقارئ.

لا يتأكد المنحى التفاعلي لمفهوم الحجاج في البلاغة الجديدة من طبيعته الاحتمالية وارتباط غايته جوهريا بإذعان المتلقي ، ولكنه يتجذر أكثر بتأسيسه على مقدمات ضرورية تبنى عليها خطته الحجاجية وهي مقدمات ترتد كلها الى سجل الوقائع (فاولر ، 2012، ص : 310) ، الحقائق ، الافتراضات والقيم الهرمية والمعاني التي تؤثث عالم الجمهور المستقبل لخطاب الحجاج .

فإذا كانت الوقائع" تمثل ما هو مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس،وتنقسم الى وقائع مشاهدة و وقائع مفترضة.." (صولة،2012، ص:24) فإن الحقائق تشكل" أنظمة أكثر تعقيدا من الوقائع : وتقوم على الربط بين الوقائع ، ومدارها على نظريات علمية أو مفاهيم فلسفية أو دينية حيث يقوم "الخطيب بالربط بين الوقائع والحقائق من حيث هي موضوعات متفق عليها ليحدث موافقة الجمهور على واقعة معينة غير معلومة أما الافتراضات فإنها تحظى بالموافقة العامة ولكن الإذعان لها والتسليم بها لا يكونان قويين حتى تأتي في مسار الحجاج عناصر أخرى تقويهما وهي تحدد بالقياس الى العادي والمحتمل وهما يتغيران بتغير الحالات ". (صولة،2011، ص:24)

تغطي الوقائع والحقائق والافتراضات مجال الإدراك لدى المتلقي على تفاوت في ما بينها من جهة اليقين والوثوق بذلك الإدراك بينما تتميز القيم – بنوعيها المجرد والمحسوس – بقوتها التأثيرية الخاصة لأنها تتعلق بمجال الاعتقاد والتصديق ، ومن ثم كان عليها" مدار الحجاج بكل ضروبه...تمثل بالنسبة الى مجالات القانون والسياسة والفلسفة غذاء أساسيا ، فهي التي يعول عليها في جعل السامع يذعن لما يطرح عليه من أراء ". (صولة،2011، ص: 34-35)

على أن أهمية القيم ليست واحدة ولذلك فإنها تخضع لهرمية معينة في درجة التسليم بها لدى الجمهور ، وتختلف تلك الهرمية من جمهور الى آخر و هو " ما يعني أن القيم درجات...إن كل ما يميز كل جمهور ليس القيم التي يسلم بها بقدر ما تميزه طريقة ترتيبه إياها " (صولة،2011، ص: : 34-35) ، ولا تنفصل منظومة القيم ذاتها لدى جمهور معين عن مواقع مشتركة أعم – تصفها أطروحة البلاغة الجديدة لدى بيرلمان وتيتيكا بالمعاني– "تحدد خصائص الأمم الفكرية والأدبية ". (صولة،2011، ص : 26)

من أجل أن نستكمل تحليل المنحى التفاعلي في أطروحة البلاغة الجديدة في ما يتصل بعلاقة المتكلم/ الكاتب بالمخاطب / المتلقي لا بد أن نؤكد أن عملية الاختيار التي ينجزها المحاجج من ضمن سجل الوقائع والحقائق والقيم التي تنتمي الى عالم المخاطبين ، لغاية تحقيق الإذعان بحجية خطابه ، لا تتم بصورة اعتباطية ولا يتم التعامل معها بوصفها كما جاهزا يلقى الى ساحة المتلقي ، وإنما تخضع الى الشرط التواصلي الذي يمكن أن يدلل على مدى حضور تلك المعطيات لدى الجمهور بالنظر الى طبيعة الجمهور نفسه ، فما " هو حاضر في الذهن يكون أهم وهو ما ينبغي على نظرية الحجاج أن تأخذه بعين الاعتبار..."(صولة،2011، ص : 26)

على أن تعددية خطاب الحجاج تستند أيضا الى دور المحاجج في أن يضع تلك المعطيات ضمن رؤية تأويلية معينة " ذلك أن الملفوظ الحجاجي ..يقوم على تعدد الدلالات والتأويلات فهو معطى محفوظ بالغموض فوجب على الخطيب أن يضيف الى مجهوده في اختيار المعطيات الحجاجية مجهودا يبذله من أجل أن تؤول هذه المعطيات التأويل الذي يرتضيه ..مما يجعل كلامه قابلا لتأويلات مختلفة وفي هذه الحالة يكون اختيار المخاطب لأحد هذه التأويلات أو اعتباره الكلام ليس له إلا تأويل واحد إنما يكشف عن نظام معتقداته المخصوص وعن رؤيته الخاصة الى العالم ". (صولة،2011، ص : 26)

إن سجل المقدمات التي تنبي عليها خطط الحجاج يمكن أن ترتد جميعها الى ضربين هما : الواقع ويشمل (الوقائع والحقائق والافتراضات) ، المؤثر ويستوعب (القيم ، الهرمية (المراتب) والمعاني (المواضع))ولذلك يتعضد موقع المتلقي – الجمهور بوصفه السلطة المرجعية التي تصاغ من اشتراطات عالمها الواقعي والمعنوي ومن تراتبية ذلك العالم مختلف الاستراتجيات الحجاجية . ولما كانت المقدمات هي منطلق كل محاجة ، فإنها تعتمد على " الحس المشترك لمجموعة لسانية معينة ، فهو إجماع معتقداتها ومناط موافقاتها بل ومناط موافقة كل عاقل. (صولة،2011، ص : 33)

إن الحجاج الذي ينطلق من جهة الانجاز و المقصد الأول كأداة بيد المتكلم ، ينتهي في تشكلاته العملية كما في خلفياته التكوينية الى شرط مرجعي لسلطة الجمهور المستقبل أي الى فاعلية دور المتلقي ، وهذه النتيجة تفتح الباب واسعا لتوشيج مرتكزات البلاغة الجديدة بمنظور التلقي والتأويل نفسه من أجل البحث في أبعاد سلطة القارئ المؤول – أو في استراتجيات التأويل – على مسارات تشكل الخطاب.

ثانيا / النص والقارئ : الإستراتيجية التفاعلية

توسعت العلاقة المفهومية والإجرائية بين الحجاج والتأويل على نحو شامل ضمن المقاربة التي أرستها نظريات القراءة والتأويل المعاصرة ، حيث صاغت – لأول مرة – وبشكل منهجي النماذج الوظيفية – التاريخية لاشتغال النص بخططه الحجاجية عبر مفاهيم السجل النصي ، والاستراتيجيات النصية ،وتأكدت علاقته التفاعلية الجدلية بين النص و القارئ الذي يمارس سلطته الحجاجية عبر نشاطه التأويلي باتجاه " فراغات " النص و أشكال " البياض " فيه ، بل عبر " طاقة النفي " التي يواجه بها القارئ بعضا من الفرضيات غير المؤسسة التي يتقدم بها الخطاب.

يقوم الأساس المركزي لذلك التوسع على مبدأ التفاعل بين النص ومتلقيه ، وكان ذلك المبدأ في حد ذاته تجليا نظريا لما أرسته فينمنولوجيا " هسرل " عبر مفهومي التعالي و القصدية – في ضوء مراجعاتها لنظرية الإدراك – حين اعتبرت أن الظواهر لا يمكن أن يتحقق وجودها ومعناها إلا عبر الشعور القصدي بها (صالح ،2001، ص: 29) فانتقلت بذلك القيمة الوجودية لأي ظاهرة من حقيقة وجودها الموضوعي المستقل الى حقيقة وجودها – عبر التعالي – عند ارتباطها بالشعور الذاتي لحظة الإدراك ذلك أن " أن معنى الظاهرة قائم على الفهم ونابع من الطاقة الذاتية الخالصة وهذا ما يصطلح عليه بالتعالي فالمعنى هو خلاصة الفهم الفردي ".(صالح ،2001 ،ص: 33-34)

تمثل منظور التلقي نتائج فينمنولوجيا "هسرل" ليبني عليها مقاربته النقدية التي أعادت موضعة منطلق الدراسة الأدبية من مركزية النص الى مركزية القارئ ، ولكن ضمن إستراتيجية تفاعلية تحتفظ بتلك العلاقة الجدلية المكينة بين طرفي المعادلة ، ذلك أن " الشيء الأساسي في قراءة كل عمل أدبي هو التفاعل بين بنيته ومتلقيه...فالنص ذاته لا يقدم إلا مظاهر خطاطية يمكن من خلالها أن ينتج الموضوع الجمالي للنص. بينما يحدث الإنتاج الفعلي من خلال فعل التحقق ومن هنا يمكن أن نستخلص أن للعمل الأدبي قطبين : قد نسميهما : القطب الفني والقطب الجمالي :الأول هو نص المؤلف والثاني هو التحقق الذي ينجزه القارئ ". (صالح ،2001 ، ص:33)

اشتغلت نظرية القراءة على النص الأدبي ولذلك ارتبطت مفاهيمها التفصيلية بشأن علاقة النص بالقارئ بالحدود الجمالية والأدبية ، ولكن جوهر التحليل واحد فيما يتصل بإبراز الطابع الجدلي الحواري بين طرفي العملية الإبداعية ، ذلك أن النص يتخذ إستراتيجيته على تظهير خطاطة أولية غير مكتفية بذاتها بل منفتحة – إجباريا – في سبيل تحققها الفعلي ، أي تحقق موضوعه الجمالي ، على سلطة القارئ ، إننا مبدئيا بإزاء نصين : نص المؤلف

الذي فقد وثوقيته المسلم بها و المعهودة وتحول الى مجرد" مظاهر خطاطية" والنص الفعلي الذي لا ينجز بمجرد ظهوره المادي للعيان – مكتوبا – وإنما عند تفاعل القارئ به . ويستجيب هذا المنحى ذاته الى النتائج التي انتهت اطروحة الانسجام في لسانيات النص ففي إجابتها عن سؤال حول العوامل التي تجعل من نص ما أو متتالية لسانية ما منسجمة اعتبرت أن " الانسجام ليس خاصية مرتبطة بالنص بقدر ما هو نتيجة استراتجيات ، إجراءات يستعملها القراء من أجل بنائه داخل العمل انطلاقا من إشارات النص ذاته . الانسجام ليس داخل النص إنه يقرأ من خلاله، إنه يفترض فاعلية القارئ ". (Maingueneau 2007.p: 2)

نلتمس هنا ذلك التداخل النظري بين منظور الحجاج من جهة ومنظور التلقي من جهة ثانية في مسار الإستراتيجية الحجاجية التي ينجزها الخطاب تجاه المتلقي سواء كان مستمعا جمهورا بالنسبة الى مقام المحاجة أم كان قارئا بالنسبة الى مقام التلقي الأدبي الجمالي ، ذلك أن الاستعدادات التي ينجزها النص الحجاجي لغاية التحقق – عبر الإذعان – لدى الجمهور المستقبل تتماهى مع الاستعدادات التي يقدمها العمل الأدبي من أجل أن تحقق موضوعه الجمالي لدى القارئ . لا شك إن ذلك التماثل دفع بعض الباحثين الى القول : " إن التأويلية المعاصرة تتقاطع مع كل من نظرية التلقي في اهتمام كل منهما بالقارئ والنص من حيث قدرة الأول وانفتاح الثاني كما تلتقي مع بلاغة الحجاج في أن التعامل مع النص قراءة وتأويلا...ليس في الحقيقة سوى حوار حجاجي. (الأمين، 2011، ص: 24)

ومهما اختلفت الصياغة النظرية بين الحقلين – الحجاج ونظرية القراءة – فإن البنية الحوارية الحجاجية تكشف عن نفسها بوضوح في الصياغة النظرية لعلاقة النص بالمتلقي في ضوء منظور الاستقبال ، ولذلك انتهى آيزر الى تأكيد آثار الطابع الحجاجي التفاعلي على قطبي العمل الأدبي عندما لاحظ أنه "يجب حتما أن يكون العمل الأدبي فاعلا في طبيعته ما

دام لا يمكن اختزاله لا الى واقع النص ولا الى ذاتية القارئ وهو يستمد حيويته من هذه الفعالية. وعندما يمر القارئ عبر مختلف وجهات النظر التي يقدمها النص ويربط الآراء والنماذج المختلفة بعضها ببعض فإنه يجعل العمل يتحرك كما يجعل نفسه يتحرك كذلك).(آيزر ، 1994 ، ص:12)

لا تقتصر العلاقة التفاعلية الحجاجية بين النص والقارئ على لحظة الاستقبال والقراءة وحدها ، ولكنها تندرج ضمن إطار جدلي بالغ التعقيد ، يحكم مسار التكوين والتشكل نفسه الذي يقطعه النص من لحظة الاستعداد و الظهور الى لحظة القراءة ، فعبر ذلك المسار يمكن رصد تشكلات البنية التفاعلية الحجاجية التي تصوغ تاريخا مندمجا غير قابل للفصل لفاعلية النص والقارئ .

يرتهن وجود النص الأدبي لحظة إبداعه بتلك العلاقة الإجبارية التي يدين بها المبدع – في سياق نظامه الثقافي واللغوي – الى " أفق انتظار أو توقع " يرسم على نحو تلقائي في وعي المبدع /الكاتب خطة النص وأطره الفنية . يرتد مفهوم الأفق الى منظور الفلسفة التأويلية حيث كان جادامير قد طور حدوده في مضان تحليله لعمليات الفهم التاريخي بهدف الوصول الى " رؤية الماضي في ضوئه هو و ليس في ضوء معاييرنا وأهوائنا المعاصرة بل في داخل أفقها التاريخي . إن مهمة الفهم التاريخي تعني أيضا تكوين أفق تاريخي ملائم حتى يكن النظر إلى ما نحاول فهمه في أبعاده الحقيقة ".(حمودة ،1998،ص:383-284)وينطبق هذا الإجراء ذاته على إمكانيات فهم النصوص التراثية حيث يعاد استيعابها ضمن شروط الوعي التاريخية التي أنجزتها ومن دون ذلك لن يكون بوسعنا "فهم أهمية ما يجب على النص أن يقوله ...يجب أن نضع أنفسنا في أفق الآخر حتى نفهمه". (نفسه) وتتوفر في ضوء هذا التصور إمكانية فهم القارئ المعاصر لأفق القارئ التاريخي وإعادة بناء الأسئلة والطرق التي تناول بها النص التراثي .

حلل جادامير أبعاد هذا المفهوم المركزي مبرزا طابعه الحواري الجدلي في ضوء حركية الحياة الاجتماعية والثقافية كما في ضوء حركية العلاقة بين الماضي والحاضر ولذلك فإن تشكل الأفق يخضع باستمرار لتداخل المواقف وتشابكها داخل الثقافة الواحدة وضمن صيرورة لا ينفصل فيها الموقف الفردي عن الموقف الجماعي ، ولكنه يتغير باستمرار مصاحبا التحولات التي تصيب الحركة التاريخية للحياة الإنسانية " إن الحركة التاريخية للحياة الإنسانية تقوم على حقيقة أنها لا ترتبط أبدا بموقف واحد مع ، و من ثم لا يمكن أن يكون لها أفق واحد مغلق .إن الأفق شيء ندخله ويتحرك معنا". (حمودة ،1998،ص:383-284)

لا تقتصر حجاجية مفهوم الأفق وجدليته في مستوى العلاقة بين الأنا والآخر أو بين الفرد والمجتمع ولكنها تأخذ مدى أوسع في حركية أفق الحاضر نفسه ، ذلك الذي لا يمكن تصوره ثابتا أو منفصلا ، إذ هو " في حالة تكون مستمرة لأننا نضطر دائما لاختبار أهوائنا ، و جزء مهم من عملية الاختبار هذه تحدث عند التقائنا مع الماضي وفي فهما للتقاليد التي انحدرنا منها. من ثم لا يمكن تكوين أفق الحاضر دون الماضي فلم يعد هناك أفق حاضر منعزل في حد ذاته " (حمودة ،1998،ص:383-284 نفسه)وهكذا تتعدد الآفاق بين الماضي والحاضر وتتداخل نتيجة تلك الديمومة ، وفي ضوئها أو في ضوء امتزاجها تتحقق عملية الفهم " إن الفهم دائما عملية مزج لهذه الآفاق التي يفترض وجودها في عزلة ".(حمودة ،1998،ص:383-284)

تتداخل الآفاق بين الحاضر والماضي ، كما تتداخل آفاق الحاضر فيما بينها ، وينطوي ذلك التداخل على صراع دائم ينعكس في مستويات الجدل والاختلاف التي تحكم العلاقة بين المؤولين، حيث يعتقد كل مؤول أن الآخر يوجه آراءه "إليه بغية خلخلة بنائه الحجاجي الذي يؤسس فهمه وقراءته عليه ..وبالتالي قد يجد نفسه مضطرا الى إعادة النظر في تصوراته وأطروحاته بغية تقديم التأويل الأحسن أو الأكثر انسجاما ". (الأمين،2011،ص:36-

37). إن تعددية الآفاق واختلافها بل صراعها الدائم هو ما يجعل استراتيجيات التأويل التي يؤسسها مفهوم الأفق في حالة تحول وجدل دائمين يكرسان التأويل بوصفه موقفا حجاجيا مفتوحا . إن المعرفة ذاتها تتحول في منظور هرمينوطيقا جادامير الى مسألة، يشارك الجميع في صنعها عبر حوار الآفاق وجدالها الدائم.(الأمين،2011،ص:36-37)

استعاد ياوس مفهوم الأفق بكل تعقيده النظري وصاغ محدداته بعناية انطلاقا من المجال الخاص للدراسة الأدبية ، حيث لا يتجسد ذلك الأفق في صورة كم معرفي مجرد و إنما ينهض على محددات مركزية في المستوى الاجتماعي الثقافي للفن الأدبي ولذلك عرفه ياوس بقوله : (نظام المرجعيات المصاغ موضوعيا الذي يلخص بالنسبة الى أي عمل في اللحظة التاريخية حيث يظهر عوامل أساسية ثلاثة :التجربة المسبقة التي يكتسبها الجمهور عن الجنس الأدبي،المعرفة اللازمة بشكل الأعمال الأدبية السابقة وموضوعاتها ،التعارض بين اللغة الشعرية واللغة العملية وبين العالم الخيالي والحقيقة اليومية ...). (2010. p : 54 Jauss)

تشكل تلك المحددات مرجعية إنتاج النص الأدبي لدى الكاتب/ المبدع بوصفها معايير أولية يصوغ في ضوئها خططه النصية ، ولكنه يشكل في الوقت ذاته مرجعية القارئ المستقبل إزاء ما يواجهه من نصوص . إن الصفة الموضوعية التاريخية للأفق هي ما يجعله سلطة مرجعية لصياغة فعلي الإبداع والقراءة في الآن نفسه. و إذا كان الكاتب أو المؤلف يترسم خطى أفق التوقع لحظة إنشاء الخطاب ، فأنه يعيد موضعة استعدادات القارئ و محدداته – بصورة فنية – داخل النص نفسه.

ثالثا/ من حجاجية النص الى حجاجية القارئ

لم ينته إبراز العلاقة الجدلية بين النص والقارئ عند هذا الحد ، ولكنه قاد تفحصا أدق في تحليل ذلك التموضع الذي يحققه القارئ داخل النص عبر ما دعاه آيزر " القارئ الضمني " ، ذلك أن التفاعلات التي يحققها النص بالقارئ تتجاوب مع مسار التشكل الذي يحكم النص. ففي لحظة ظهور النص وإنشائه يكون القارئ سلطة فنية مرجعية ملتبسة بوعي المؤلف ، وعند ظهور النص تكون تلك السلطة المرجعية قد تحللت الى بنيات نصية تحكمها سلطة النص وتحدد مسارات تأويله ، فإذا " أردنا أن نحاول فهم التأثيرات التي تسببها الأعمال الأدبية والتجاوبات التي تثيرها يجب علينا أن نسلم بحضور القارئ دون أن نحدد مسبقا بأي حال من الأحوال طبيعته ووضعيته التاريخية ويمكن أن نسميه نظرا لعدم وجود مصطلح أحسن " القارئ الضمني". إنه مجسد كل الاستعدادات المسبقة الضرورية بالنسبة للعمل الأدبي لكي يمارس تأثيره وهي استعدادات مسبقة ليست مرسومة من طرف واقع خارجي وتجريبي بل من طرف النص ذاته وبالتالي فالقارئ الضمني كمفهوم ، له جذور متأصلة في بنية النص إنه تركيب لا يمكن مطابقته مع أي قارئ حقيقي ". (آيزر،1994،ص:12)

يحمل النص قارئه بداخله ، كاستعدادات أولية ، ترسم إحداثيات القراءة والتأويل إزاء القراء الفعليين الذين سيواجهون النص بالضرورة ، ولكن تلك الإحداثيات لا تحسم مطلقا عملية التأويل أو تلغي تعدديته وانفتاحه على استعدادات القراء ، إنها تضمن بشكل أولي " بعض شروط التحيين التي ستسمح لمعناها أن يتجمع في الذهن المتجاوب للمتلقي " (نفسه) وتشتغل على وضع البنيات الأولية التي " تستدعي تجاوبا يلزم القارئ فهم النص" (نفسه)ولكنها تحتفظ فيما وراء ذلك بالإمكانيات التأويلية المفتوحة أمام القراء الذين تتوقع حضورهم ذلك أن مفهوم القارئ الضمني هو في حقيقته " بنية نصية تتوقع حضور متلق دون أن تحدده بالضرورة " .(آيزر،1994،ص:12)

سواء انطلقنا من مبدأ التفاعل بين النص والقارئ أو من أفق التوقع كسلطة مرجعية لبناء النصوص واستقبالها أم من مفهوم القارئ الضمني فإن المنظور التأويلي للقراءة يؤسس بالفعل إطارا نظريا شاملا لممارسة حجاجية متبادلة بين أطراف العملية الإبداعية : المؤلف ، النص ، والقارئ . ومع أن تلك الممارسة ليست معلنة بالوصف الجاهز حجاجا مقصودا ،إلا أنها متحققة ضمنيا نظرا لطابعها الجدلي والتواصلي الصميم حيث يجسدها المؤلف وهو ينجز نصه مراعاة لمرجعية أدبية ، ويجسدها النص كاستعدادات أولية تشكل بنية حجاجية تلزم فهمه لدى المتلقين ، ثم تنتهي لدى القارئ الذي يتحقق بتفاعله الانجاز الفعلي للموضوع الجمالي. إن المنظور التأويلي الذي تنجزه نظرية القراءة يقدم نموذجا حجاجيا تفاعليا لدور المتلقي من جهة، و للكيفيات التي تشتغل بها النصوص إزاء القراء ، وتتضح أبعاد ذلك النموذج عند استكمال البحث في طبيعة العلاقة التفصيلية التي تحكم علاقة النص بكل من القارئ و الواقع عند مرحلة التشكل والتكوين ، ثم طبيعة العلاقة بين القارئ والنص لحظة الاستقبال.

على خطى المنظور الحجاجي في البلاغة الجديدة ، يؤسس منظور القراءة إمكانية تحقيق الاستجابة الجمالية وتوصيل المعنى من طرف النص الأدبي وإقامة وضعية تواصلية على سياق من المقدمات تقع ضمن ما دعاه آيزر بالسجل النصي الذي يشكل " مجموعة من المعايير و المواضعات والاتفاقات التي تكون سابقة عليه ومعروفة لدى جمهور المتلقين والتي يستطيع بواسطتها أن يخلق وضعية سياقية مشتركة بينه وبين القارئ " (شرفي، 2008 ،ص:193-195) فيتعزز بفضل تلك الوضعية السياقية المشتركة نشاط القارئ الفعلي في أن يتمكن من " استيعاب ووصف ما لم يصرح به النص وينوي الوصول إليه ...إنها المنطقة المألوفة التي يلتقي فيها النص والقارئ من اجل الشروع في التواصل" (شرفي، 2008 ،ص:193-195)

يستهدف النص – إذا – تحقيق عملية تواصل ناجحة مع المتلقي عن طريق وضعية سياقية مشتركة قوامها توظيف عناصر متعددة من الواقع الخارجي للنص : نصوص سابقة ، منظومة قيم ومعايير اجتماعية ، وقائع تاريخية ، السياق الثقافي الذي يتولد فيه النص، لتشكل بذلك "جزء تكوينيا نصيا..يحيل الى ما يقع خارج النص.." (شرفي، 2008 ،ص:193-195) وتتحد به على نحو واضح علاقة النص بالواقع الموضوعي ،ولكن هذه العلاقة ليست موجهة لذاتها تمثيلا للواقع الخارجي كمعطى مستقل ، وإنما ينجزها النص بغرض وظيفي فني هو تحقيق التواصل مع القارئ ولذلك لا تحتفظ تلك المعايير والعناصر الواقعية بمواصفاتها وأنساقها الدلالية داخل النص وإنما " نجدها دائما في حالة اختزال وتتلقى تشويها يشكل الشرط الأساسي لعملية التواصل...إنها تشكل الواجهة الخلفية التي نجمت عنها ونجدها في السياق الجديد وقد تحررت قدراتها العلائقية ".(شرفي، 2008 ،ص:193-195)

ضمن المنحى الحجاجي نفسه تقوم عملية اختيار المواضعات والمعايير داخل النص بناء على رؤية تأويلية معينة تستبطن قيم المؤلف ومعاييره الخاصة .ولذلك فإن النسق الجديد للنص لا يكرر انساق الواقع نفسها ولا " لا يعيد بأي حال إنتاج الآفاق الدلالية السائدة بل يرجع الى ما هو مفترض فيها وبالتالي الى ما هو منفي أو مقصي...انه يحيل الى أفق النسق في حد ذاته".(شرفي، 2008ة ،ص:193-195)

يمارس النص سلطته الحجاجية عبر هذا المنحى التفاعلي الجدلي مع الواقع ، إذ هو يحاور الأنساق القائمة ثم يعيد توظيفها بعد أن يخضعها الى رؤيته الذاتية و يشكل منها نسقا حجاجيا لا يماثل أو يكرر الأنساق القائمة ، وإنما يواجهها "كرد فعل على الأنساق الدلالية التي اختارها وعرضها في سجله النصي الخاص." (شرفي، 2008،ص:193-195) حيث تتجه تلك المواضعات المستعادة من الواقع الى التجانس عبر ما دعاه آيزر بمبدأ التكافؤ ، إن

التجانس الذي تكتسبه مواضعات النص ومعاييره لا يتوافق مع أوضاع وجودها الفعلي خارجه ، ولذلك اعتبر آيزر أنها تخضع في تشكيلها داخل النص الى ما دعاه " التشويه المتجانس " الذي تتحدد بموجبه "...القيمة الجمالية لهذا النص " (نفسه)تلك التي لا يمكن أن توقعها مبدأ ثابتا وإنما إمكانية تأويلية منفتحة أو " قيمة سلبية تتجلى كل مرة حسب التأثيرات التي تمارسها على المتلقين ". (شرفي، 2008 ،ص:193-195)

كشف منظور القراءة لدى آيزر عن طبيعة العمليات التي تنتظم بها عناصر السجل النصي من أجل تحقيق التوافقات النصية وإحلال الانسجام بينها داخل النص . إنها تلك الاستراتجيات التي يسلكها النص لغرض " توزيع وترتيب وتنظيم عناصر السجل على النسيج النصي..فعلى ضوئها يتحدد النص في بنائه وفي شكله الخاص وعليها أيضا أن تقيم العلاقة بين السياق المرجعي للسجل النصي وبين القارئ ". (شرفي، 2008 ،ص:193-195) على أن طبيعة الاستراتيجيات النصية لا تنتهي الى بناء أوضاع مغلقة ومكتملة في بناء التوافقات النصية وإنما ترتب أطرا العامة تلك التوافقات وتتيح لسلطة القارئ التأويلية مهمة استكمالها . إن مسألة انسجام النص ليست قضية نصية تركيبية فحسب ولكنها تتحقق عبر النشاط التأويلي للقارئ ولذلك أكد آيزر أن " الاستراتيجيات لا يمكنها أن تنظم السياق المرجعي للسجل ولا شروط تلقي النص بكيفية كلية كاملة ، لتكتفي بتقديم بعض الإمكانات التوليفية للقارئ ولو كانت هي التي تحدد كل شيء فإنها ستشل خيال القارئ ". (شرفي، 2008 ،ص:193-195)

يتجلى الطابع التحفيزي في الاستراتيجيات النصية من خلال البنيات التي تتشكل بها عناصر السجل النصي تلك التي حددها آيزر في بنيتين أساسيتين :

أ / بنية الواجهة الأمامية /الوجهة الخلفية : حيث تشكل الواجهة الأمامية مجال السياق النصي بينما تمثل الواجهة الخلفية السياق المرجعي ، فكلما انتقل عنصر من الواجهة الخلفية أو السجل النصي الى الواجهة الأمامية يفقده ذلك " دلالته ووظائفه التي كان يؤديها داخل سياقه الأصلي ويمنحه دلالات ووظائف جديدة داخل السياق الجديد ". (نفسه)،على أن أي واجهة خلفية لا تظهر بوضوح داخل النص وإنما تتراءى امتداداتها بنحو خفي أو افتراضي ، تلتقطه كفاءة القارئ واجتهاده المعرفي ولذلك فإن ذلك التراوح والانفصال بين الواجهتين يؤشر لدى القارئ على عملية التحول الدلالي وانفتاح التأويل ذلك أن " تبادلهما للإضاءة يشكل الشرط الأساسي لعملية التلقي والإدراك " (شرفي، 2008 ،ص:193-195)وأن التوتر الذي تنتجه العلاقة بينهما يتزايد بواسطة سلسلة من التفاعلات المتتالية الى أن يفرغ أخيرا في إنتاج الموضوع الجمالي ". (شرفي، 2008 ،ص:193-195)

ب/ بنية الموضوع / الأفق : لا يشكل الموضوع الجمالي معطى موضوعيا في النص الأدبي ، فهو يتحقق عبر صيرورة تفاعلية يحكمها النموذج الوظيفي لاشتغال النص من خلال الاستراتيجيات النصية ، وإذا كانت بنية الواجهتين الخلفية والأمامية تسمح بانتقال عناصر السجل من سياقها الأصلي الى سياقها النصي فإن بنية الموضوع / الأفق تتيح للموضوع الجمالي – خاصة في الأعمال الروائية – أن يتجسد عبر " نسق من المنظورات ...ويتكون هذا النسق عادة من أربعة منظورات هي :منظور السارد ، منظور الشخصيات ، منظور الحدث أو الحبكة ، منظور القارئ المتخيل وكل واحد من هذه المنظورات يمنح إضاءة معينة بشأن الموضوع نفسه وهذا يعني لا يمكن لأي واحد منها أن يمثل الموضوع الجمالي ". (شرفي، 2008 ،ص:202)

تبني القراءة موقفا تأويليا تراكميا حجاجيا في علاقتها بالمنظورات النصية التي يتنزل فيها القارئ ويتفاعل معها تدريجيا ، ليس بوسع القارئ أن يحتوي منظورات النص دفعة واحدة

، وبالمثل لا يمكنه استيعاب الموضوع الجمالي دفعة واحدة ، ولكنه ينتقل من منظور الى آخر حتى يستوفي وجهات النظر التي تنجز في كليتها موضوع النص الجمالي، وعلى ذلك التصور فإن اقتصار القارئ على منظور واحد باتخاذه موضوعا يجعل فهمة مشروطا " فإذا اتخذ القارئ مثلا من وجهة نظر البطل موضوع اهتمامه ، فإن موقفه سوف يكون مشروطا بالأفق الذي تشكله حول البطل وجهات نظر الشخصيات الثانوية ووجهات نظر السارد وما يمنحه منظور الحدث وكذلك ما يمنحه منظور القاري المتخيل ". (آيزر،1994،ص:102)

يغادر هذا التصور فكرة العلاقة الحدية التقابلية بين النص والقارئ ، ويطرح بدلا منها علاقة تذاوتية ، تتحرك فيها وجهة نظر القارئ بطريقة جوالة (شرفي، 2008 ،ص:220) و على نحو تفاعلي مع منظورات النص، حيث يبدو ظهور الموضوع الجمالي متوقفا على تكامل مراحل تلك القراءة المتتابعة. يبدو مسار القراءة ونشاطها التأويلي متصلان على نحو مستمر ببنية التحفيز المتعددة التي يمتلكها النص كاستعدادات أو كموجهات للقراءة ، وليست منظورات النص إلا واحدة من تلك الموجهات التي تمر بها حركة القراءة و تتنامى في سبيل انجاز المعنى أو بناء الموضوع الجمالي .

إن حجاجية القراءة والتأويل في صيرورة دائمة أثناء تعلقها بالنص ، تمارس تدخلاتها بالاستجابة الى عناصر التحفيز المتعددة ضمن بنية النص ، غير أن تلك " العناصر الموجهة لا يمكن أن تمتلك أي محتوى محدد مسبقا ، ولا يمكن تصورها كقيم ايجابية محددة ومستقلة عن صيرورة التواصل "(آيزر،1994،ص:102) ولذلك اعتبرها آيزر " بنية فراغات " مبثوثة داخل النص وإليها تعزى الوظيفة الرئيسية لتحفيز النشاط التأويلي لدى القارئ ، وهي تتمثل فضلا عن نسق المنظورات المختلفة ، في أشكال التضمينات ، اللاستمرارية ، الانفصالات ،الاضمارات ، مواطن النفي ، البياض التي يشكل منها النص نسقا كاملا " و كل من البياضات وأشكال النفي تضبط عملية التواصل بطرقها المختلفة ،فالبياضات تترك

الروابط مفتوحة بين المنظورات في النص وبالتالي تحث القارئ على التنسيق بين هذه المنظورات..أما مختلف نماذج النفي تستحضر العناصر المألوفة لكي تعمل فقط على إلغائها ومع هذا فإن ما يلغى يبقى ظاهرا وبالتالي فإنه يحدث تعديلات في موقف القارئ اتجاه ما هو مألوف ". (شرفي، 2008 ،ص:220-221) إن الجدل المركزي للقراءة يتوقف على الجهد التأويلي الذي يمارس استراتجياته الحجاجية في سبيل ملء تلك الفراغات عن طريق التخيل والتمثيل والإسقاط.

قائمة المصادر والمراجع :

أولا / المراجع العربية :

1- الزواوي بعورة ،(2000) فهوم الخطاب في فلسفة ميشال فوكو ، ط 01 ، المجلس الأعلى للثقافة ،الكويت

2- الشهري ، عبد الهادي بن ظافر ، (2003)،استراتيجيات الخطاب دراسة لغوية تداولية،ط 01،دار الكتاب الجديد المتحدة ، بنغازي. ليبيا

3- الدهري، أمينة ،(2011) الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة ، ط 01 ، شركة النصر والتوزيع المدارس ، الدار البيضاء ، المغرب

4-أبو زيد ، نصر حامد ، (1999) ،إشكاليات القراءة وآليات التأويل ، ط 05 ، المركز الثقافي ، الدار البيضاء ، المغرب

5- صولة ،عبد الله ، (2011)، في نظرية الحجاج ،دراسات وتطبيقات ، ط 01 ، الشركة التونسية للنشر ، تونس

6- الأمين ، محمد ولد سالم ، (2004)، حجاجية التأويل في البلاغة المعاصرة ، ط 01 ، منشورات المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الاخظر ،طرابلس ، ليبيا

7 – صالح ،بشرى موسى ، (2001)، نظرية التلقي ،أصول وتطبيقات، ط 01 ، المركز الثقافي العربي، بيروت

8– حمودة، عبد العزيز ، (1998)،المرايا المحدبة ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت

9– شرفي ، عبد الكريم ،(2008) ،من فلسفات التأويل الى نظريات القراءة ،الدار العربية للعلوم . ط01 ،بيروت، منشورات الاختلاف الجزائر

ثانيا /المراجع المترجمة :

1 – وولف غانغ آيزر ، فعل القراءة ، ترجمة حميد لحمداني ، مكتبة المناهل ، فاس، 1994

2 – فاولر ، وجرر ،(2012)،النقد اللساني ، ترجمة : عفاف البطاينة ، ط1 ، المنظمة العربية للترجمة ، بيروت ، لبنان

3 – يول و براون ،(1997)تحليل الخطاب ترجمة: م، ل، الزليطي , منير التريكي ، ط 01 ، جامعة الملك سعود، الرياض ، المملكة العربية السعودية

ثالثا/ المراجع الأجنبية :

1 - Maingueneau. D.(2007): Pragmatique pour le discours littéraire . Paris .France.

2 - Jauss.W.(2010) .une esthétique de la réception،Gallimard ,Paris ,France

المسرح الشعبي ودوره في إنتاج الوعي الثوري

الدكتور بن معمر بوخضرة

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان –الجزائر–

تاريخ الإيداع: 2019/02/06م تاريخ التحكيم:2019/02/08م تاريخ القبول: 2019/02/09م

الملخص:

لا شك أن الوعي الثوري الذي فجر الثورة التحريرية المباركة ينسحب على التجربة المسرحية الجزائرية التي نزعت نحو تأصيل الممارسة المسرحية من خلال ربطها بجدورها التراثية ، و انفتاحها على الظواهر و الأشكال الفرجوية التي يزخر بها المجتع الجزائري مثل: السامر، و الحكواتي، و الحلقة و المداح ... و غير ذلك من الأشكال الفرجوية الاحتفالية التي تنم عن وعي جديد، و رئتيه مختلفة للظاهرة المسرحية باعتبارها شكلا من الممارسة الاجتماعية و نمطا من أنماط مسرحة المجتمع لانشغالاته و اهتماماته بالأمور الدنيوية و الدينية. في قوالب فنية تملك خصوصيتها و طابعها المميز ، لكنها تظل محكومة بمنطق التمسرح و قواعده ، ذلك أن أبواب الثقافة العالمة كانت شبه منعدمة و أن أغلبية الشعب الجزائري كان يعيش درجة الفقر في جهل مطبق وجد في المسرح الشعبي متنفسا للتعبير عن طوقة الى الحرية و الاستقلال .

الكلمات المفتاحية: المسرح الشعبي، الوعي الثوري

Abstract :

The Algerian play experience, by linking it with its traditional grandeur, and its openness to the phenomena and forms of vulgarism that the Algerian community is rich in, such as: Samer, Hakawati, A different vision of theatrical phenomenon as a form of social practice and a pattern of stereotyped patterns of society in the form of art that has its specificity and distinctive character.

Because the gates of culture were almost non-existent, and the majority of the Algerian people lived in the poverty of ignorance, found in the popular theater an outlet for the expression of freedom and independence.

Keywords: Popular Theater, Revolutionary Awareness

المسرح الشعبي ودوره في إنتاج الوعي الثوري

الدكتور بن معمر بوخضرة

جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان–الجزائر–

تمهيد:

تحاول هذه المداخلة أن تبحث في هذا التراث المسرحي الذي أصبح منسيا و يفتقر الى الكثير من الدراسات و الأبحاث "فالمسرحية هي من الفنون التي تعطيك مفهوما حيا للحياة مع تشعب مسالكها و تعدد ضروبها فان لها من الطبيعة و الخاصة و الأداء ما يميزها من هذه الفنون" (محمد العشماوي ، ص14)

يحيلنا هذا التعريف إلى صعوبة تحديد مفهوم موحد عن المسرح و هو بذلك يثير إشكالية سنحاول التطرق إليها في هذا العنصر.

إشكالية المسرحـــــة:

نعني بهذا العنوان صعوبة تحديد تعاريف قارة ومستقرة للمسرح منذ أقدم العصور إلى وقتنا الحالي.

فالمسرح أبو الفنون كما يقولون، فهو يأخذ من كل فن بطرق نجد فيه الشعر و الحكي و القص و الرقص و الغناء و الموسيقى لذلك فهو لا يخضع لقواعد ثابتة ، إلا لكي يتحرر منها منطلقا نحو فضاء جديد حر لا تقيده القواعد و الالتزامات و لا المكان .

و هذا عكس ما كان يدعو إليه المسرح الأرسطي أو المسرح الكلاسيكي فالمسرح يختلف باختلاف المجتمع الذي يستخدمه فالتقنيات المسرحية على مر العصور كانت تختلف عن مجتمع لأخر لان كل منها مرتبط بثقافة عصر معين محكوم بظروفه الدينية و الاجتماعية و الاقتصادية و السياسية التي تؤثر في صياغة فنونه " فالمسرح بالنسبة لليونانيين في القرن الخامس (05) قبل الميلاد هو طقوسي لأنه ولد من رحم الطقوس الدينية"(عبد الرحمان بن براهيم، 2014،ص145) و لكن بمرعاة منا سرعان ما نما نموا فذا على يد بعض العباقرة من الشعراء و تحول إلى مؤسسة تعليمية مهمتها تطوير التفكير القومي و تعميقه.

أما بالنسبة للمصريين القدماء فلم يكن أكثر من نص ديني يتم من خلاله آداء تمثيلي بسيط و ظل كذلك لمئات السنين حتى مات داخل المعابد بين يدي الكهنة.

و ورث الرومانيون المسرح و أودعوه أمانة في يد العبيد و الارقاء ، فتحول الى لون من الامتناع الحسي الذي ساير روح حضارة عسكرية الطابع و الامر نفسه اذا سحبنا الفكرة على مسارح الأقوام و الحضارات الأخرى ، و منها الحضارة العربية الاسلامية ، التي كان لها من الضروب المسرحية ما يغنيها من استعارة المسرح الغربي او الاقتباس منه رغم وجود فئة تقول " بأنه ما أن يكون لدى العرب مسرحا متكاملا – بالمعنى الحرفي للكلمة – كما كان لدى الاغريق و الرومان ، و الا فان الحديث عن مسرح عربي ضرب من الهدر ، و دليل على الشعور بالنقص " (حسن اليوسفي،2000،ص67)

و هناك من أخذ يتسائل و يجتهد في البحث عن مبنى يجد فيه شكل المدرج الاغريقي او الحلبة الايطالية كدليل مادي على وجود فكرة المسرح لدى العرب " لان فكرة المسرح عند هؤلاء ارتبطت في اذهانهم بالتجربة المسرحية الغربية"(حسن اليوسفي،2000،ص92)

و لم يتخيلوا صورة أخرى للمسرح قد تكون المسرح المتنقل الذي يتشكل في الشوارع و الميادين و الاسواق مع ترتيبات بسيطة فيأخذ طابعه الشرقي البعيد كل البعد في شكله و مضمونه عن التجربة الغربية. فالعروض الاحتفالية و خيال الظل و أشكال الفرجة المختلفة التي يكون يطلقها الحكواتي او السامر او المداح او القوال هي أشكال مسرحية بامتياز و هي التي يطلق عليها المسرح الشعبي فما هو هذا المسرح و ما هي طبيعته.

المسرح الشعبي (المفهوم):

لا يمكننا القبض على مفهوم المسرح الشعبي إلا إذا وضعناه في إطاره العام و هو الثقافة الشعبية مقابل الثقافة العالمة .

فالثقافة الشعبية تشكل نسق عام متكامل و منسجم بين عناصره إذا أدخلنا عليه نموذج خارج نسقه ، فانه لا يستطيع أن يجد له مكانا إلا إذا تكيف وفق منظومة الأنساق الثقافية الأخرى، و هذا التباين و الاختلاف بين الثقافات هو الذي يصعب علينا مهمة تحديد مصطلح دقيق لمفهوم المسرح الشعبي الذي لا يزال "موضع خلاف حول معناه و فحواه و تطبيقاته خصوصا بين العاملين في حقل المسرح"(سامي عبد الحميد،2013، ص07).

و حتى عند محاولتنا البحث عن كيفية و مكان حدوث المسرح الشعبي تكون قد ضللنا السبيل لاننا نكون " أمام حالتين من سوء الفهم الأولى: لا واعية سببها قاموسي بحث ، حيث أن الكلمات نفسها قد لا تعني نفس الأشياء و الثاني : شبه واعية مرجعها التفاخر المحلي و القومي" (سامي عبد الحميد،2013، ص24).

و من هنا تعددت تعريفات المسرح الشعبي فمنهم من أطلق هذا العنوان على " تلك المسرحيات الكوميدية على وجه الخصوص تلك التي تكتب و تقدم باللغة العامية او باللهجة. و منهم من قال: ان المقصود به تلك المسرحيات التي تتناول في موضوعها مشاكل الشعوب و معاناتها و تطلعاتها الى مستقل أفضل.

"و فئة ثالثة اعتبرته ذلك المسرح الذي يذهب إلى الشعب و لا ينتظر أن يأتي إليه أبناء الشعب" (سامي عبد الحميد،2013، ص08).

و هكذا فان مفهوم المسرح الشعبي يرتبط بالجماهير و لا يقتصر في توجيهاته الفكرية و الفنية لفئة معينة من الناس، فهو مفتوح على الجميع كل واحد يجد نفسه فيه و بالكيفية التي ترضيه، و هذا ما جعل الاقبال عليه دون دعوى او التزام .

و مع ذلك فان هذا الجمهور كان يلزم نفسه ، بان يتعرف على الكثير من قضايا مجتمعه و وطنه و أمته المسرح الشعبي كان يعمل على شحذ وعي الجماهير في صمت و يترك في الجمهور المتلقى رسائل مشحونة بشتى أنواع العواطف و الأفكار. قد يضحك او ينفعل أو يغضب ثم ينصرف ، لكنه وعيه يظل دوما يقظا ، مدركا بانه يختلف عن هؤلاء الذين يسمونه سوء العذاب. فيتشكل عنده وعيا يكون نواة الرفض و التمرد على المستعمر.

يضاف إلى هذا أن المسرح الشعبي يقوم على ما تمنحه الذاكرة من اطلاع واسع على حقول معرفية عديدة يعرف فيها الكاتب أو المخرج أو الممثل كيف ينوع من مصادره و مضامينه ليخضعها لكتابة تراعي اللحظة المتوترة و فضاء الايداع المغامر " و هكذا نجد بعض قصص القران الكريم و الف ليلة و ليلة و عنترة و جحا ... " (محمد جلال اعراب، 2009،ص77)

إن هذا الاستعمال للماضي في الحاضر يختزن عدد لا نهائيا من الدلالات في المجال الانساني فالحديث عن النبي أيوب عليه السلام و هو من القصص القرآني يدل على رمزية الصبر على الألم و المرض و اليقين في العودة إلى الصحة و المجد فالمسرح الشعبي إذن كان مخزونة التراث الشعبي.

التراث الشعبي و المسرح:

التراث الشعبي يشكل ذلك المخزون الثقافي غير قابل للزوال لأنه لا يحتويه كتاب فيصادر أو مدرسة فتغلق، انه موجود في الذاكرة و الوجدان و هما أبعد من أن يحاول أي انسان الوصول إليهما بسهولة و بذلك لما حاول الاستعمار التضييق على الشعب الجزائري عمل على طمس تقافته و تجهيطه ، فكان قرن من الزمن كافيا ليصبح أغلب الشعب الجزائري جاهلا للقراءة و الكتابة ،

لكنه ظل واعيا بهويته و انتمائه ، لذلك لم تجد معه جميع الطرق و الأساليب التي استعملها الاستعمار في تذويب شخصيته بل زادته إصرارا و ثباثا على الوقوف في وجه اي محاولة لطمس وجوده و كيانه ، فمخزونه الثقافي و التراثي أقوى من جميع تلك الطرق. تم بعدها حاول اختراق هذا التراث عن طريق الدراسة و البحث، فكان للدراسات الاستشراقية و البحوث الكلونيانية دورا فيه كبير في هذه المحاولة .

الحلقـــــــة:

لقد اختلف الباحثون في تصنيف هذا النوع من الفرجة هل هي من المسرح أم شكل قبل المسرحي ، فالتشكيل الحلقي ليتسنى جديدا في التقافة الغربية الاسلامية و انما هو استمرارية تبعا للظروف السياسية و التاريخية التي يمر عليها أي شعب من الشعب ، فكانت الحلقة أولا في المساجد أين كانت تقدم هناك حلقات العلم تم انتلقت عند الصوفية إلى حلقات الذكر،

لكي تنتقل بعدها إلى الشوارع و الأسواق بعد التراجع الكبير في أمور الدين و العلم و الثقافة، حتى أصبح الحكام يبعدون من بلاطهم العلماء و يقربون منهم الجهلة ذووا المال و السلطة.

لكن الحلقة لم تتراجع عن رسالتها الأولى المتمثلة في التثقيف و إعطاء العبر و الدروس في الحياة مستعملة في ذلك الأعياد و المواسم و الأسواق الأسبوعية مواعيد التقاء "الحلايقي" مع جمهوره فكان يجد فيها ملاذا للتذكير بواقع مجتمعه و تقديم انتقادته لما آلت إليه أوضاع المعيشية في بلاده، متخدا من التلميح و الرمز وسيلة من وسائل التبليغ بلغه عامية بسيطة قريبة من مجتمعه.

فالحلقة باعتبارها " شكل فرجوي وجدت في الثرات ما يعنيها عن الاستعانة بالنصوص الغربية المقتبسة"(حسن المنيعي، 2014، ص20) و الحلايقي يتخد عدة طرق في توجيه رسالته فيكون مداحا أو قوالا أو مغنيا أو راقصا مستعملا في ذلك مجموعة من التقنيات و الاستراتيجيات أو من المهارات و الحيل لشد انتباه المتفرج.

يفتتح الراوي المؤدي حلقته برسم دائري رمزي يهمس بمجموعة من التلاوات يصلي على النبي صلى الله عليه و سلم و بعد ذلك يبارك المكان برشات من الماء منتهيا بدعاء لاحد اولياء المدينة.

- من هذه الأدعية المأخوذة من التراث .
- بجاه رايس الرياس
- عليه الناس تنادي من كل جناس.
- عساس البهجة الحمراء.
- امفاجي الضم مول القبة الحمراء.
- الشيخ سيدي بلعباس.
- حاط رجل على رجل.
- ما يتهنى حتى يتعشى.
- الدخلاني و البراني.

فالحلايقي يعرف كيف يوظف "الرموز التراثية و كيف يعطيها أبعادا جمالية إبداعية"(بن معمر بوخضرة، 2011،ص20) من هذه الرموز المأخوذة من التراث "الحلاج على سبيل المثال الحصر يمثل بالنسبة لعصره إنسان صلب وقتل من اجل عقيدة آمن بها أما بالنسبة لعصرنا ظهور رمز مأساة المثقف العربي او رمز لاعتيال العقل و مصادرة الأفكار" (محمد جلاب اعراب،2009،ص81)

و من هذه النماذج أيضا ما قام به كاتب ياسين في مسرحيته الجثة المحاصرة ، اذ وظف البطل الشعبي الأخضر "و هو الشخصية التي تقف على الحافة الحرجة بين الواقع و الاسطورة" (محمد جلاب اعراب،2009،ص81)

.

اذ نجد بأن شعبية هذه المسرحية تظهر في ذلك الحوار المسرحي بين الاخضر و نجمه الذي تناغم فيه العامية و الفصحى و في ذلك الديكور المفتوح على الطبيعة بين اشجار البرتقال و النخيل

فالأخضر ليس مجرد مناضل جزائري سقط في ساحة النضال و إنما " هو البطل الشعبي في لحظة انبعاث، حتى إذا ما سقط فانه سيعود "مرة و مرات "(غالي شكري، 1979،ص287)

و نجمة تؤكد هذا بدورها فتقول " و أتفوق بأننا سننهزم و في قلوبنا كبرياء و من يشعرون بأنهم قوم لا يهزمون و ما دام الصديق الوحيد قد هلك فسأنتظره أكثر من أي وقت مضى".

و كان الكاتب في هذه الفكرة يستحضر التراث الشعبي الأسطوري المتمثل في أسطورة العنقاء ذلك الطائر الذي يبعث من رماد احتراقه.

و قد يكون هذا متقاطعا عما يتصور المخيال الشعبي عن النص القرآني بفكرة خلود الشهداء " ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون".

الاحتفالية:

هي شكل من أشكال المسرح الشعبي ، و هي من أقدم ما عرفه الإنسان من التجمعات الاستعراضية للتعبير عن إحساساته و تطلعاته و آماله " و الاحتفال هو قضاء مكاني و زماني يجمع الناس حول قضايا مشتركة يولد إحساسا موحدا، ذلك أن كلمة

الاحتفال في حد ذاتها تعني من جملة ما تعني الامتلاء " "(غالي شكري، 1979،ص287)

إنه امتلاء بالحياة في وجوهها المختلفة لان الاحتفالية " هي التعبير الحر عن الإنسان الحر في المجتمع الحر و في الفضاء الحر " (عبد الكريم بن عيسى،2002، ص53) من هذا التعريف تبدو الحياة البشيرية اليومية العادية كلها مسرحا احتفاليا ، فالاحتفالية هي شكل أصيل في الإنسان ،

و لهذا فمن المغالطة أن نقول بأن المسرح ولد عند اليونان دون غيرهم فالحياة في حد ذاتها مسرح ، يقول عبد الكريم برشيد " لقد خدعونا عندما قالوا المسرح في أصله يوناني المولد و المنشأ ، لان الحقيقة غير هذا ، المسرح نشاط يومي يكون دائما و ابداءا حين يكون الأحياء انه عيد الذين يعيشون و يحبون مع بعضم فتتولد بينهم قضايا عامة و احساسات جماعية"(عبد الكريم برشد، 1985، ص66)

و التراث الجزائري غني بكثير من المظاهر الاحتفالية التي كانت و تزال تمارس حتى وقتنا الحالي منها:

أ-احتفالية إيراد: هي احتفالية سنوية موسمية عبورية تقام كل سنة في تاريخ 12 جانفي بمنطقة بني سنوس (الخميس) بولاية تلمسان ، و هذه الاحتفالية تحمل الكثير من اشكال التوعية و إيقاظ الضمائر و التحام النفوس و المساهمة في إرواء عطش الناس من المعرفة و تفهم كل ما يجري من أحداث مع الحث على العمل في سبيل الحير

الخاتـــمـــــــــــة:

هذا البحث مجرد التفاتة بسيطة إلى ضرورة البحث عن مخزوننا التراثي ، و إعادة قراءته قراءة علمية ممعنة ، نستطيع من خلالها أن نعطي لهذا التراث حقه من خلال إنصافه فيما قدمه من دور في صناعة الرجال الذين صنعوا التورة ، إنها ثورة الشعب و مقولة العربي بن مهيدي " ألقوا بالثورة إلى الشارع يحتضنها الشعب" تحمل ضمنيا كون أن هذا الشعب كان واعيا و مهيئا لاحتضان الثورة ، لان آليات الثقافة الشعبية لديه كانت أقوى من أن يحاول الاستعمال طمسها أو القضاء عليها

تم أن مثل هذه المواضيع تطرح تقابلا بين سؤالين مهمين في هذا المجال هي: لماذا يفتخر الغرب بما لديه؟ و السؤال المقابل هو لماذا نحن لا نفتخر بما لدينا الآن حتى يكون لدينا القدرة على الإضافة؟ في هذه الأسئلة المقلوبة تدل دلالة واضحة كوننا " فقراء لا بالمال بل بالنفوس و عدم إدراكنا للأشياء الذاتية" (هند قواص،1981، ص105)

المراجع:

بن معمر بوخضرة – الولي في المجال الشعبي- أطروحة دكتوراء في الانتربولوجيا السنة الجامعية 2011-2012 .

-حسين اليوسفي – المسرح و الانتروبوجيا – مطبعة النجاح الجديدة- الدار البيضاء المغرب – ط1 2000

حسن المنيعي – حركية الفرجة في المسح –الواقع و التطلعات- منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة- المغرب ط 1 2014 .

سامي عبد الحميد: من المسرح الشعبي إلى المسرح الشامل – المركز العراقي للمسرح ط 1 2013

-محمد العشماوي – المسرح أصوله و اتجاهاته المعاصرة – دراسات تحليلية محمد جلال أعراب –خطاب التأسيس في مسرح النقد و الشهادة مطبعة تريفة –بركات- المغرب ط1 2009

مقارنة- دار النهضة العربية للطباعة و النشر بيروت – د ط د ت-

عالي شكري – أدب المقاومة – منشورات دار الافاق الجديدة – بيروت ط 2 1979 -

عبد الرحمان بن براهيم الحداثة و التجريب في المسرح- افرقيا الشرق-المغرب – ط1 2014

عبد الكريم برشيد –حدود الكائن و الممكن في المسرح الاحتفالي –دار الثقافة – ط 1 1985

عبد الكريم عيسى –الملامح المسرحية في مسرحية البراد- رسالة لنيل شهادة الماجيستر- جامعة تلمسان – السنة الدراسية 2002-2003

محمد جلاب الحراب خطاب التأسيس في مسرح النقد و الشهادة .

هند قواص – المدخل إلى المسرح العربي – دار الكتاب اللبناني – بيروت – ط1 1981

بكاء المدن في الشعر الجزائري القديم

الدكتور محمد بوعلاوي

جامعة المسيلة –الجزائر–

تاريخ الإيداع: 2019/02/09م تاريخ التحكيم: 2019/02/09م تاريخ القبول: 2019/02/10م

الملخص:

ترصد هذه الدراسة بكاء المدن في الشعر الجزائري القديم، وقد تتبعت خلالها تحليلا لبعض القصائد، من وصف للمدن بعد سقوطها، وماهي المعاني التي وقف عندها الشاعر الجزائري القديم، والعلاقة الحميمية بين الشاعر والمكان، وما هي خصائص هذا الفن الشعري، وقد أجملت النتائج في ملخص أشرت خلاله لبعض هذه الخصائص الموضوعية والفنية، ويمكن أن تكون هذه القصائد سندا للمؤرخين والنقاد والدارسين لما تضمنته من وصف للأحداث والوقائع، إضافة إلى خصائصها الموضوعية والفنية.

الكلمات المفتاحية: الشعر الجزائري القديم– الرثاء– بكاء المدن القديمة– تاهرت –القيروان– القلعة.

Crying cities in ancient Algerian poetry

Dr. Mohamed Boualaoui

Univercity of msila algeria

Summary:

This study examines the crying of cities in the old Algerian poetry. It has followed an analysis of some of the poems, describing the cities after their fall, the meanings of the old Algerian poet, the intimate relationship between the poet and the place, and the characteristics of this poetic art. I have referred to some of these characteristics of objectivity and art, and can be these poems support historians, critics and scholars because of the description of events and facts, in addition to their substantive and technical characteristics.

Keywords: Old Algerian poetry - Lamentation - Crying of old cities - Tiaret - Kairouan – el kalaa.

بكاء المدن في الشعر الجزائري القديم

الدكتور محمد بوعلاوي

جامعة المسيلة –الجزائر–

1- عرف العرب فن الرثاء منذ العصر الجاهلي، فأينما وجد موت وجد رثاء، والإحساس بفقد عزيز أو صديق استدعى وجود الرثاء، بل إن مجرد التفكير في دنوّ الأجل يثير أحاسيس الحزن والألم، ويدعو إلى تدبر حقيقة الحياة والموت، والصور التي استدعاها الشاعر العربي في مراثيه تعبر عن شعور عميق بالحزن والأسى تجاه الشخص المرثي أو الشيء المفقود. «إن القصيدة العربية بصورتها التي رسا عليها الشعر العمودي بعد ذلك ولدت أول مرة بين يدي المهلهل بن ربيعة من رحم المأساة في تلك الكلمة التي قام بها على قبر أخيه كليب عشية مقتله وبلغت ثلاثين بيتا، مطلعها» (حنا الفاخوري، 1968، ص 4):

أهاج قذاء عينيّ الإذكـــــــــــار هدوءا فالدموع لها انحـــــــــــدار

وصار الليـــــــــــل مشتملا علينا كأن الليل ليس له نهـــــــــــار

وبتّ أراقب الجـــــــــــوزاء حتى تقارب من أوائلها انحـــــــــــدار

وقد حفل الشعر العربي على امتداد عصوره بغرض الرثاء، وما يقال عن بكاء الإنسان للإنسان ينطبق على بكاء الإنسان للمكان، «لأن المكان هو الصورة الفنية للمكان الأليف، وذلك هو البيت الذي ولدنا فيه، أي بيت الطفولة، وأنه المكان الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة، وتشكل فيه خيالنا» (غاستون باشلار، 2006، ص6)

وكان رثاء المدن والممالك أكثر فنون الشعر قولا وصدقا، عرفه المشرق العربي عندما تعرضت عاصمة الخلافة العباسية للتدمير والخراب خلال الفتنة التي وقعت بين الأمين والمأمون، ثم طائفة من القصائد رثت المدن التي أسقطها هولاكو وتيمور لنك، أما في الأندلس فقد ازدهر رثاء المدن وتطوّر، ويعزى ذلك إلى أن طبيعة التقلبات السياسية في الأندلس كانت أشد حدة وأسرع إيقاعا، وأنها اتخذت شكل المواجهة بين النصارى والمسلمين حين تجمع الصليبيون عازمين على طرد المسلمين وإخراجهم من الأندلس.

ولما كانت العلاقة وطيدة بين الأدبين الأندلسي والمغربي كان التأثير والتأثر متبادلا، يقول العربي دحو: «هذا غرض آخر من الأغراض التي كثرت في الشعر المغربي القديم لتوفر الأسباب المساعدة على ذلك بحيث كانت المنطقة تعج بالصراعات والحروب» (العربي دحو، 1994، ص81).

ومن هنا كيف كان الصوت الشعري لرثاء المدن في الشعر الجزائري القديم؟

وما حجم المأساة التي صورها؟ وما خصائصه الفنية؟

إن المتتبع لديوان الشعر الجزائري القديم يقف على قصائد ومقطوعات شعرية ترسم حجم المأساة، التي امتدّت إلى مدن مغربية تعرضت هي الأخرى للتخريب والدّمار، لأن المدينة غمرت الشاعر بخيراتها وهناء العيش فيها، وحين تسقط مهيضة الجناح يندبها مصورا مآلها.

2- - رثاء القيراون: اكانت القيروان قبيل نكبتها سنة (449هـ) في قمّة ازدهارها وفي أوج عظمتها، تزخر بالعديد من العلماء والأدباء الكبار أمثال: " محمد بن جعفر النحوي" المعروف بـ"القزاز" (توفي 412 هـ) و"إبراهيم الحصري" صاحب " زهر الآداب"، و"أبو الحسن الحصري" وغيرهم. كما كان بلاط "المعز بن باديس" يرفل بالعلماء والأدباء، ومن بينهم "ابن رشيق المسيلي" و"ابن شرف القيرواني" (390 – 460 هـ)، اللذين حازا إعجاب "المعز بن

باديس" وحظيا بعنايته واهتمامه « وكانا متقدمين عنده على سائر من في حضرته، يثير بينهما عوامل المنافسة والتحدي، فتنافسا وتنافرا، ثمّ تهاجيا » (ابن شرف القيرواني، 2002 ، ص20) ولم يتصالحا إلا في ديار الغربة في جزيرة صقلية، حيث فرّ الشاعران بعد نكبة القيروان، وعاشا معاً فترة من الزمن، لكنّ "ابن شرف" غادرها إلى الأندلس، وكلا الشاعرين بكى مدينة القيروان حينما اقتحمها الأعراب، وعاثوا بها فسادا، والذي يهمنا في هذا الباب هو"ابن رشيق المسيلي" ونونيته التي قال فيها: (من بحرالكامل)

كم كانَ فيها من كرامٍ ســـادةٍ بيضِ الوجوهِ شوامخِ الإيمانِ

متعاونينَ على الديانةِ و التقى لله في الإسرارِ و الإعلانِ

و مهذبٍ جمّ الفضائلِ باذلٍ لنواله و لعرضه صوّانِ

و أئمةٍ جمعوا العلوم و هذبوا سننَ الحديثِ و مشكل القرآنِ

علماءَ إن سألتَهم كشفوا العمَى بفقاهةٍ و فصاحةٍ و بيانٍ

هجروا المضاجعَ قانتينَ لربّهم طلباً لخير معرسٍ و معانٍ

و إذا دجا الليلُ البهيمُ رأيتهم متبتلينَ تبتلَ الرهبانِ

في جنة الفردوسِ أكرمَ منزلٍ بين الحسان الحورِ و الغلمانِ

انصرمت حياة القيروان وعبثت بها الأقدار، بعد أن كانت منارة للإشعاع الفكري، فيها يجتمع العلماء متعاونين على عبادة الله ﷻ في الليل والنهار، في السر والعلن، وقد زهدوا في دنياهم فهابهم السلاطين. إن التبادل بين الصور الذهنية والمكانية امتد إلى اتصاف معان أخلاقية بالإحداثيات المكانية النابعة من حضارة المجتمع وثقافته، فلا يستوي أهل الإيمان وأهل الكفر، أهل الصلاح والتقوى وأهل الفجور، ثم قال:

نظرتْ لها الأيامُ نظرةَ كاشحٍ ترنـو بنظرةِ كاشحٍ معيانِ
حتـى إذا الأقدارُ حـمَّ وقـوعُها و دنـا القضاءُ لمـدّة و آوانِ
أهدت لـها فتناً كليـلٍ مظلـمٍ و أرادهـا كالنـاطحِ العيدانِ
بمصائـبَ مـن فـادعٍ و أشائبٍ ممّـن تجمعَ من بني دهمـانِ
فتكـوا بأمـةِ أحمـدَ أتـراهُم أمنوا عقـابَ الله في رمضـان

عزا الشاعر هذه الكارثة إلى القدر، وإلى الحسد على طريقة بعض الشعراء القدماء، فحسن المدينة وجمالها جلبا لها حسد الحسّاد، فابتليت بالأعراب الذين استباحوا كلّ ما فيها، ولم يخشوا في ذلك لومة لائمٍ، ولا أمنوا عقاب الله ﷻ، فأذاقوا أهلها سوء العذاب والهوان، وتركوهم بين قتيل ومضطر، يستغيثون فلا يغاثون ولما يئسوا فروا هاربين حفاة في كلّ اتجاه، وقد حملوا ما خف وزنه وغلا ثمنه، وحرصاً على أعراضهم أجلوا نساءهم، ثم قال :

و المسجدُ المعمورُ جامعُ عقبـة خربُ المطاعنِ مظلمِ الأركـانِ
قفرٌ فما تغشـاه بعد جماعةٌ لـصلاة خمـسٍ لا ولا لآذانِ
بيت بها عبدَ الإلـهُ و بطلـتْ بـعد الغلـو عبـادةُ الأوثـانِ
بيتٌ بوحي الله كـان بنـاؤه نعم البنا و المبتنى و البانِـي
أعظمْ بتلك مصيبـةً ما تنجلـي حسراتُها أو ينقضـي الملوانِ

3- تحسر الشاعر ملتاعا ورنا بعين حزينة إلى مسجد "عقبة" الذي أتى عليه الدّمار والسلب، وعطّلت به الصلوات، وسكت الآذان بأرجائه، وعم الحزن المدينة، وقد آلم هول الكارثة أقطاراً إسلامية، وفي الأخير أوحت الأماني للشاعر الولهان أن يتعلق بجدائل الحلم. «بحيث يسمح للنفس أن تستسلم لأحلام اليقظة وأن تتمتع بما تثيره الذكريات من عواطف عميقة فياضة ، ومن أشجان وآمال» (يوسف مراد : 1966، ص93) لعل

القيروان تعود كسالف عهدها، من بعد ما لعب الزمان بأهلها فتفرقوا أيادي سبأ ، والقصيدة طويلة يمكن للدارس أن يستنتج منها جملة من القيم الدينية والاجتماعية التي كانت سائدة على أيام "ابن رشيق" ، كما يمكنه أن يتصور المكانة التي بلغتها المدينة حيث طاولت بغداد وقرطبة وغيرهما ، والقصيدة تعتبر وثيقة هامة تؤرخ لحملات الأعراب والدمار الذي خلفته بالمدن والحواضر العلمية ، كما تعتبر سجلا خالدا لما أصاب القيروان.

1- - رثاء تيهرت: تيهرت، « تيهرت أو تاهرت اسم لمدينتين متقابلتين بأقصى المغرب يقال لأحدهما تيهرت القديمة و للأخرى تيهرت المحدثة، وهي كثيرة الأنواء والضباب والأمطار»، (ياقوت الحموي 1955. ج 5، ص 2)عاصمة الإمارة الرستمية:« تنسب هذه الإمارة الرستمية إلى "عبد الرحمن بن رستم" الفارسي الإباضي، حيث أسس مدينة تيهرت سنة(144هـ)، وأنشأ بها مقرَّ دولته الرستمية » (رابح بونار، المغرب العربي تاريخه و ثقافته، ص 27) فقد كانت « إسلامية في قضائها، عربية في معارفها، بربرية في عصبيتها... كثر سكانها و ازدهرت الحياة بها » ،(مبارك الميلي، 1959، ج 2، ص57)

1- و في سنة (296هـ) زحفت عليها جيوش الفاطميين فقتلت أميرها "اليقظان بن أبي اليقظان" وطائفة من أفراد أسرته، وبقتلهم انقرضت هذه الدولة من تيهرت والتجأ باقي أفرادها إلى الصحراء، فبكاها الشعراء، لكن ما وصلنا من قطع شعرية متناثرة في ثنايا الكتب لشعراء مجهولين أخفوا أسماءهم إما تقية وخوفا من بطش الأعراب، وإمّاأن همهم الوحيد كان تصوير الحادثة دون الاهتمام بذكر أسمائهم، فهذا أحدهم يقول: (من بحرالطويل)

خليليَّ عوجا بالرسوم و سلمَا على طللٍ أقوَى و أصبح

ألما على رسمٍ بتيهرت دائرٍ عفته الغوادي الرائحاتِ

كأن لم تكن تيهرت داراً لمعشرٍ فدمّرها المقدورُ فيمن

أبيات شجية ورغبة جامحة في رؤية موطن الأمجاد، أطلقها الشاعر بعد أن تناهى إلى مسامعه أفول نجم تيهرت وتداعي حضارة –ربما –كان من صناعها، فهو يتحدث عن رسوم وأطلال عفا عليها الزمن فأصبحت خالية لا تجيب سائلا، وكان الشاعر يعرف المدينة أيام عزها، فلذلك كان وقع المصيبة عليه كبيرا، وقد نسب خرابها إلى القدر، والأبيات رغم قصرها فهي تعطي صورة شديدة الوضوح لما آلت إليه المدينة بعد الأحداث التي ألمت بها.

ولشاعرمجهول آخر مقطوعة «تشتمل على أبيات غزلية متكلفة» (مبارك الميلي، 1959، ص34) صور فيها حضارة تيهرت الزائلة «ورغم ضعف أسلوبها وانحطاط رتبتها البلاغية، [هي] ذات سمة أدبية تمثل جانباً من أدب ذلك العصر» (مبارك الميلي، 1959، ص34) يقول فيها: (من بحرالطويل)

فراغ الهوى شغلٌ، ومحياالهوى قتلُ و يوم الهوى حولُ، وبعض الهوى

وجودُالهوَى بخلُ، ورسل الهوى عدا و قرب الهوى بعد، وسبقُ الهوى

سقى الله تيهرت الهوَى وسويقةً بساكنها غيثٌ يطيب به المحلُ

بدأ الشاعرالمقطوعة ببيتين من الغزل المتكلف، ثمّ عرّج راثياً مدينة تيهرت ذاكراً أهلها وأيامها البائدة، ويبدو أنه لم يعايش الأحداث التي عصفت بها بل يصف آثارا خلفتها هذه الأحداث، وهو يبكي المدينة والخليلة معا.

أمّا" بكر بن حماد " فقد رثى مدينته تيهرت قائلاً: (من بحرالبسيط)

زرنا منازلَ قوم لم يزورونا إنّا لفي غفلةٍ عمَّا يقاسونا

لو ينطقون لقالوا: الزاد ويحكم حلَّ الرحيلُ فما يرجو المقيمونا

الموت أجحف بالدنيا فخربها و فعلنا فعل قومٍ لا يموتونا

فالآن فابكوا فقد حق البكاء لكم فالحاملون لعرش الله باكونا

ماذاعسى تنفع الدنيا مجمعها لو كان جمع فيها كنز قارونا

الشاعر كعادته يحشد العبارات الزهدية ويرى بأنّ خراب المدينة شاهد على خراب الدنيا، وقد أحجم عن ذكر اسمها حتى يخيل للدارس أن المقطوعة زهدية ، وهي مفعمة بالعاطفة الجياشة ، خاصة أن خراب المدينة تزامن مع مقتل ابنه "عبد الرحمن"، والشاعرفي آخر أيام حياته.

والملاحظ أنّ رثاء تيهرت كان عبارة عن مقطوعات مقتضبة وليست قصائد مطولة، تصف الأحداث وتستنهض الهمم، وهو يخلومن تقريع الأعداء، ولعلّ ذلك راجع إلى سقوط المدينة المبرم، حيث لا أمل في عودتها إلى سابق عزها، مما جعل الشعراء يعرضون عن ذكرأسمائهم، فكانت أشعارهم عبارة عن تعزية وتسلية للنفس لا غير.

4- - رثاء قلعة بني حماد :ومن الحواضر التي رثاها الشعراء " قلعة بني حماد" التي اختطها "حماد الصنهاجي" عام (398 هـ -1007 م) وبنى بها قصري "الكوكب" و"السلام"، وقصراً آخر باسم " بلارة " بنت " تميم بن المعز بن باديس" التي تزوجها "الناصر بن علناس" عام (470 هـ -1077 م) رثاها الشاعر"أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد الصنهاجي" (548-628 هـ) (1154-1231 م) من سلالة " بني حماد" أمراء "القلعة" و" بجاية"، « نشأ بالقلعة وبها تلقى دروسه الأولى» (محمد بن رمضان شاوش، الغوثي، 2005، ص 173)

فقال : (من بحرالبسيط)

أين العروسان لا رسمٌ و لا طللٌ فانظر ترى ليس إلا السهلُ

و قصرُ بلارة أودى الزمانُ به فأين من شادَ منه السادة

إلى قوله:

و قد عفا قصرُ حماد فليس له رسم و لا أثر باقٍ و لا طللُ

و مجلسُ القومِ قد ذهب الزمان به بحادث قلّ فيه الحادث الجللُ

وإنّ في القصر قصري الملك معتبرا لمن تغرُرْه الأيامُ و الدولُ

و ما رسومُ المنارِ الآن ماثلة لكنها نُبذ يجري بها المثلُ

حتى المصلى بلت آياتها و عفت إلا جداراً و ما طلت به

نظر الشاعر مذهولا إلى القصورالتي ألفها: ما ذا دهاها؟ وأين حسنها وجمالها؟ فلا شيء يبهجه بعد خرابها وارتحال أهلها عنها، حتى المصلى صار أطلالا، فكأنّي به غير مصدق لما حل بالقلعة التي كانت حاضرة فكرية وثقافية، ومنارتها لا تزال قائمة في إباء وشموخ تفوح بعبق تاريخ مشرق صنعه الأجداد.

كرجعك الطرف كانت كلّ آبرة فما تراه كذلك العمر

كلّ هذا المجد انهارفي زمن يسيروحلّ محله الخراب والدمار، وكذلك عمر الإنسان يمر كالطيف، والمقطوعة رغم قصرها إلا أنها تكاد تعطي وصفا شاملا للقلعة. وحنّ الشاعر إلى آثار أجداده بالقلعة ، فقال في مقطوعة أخرى: (من بحرالطويل)

ألا ليتَ شعري هل أبيتنّ ليلةً بواد الجوى ما بين تلك

و هل أسمعن تلك الطيور عشيةً تجاوبُ في تلك الغصونِ

و هل أردن عين السلام على الصدَى فأبرد من حر الضلوعِ النواهلِ؟

كـأنّ القبـاب المشرقـاتِ بأفقِـه نجومٌ تبدتْ في سعود المنازِلِ

فـإن ثنتِ الأيـامُ عنـها أعنتي و أنزلتني في غير تلك المنازِلِ

فصبرٌ جميلٌ غير أنّ ستبقى بقاء الطـالعاتِ الأوافلِ

ذكر الشاعر أيامه بالقصر واستعاد صور تلك الأيام الجميلة، في تأمل ذهولي فالخيالات في ذهنه مواكب رهبة، والإيقاع إيقاع حرب مدمرة.

كما بكى" عين السلام" التي كانت موجودة في قصر" المنار" بقوله: (من بحرالوافر)

على عيـنِ السـلامِ سـلامُ صبٍ غذاه ماؤها العذبُ النميرُ

تأوّدَ أيكهـا و جرتْ صبـاهـا و شمَّ لها كما فُتقَ النّميرُ

وأبردُ ما يكـونُ الجـو فيـها و أندى حين يحتدمُ الهجير

و ما أدري أيجـري فـوق درٍ أم ابتسمتْ بمنبعها الثغـورُ؟

و قد قام المنـارُ علـى ذراهـا كما قامَ العروسُ أو الأميرُ

بناءٌ يزدري إيـوانَ كسـرى لديـه و الخرونقُ و السديـرُ

اشتاق الشاعرإلى العين التي ذاق ماءها النمير، واستظل بجوارها متمتعاً بمنبعها الصافي، وقد قام المنار على ذراها مثل الأمير، بناء عجيب يضاهي بل يفوق حسنه إيوان "كسرى" وقصور"الحيرة"، يرافقه تأثر عميق منضبط، واجترار للذكريات وأصداء القدر البعيدة.

- رثاء مدينة تلمسان: أما ابن خميس فقد رثى تلمسان في قصائد عدة خاصة لما هجرها إلى الأندلس منها، قوله:

نظرت فلا ضوء من الصبح ظاهر لعيني ولا نجم إلى الغرب جانـــح

كتمت هواها ثم برح بي الأسى وكيف أطيق الكتم والدمع فاضح

(محمد الطمار، 1981، ص188)

القصيدة طويلة استهلها الشاعر بالدعاء لتلمسان أن تجود عليها السحب، ثم وصف شوقه إليها، والأبيات بديعة التشكيل مبنى ومعنى.

– رثاء الزاب: الزاب أرض سهول وسط الجزائر وراء جبال الأوراس شرقا، عاصمتها المسيلة وهي يومئذ أعظم ولاية جزائرية، بكاها الشاعر ابن هانئ الأندلسي (330هـ – 362هـ) في قوله:

خليلي أين الزاب مني وجعفر وجنات عدن بنت عنها وكوثر

وقبلي نأى عن جنة الخلد آدم فما راقه من جانب الأرض منظر

(شوقي ضيف، 1995، ص122)

– رثاء مدينة الجزائر:رثاها الشاعر" أحمد الزواوي" حيث قال:

دعِ الجزائرَ لا تحللْ بساحتِها في ذا الزمان و لا تنزلْ بوادِيـها

كدْنا لأجلِ حلولِ الحادثاتِ بها نحتارُ، و اللهِ، للسكنَى بواديـها

من بعد عيشٍ هني عمَّ ساكنها و بعد عافيـةٍ حلت بنـاديـها

و حلّ ما ضرها من أهلها نفرٌ هم في الحقيقةِ أضحوا من

مدّ الإله عليـها ظلَّ عافيـةٍ مثـلُ التي قد رأتها في مباديـها

حادثات ألمت بالمدينة عكرت صفوالعيش الهنيء وحولت أمنها إلى فتن مظلمة جلبها إليها بعض أهاليها، وفي الختام سأل الله أن يغمرها بعافية كالتي عرفتها سالف العهد، والمقطوعة تعتبر وثيقة تاريخية قد تفيد الدارسين.

القضايا التي تناولها رثاء المدن:

حب الوطن:

تطور مفهوم حب الوطن عند المغاربة عامة وعند الجزائرين خاصة من عاطفة بسيطة يشعر بها الإنسان، قوامها الحنين إلى مسقط الرأس إلى عاطفة أعمق وأشمل تخلق نوعاً من الولاء في النفس يقوم على التجانس الفكري والحضاري والنظم الاجتماعية والآمال المشتركة، وأكثر ما يظهر الوطن في شعر الرثاء على صورة ضحية للقدر وعبث الزمان، فالدّهر يتلهى بمصائر المدن والممالك. يقول "ابن رشيق المسيلي":

حتى إذا الأقدار حمّ وقوعها و دنا القضاء لمدّة و آوان

أهدت لها فتناً كليلٍ مظلمٍ و أرادها كالناطح العيدان

وكقول الشاعر المجهول:

كأن لم تكن تيهرت دارا لمعشر فدمّرها المقدور فيمن تدمرا

وقول" محمد بن حماد القلعي" :

و قصر بلارة أودى الزمان به فأين من شاد منه السادة

الإنسان الجزائري وشعر رثاء المدن:

لنا أن نتساءل هل استطاع الشعر أن يعكس موقف الإنسان الجزائري من تلك الأحداث؟ أم أنّ ما سنشير إليه مجرد انطباعات أكثر من كونها حقائق موضوعية مؤكدة؟ لقد تمثلت هذه الانطباعات عن الإنسان الجزائري بما يلي:

1) – استقبل الأحداث بروحٍ متدينة مستسلمة ومزج القصائد بدعوة إلى الزهد، فهذا "بكر بن حماد" يقول:

ماذا عسى تنفع الدنيا مجمعها لو كان جمع فيها كنز قارونا

2) – وقليلا ما ردّ الهزيمة إلى تفرق المسلمين شيعاً، كقول "ابن رشيق المسيلي":

و المسلمون مقسمون تنالهم أيدي العصاة بذلة و هوانٍ

والملاحظ أنّ الشعر الجزائري خلا من الإشارة إلى صراع الأديان عكس بالأندلس" حيث جسد شعراؤها الصراع بين الصليب والهلال – ربما– لسقوط المدن الجزائرية بأيدي فرق إسلامية، كما خلا من العبارات والمعاني التي تستنهض الأمة.

3) – لم تحمّل قصائد الرثاء مسؤولية الهزائم للحكام والسلاطين.

4) – لم يرجع الشعراء الهزيمة إلى انحراف الشخصية الجزائرية عن القيم الدينية.

5) – أما المرأة فقد تمّ التطرق إليها عند "ابن رشيق المسيلي" باعتبارها رمز العفة والطهارة:

هربوا بكل وليدة و فطيمة و بكلّ أرملة و بكلّ

و بكلّ بكر كالمهاة عزيزة تسبي العقول بطرفها الفتان

خود مبتلة الوشاح كأنّـها قمر يلوح على قضيب البان

6) – جل الأشعار التي قيلت في رثاء المدن المنكوبة كانت في المراحل الأولى لاجتياح الأعراب لتونس والجزائر.

7) – الشعر في هذا الموضوع كان قليلاً من حيث الكم، لاستشهاد بعض الشعراء، أولأنّ الشعر العربي شعر انتصارات لا شعر هزائمٍ.

قائمة المصادر والمراجع:

المراجع العربية:

1- الفاخوري حنا، (1968) منتخبات الأدب العربي، ط3، منشورات المكتبة البولسية، بيروت، لبنان.

2- دحو العربي (1994) الشعر المغربي من الفتح الإسلامي إلى نهاية الإمارات: الأغلبية والرستمية والإدريسية 30هـ-230هـ ، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

3- القيرواني ابن شرف، (2002) الديوان، تحقيق: حسن ذكرى حسن، ط1، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، مصر.

4- يوسف مراد، (1966) علم النفس في الفن والحياة، ط1، دار الهلال، القاهرة، مصر.

5- الحموي ياقوت، (1955) معجم البلدان، ط7، دارصادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

6- رابح بونار، (1973) المغرب العربي تاريخه و ثقافته، ط3، دار الهدى، الجزائر.

7- الميلي مبارك، (1959) تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج2، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

8- شاوش محمد بن رمضان ، الغوثي بن حمدان، (2005) إرشاد الحائر إلى آثار أدباء الجزائر، ط1، مطبعة داوود بريسكي، تلمسان، الجزائر.

9- الطمار محمد، (1981) تاريخ الأدب الجزائري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

10- شوقي ضيف، (1995) تاريخ الأدب العربي، عصر الدول والإمارات، ط3، دار المعارف، القاهرة.

المراجع المترجمة:

1- غاستون باشلار،(2006) جماليات المكان، ترجمة غالب هلسا، ط6، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، لبنان.

المباحث الدلالية في تفسير (أضواء البيان) لمحمد الأمين الشنقيطي

الدكتور جلول دواجي عبد القادر

جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف – الجزائر

تاريخ الإيداع: 2019/02/07م تاريخ التحكيم: 2019/02/09م تاريخ القبول: 2019/02/10م

الملخص: تتعدد التفاسير وتختلف باختلاف اتجاهات العلماء والمفسرين واعتمد كل فريق على ما يراه مناسبا للتعامل مع آي القرآن الكريم، فمنهم من نهج التفسير بالرأي ومنهم من فضل التفسير بالمأثور ومنهم من رأى أن القرآن يفسر بعضه بعضا، ومنهم من استند إلى علوم اللّغة في توضيح وبيان مراد الآيات القرآنية أمثال أبي عبيدة والزجاج والفراء والزمخشري وغيرهم، ومنهم من جمع كل هذه الاتجاهات في تفسيره، ويعد محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره الموسوم بـ(أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن) من المفسرين الذين آمنوا بأن القرآن يفسر بعضه بعضا وهو ما يفصح عنه عنوان الكتاب.

تحاول هذه الورقة البحثية الوقوف عند أهم الموضوعات والمباحث الدلالية التي تحدث عنها وفصل فيها محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره (أضواء البيان).

الكلمات المفتاحية: مظاهر الدلالة، التفسير، اللّغة، أضواء البيان، محمد الأمين الشنقيطي، المباحث الدلالية.

Semantics topics in "Adhwaa Al-Bayan" Interpretation of

Dr. Mohammed Amin Chankiti.
University of Hassiba Ben Bouali Balchlaf - Algeria

.

Summary: There were many different kinds of interpretations, different directions for the interpreters, depending on what they saw fit to deal with the verses of the Holy Coran. Some of them chose to interpret by the opinion and some of them like to interpret by the words of ancestors, other saw that the Coran explains each other, and some relied on the science of language in the identification of the Coran verses such as Abu Obaida, El Zajaj, Al Faraa and Zamkhshari…….Other including the collection of all these trends in the interpretation, among them is Cheikh Mohammed Amin Chankiti in "Adhwaa Al-Bayan".

In this research, we will try to identify the Subjects semantics in interpretation in "Adhwaa Al-Bayan" book of Cheikh Mohammed Amin Chankiti.

Keywords: Interpretation, Language, "Adhwaa Al-Bayan", Semantic, Semantics Topics.

المباحث الدلالية في تفسير (أضواء البيان) لمحمد الأمين الشنقيطي

الدكتور جلول دواجي عبد القادر
جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف – الجزائر

1- **الشنقيطي: قراءة في سيرته وحياته:** يعد الشيخ محمد الأمين الشنقيطي من أشهر العلماء والمفسرين في العصر الحديث، ولد ونشأ وتربى وترعرع ودرس في بلاد شنقيط وهو الاسم القديم لموريتانيا، وشنقيط معناها باللغة المحلية عند شعبها: العيون التي تشرب منها الخيول أو رباط الخيل، أما إذا رُدت الكلمة إلى أصل عربي فإنها أتت من: سن قيط ومعناهما طرف جبل قيط، وهو جبل في المنطقة، وكانت تعرف أيضا بـ: صحراء الملثمين أو بلاد التكرور (تللو نبيل: الموسوعة الجغرافية العالمية المصورة، الكتاب الأول، ص 509)، وللبيئة -بلا شك- أثر كبير في نبوغ العلماء وتكوين الشيوخ، فالعلاقة بين البيئة والشخصية العالمة علاقة تلازم وعلاقة تأثير وتأثر.

ولا نجد ترجمة للشنقيطي كتلك التي كتبها عنه تلميذه عطية محمد سالم، تلك الترجمة تعد المصدر الرئيس والمرجع الوحيد لكل من أراد أن يترجم للشنقيطي أو يكتب عنه، وهي ترجمة بمنزلة الأصل وغيرها بمثابة الفرع، وذلك لما لها من السبق والخصوصية والأهمية والشمولية بما ليس لغيرها في بابها، وكيف لا يتوفر لها ذلك وكاتبها الشيخ عطية قد حظي من شيخه بما لم يحظ به غيره؟ (الشيمي: أحمد سيد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير في كتابه "أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن"، 2001م، ص 56).

يقول الشيخ عطية محمد سالم في ترجمة الشنقيطي التي سمعها منه مباشرة: "هو محمد الأمين، وهو علم مركب من اسمين وذكر محمد تبرك، واللقب آبا بمد الهمزة وتشديد الباء من

الإباء واسم أبيه: محمد المختار بن عبد القادر بن محمد بن أحمد نوح بن محمد بن سيدي أحمد بن المختار من أولاد الطالب أوبك، وهذا من أولاد كريز بن الموافي بن يعقوب بن جاكن الأبر، جد القبيلة الكبيرة المشهورة المعروفة بالجكنيين ويعرفون بـ (تجكانت)"(الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج10، ص 274.).

يلقب الشيخ الشنقيطي بعدة ألقاب منها:

- الشنقيطي: وهذا نسبة إلى مسقط رأسه ببلاد (شنقيط) وهي ما تعرف اليوم بالجمهورية الإسلامية الموريتانية.
- الجكني: نسبة إلى (بني جاكن) أو (بني جاكان) التي تسمى باسم جدها الأكبر (جاكن الأبر)، ومن ثم يعرف أهل هذه القبيلة بـ (الجكنيين).
- اليعقوبي: نسبة إلى جده الأول عبد القادر الذي كان يلقب باليعقوبي نسبة إلى يعقوب بن جاكن الأبر.

ولد محمد الأمين الشنقيطي عام 1035هـ وقيل 1325هـ، وما يلاحظ هنا هو طول المدة بين التاريخين، فالتاريخ الأول ذكره عطية سالم في مقدمة "أضواء البيان" وفي تقديمه لسيرة الشيخ في كتابه "رحلة الحج إلى بيت الله الحرام"، وأما الثاني فذكره عبد الرحمن السديس في كتابه "ترجمة للشيخ محمد الأمين الشنقيطي" والتزم به آخرون في كتبهم ومقالاتهم، والحقيقة: إن الرأي الصائب هو التاريخ الثاني، فمولد الشنقيطي كان عام 1325هـ الموافق لـ 1907م، لأن الأستاذ أحمد سيد حسانين إسماعيل الشيمي قال في مخطوط رسالته التي أعدها :"وقع تصحيف فيما أورده الشيخ عطية سالم من أن مولد الشنقيطي كان عام 1305هـ، وذلك في معرض ترجمته الموجزة لشيخه من خلال رحلة حجه الأول إلى بيت الله الحرام، وقد دفعني هذا التصحيف إلى توثيق تاريخ مولد الشنقيطي بسؤال كل من: تلميذه الشيخ عطية، وولديه الدكتور محمد المختار والدكتور عبد الله، حيث أكدوا جميعهم أنه ولد عام 1325هـ، وكان مسقط رأسه – رحمه الله – عند ماء يسمى (تنبه) من أعمال مديرية

(كيفا) من القطر المسمى بشنقيط وهو دولة موريتانيا الإسلامية الآن، وتكتب أيضا (كيفة) وهي اسم لبئر مشهور بملوحة المياه (الشيمي أحمد سيد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير في كتابه أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ج1، ص 93.).

البيئة الموريتانية حباها الله بالعلم خصوصا في قبيلة جاكان، حتى إنه ليضرب بها المثل في طلب العلم والتحصيل فيقال: "بلد المليون شاعر"، ويقال: "العلم جكني"، فكثيرا من الأُسر في بلاد شنقيط جبلت على الذكاء والفهم الثاقب منذ الصغر، ومثل هذا كان الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، فلقد توسم فيه أشياخه العلم وكثرة الحفظ وسرعته والذكاء وحب القراءة والإطلاع والتحصيل من الصغر منذ أن كان يحفظ الحروف الهجائية، وبعدها حفظ القرآن ورسمه وتجويده، فكان يفوق أنداده في سرعة الحفظ وكثرة التحصيل.

انتهز الشيخ محمد الأمين الشنقيطي هذه الأمور التي وهبها الله إياه مع رعاية أخواله (بنو عمومته)، وكذا البيئة المعينة على تلقي طلب العلم، فانكب على الدراسة وترك كل ما يشغله عنها، قضى ليله ونهاره في التحصيل العلمي، وفر بنفسه مجاهدا في سبيل العلم، وكان المكان الأبرز لذلك هو المحضرة. ورحل بعدئذ إلى الحجاز بنية الحج، وهناك استقر به المقام إلى وفاته.

لقد كان للشنقيطي من الأخلاق الفاضلة والسجايا الحميدة، ما لا يخفى على أحد ممن لازمه وخالطه بصفة مباشرة، فضلا عمن أخذ عنه وتلقى عليه وتعلم منه ورآه، وكذلك يشهد له بالخير كل من سمع عنه وتلقى علمه وقرأ كتبه، وليس من رأى كمن سمع.

يقول تلميذه الشيخ عطية محمد سالم: "لو أن الفضائل والمكرمات والشيم وصفات الكمال في الرجال عنوان يجمعها لكان هو أحق به" (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج10، ص 296).

قام الشيخ بأعمال جليلة في بيئته التي عاش فيها، وكذا في رحلته إلى أرض الحجاز والاستقرار بها، وتنوعت هذه الأعمال من قضاء وتدريس وفتيا، ونشاط في مختلف الهيئات الإسلامية ومحاضرات في مختلف المؤتمرات والندوات.

توفي الشنقيطي عام 1393هـ/ 1974م(الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج10، ص 269)، مخلفا عددا من المؤلفات والأعمال قام بجمعها الباحث الشيمي سيد أحمد حسانين إسماعيل، حيث تطرق بالجمع والتفصيل لكل ما خلفه الشيخ من كتب محفوظة وكتب مطبوعة ومؤلفات مسجلة، وأخرى شعرية ومفقودة ومنسوبة له(الشيمي سيد أحمد حسانين إسماعيل: الشنقيطي ومنهجه في التفسير، ج1، ص ص 256- 321.). أشهرها:

أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن: وهو أجل أعمال الشنقيطي الموسوعية، بل يعد أضخمها وأكملها وأعمها وأشملها، فسر فيها الشيخ ثمانية وخمسين سورة بدءا بالفاتحة وانتهاء بالمجادلة في سبعة أجزاء، وبعد وفاته أتم تلميذه الشيخ عطية سالم تفسيره من حيث انتهى الشيخ استجاب لتكليف الشيخ عبد العزيز بن باز، فقام بتفسير ست وخمسين سورة بدءا بالحشر وانتهاء بالناس، في جزئين اثنين هما الثامن والتاسع، وآداب البحث والمناظرة: وهو في جزئين في علم المنطق، ودفع ايهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ورحلة الحج إلى بيت الله الحرام، ومنع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز.....الخ.

إن الشنقيطي لم يكن من المكثرين في التأليف لكثرة مشاغله بالتدريس والإفتاء وتفريج هموم الناس، وتنقلاته داخل وخارج المملكة للعلاج أو للدعوة وإلقاء المحاضرات، فكل ذلك لم يسهل له التفرغ للتأليف إلا قليلا، على أن ما سجل وحفظ من كلامه لو نقل إلى الطروس (الكتب والصحف) لألف قائمة من المؤلفات (المجذوب محمد: علماء ومفكرون عرفتهم1986م، ج1، ص 186.).

2- المباحث الدلالية عند محمد الأمين الشنقيطي: من المباحث التي تحدث عنها محمد الأمين الشنقيطي في هذا المجال ما يلي:

1- المنطوق والمفهوم: يقول الشنقيطي: "اعلم أن المفهوم يسمى منطوقا إليه، يعني أن المنطوق هو المعنى الذي قصده المتكلم باللفظ أصالة أي بالذات هو اللفظ، وإيضاح كونه مقصودا بالأصالة من اللفظ أنه لا يتوقف فهمه من اللفظ إلا على مجرد النطق باللفظ حقيقة أو مجازا، فالتحقيق أن المجاز من المنطوق لأن نفس المعنى المجازي هو مقصود المتكلم باللفظ" (الشنقيطي محمد الأمين : نثر الورود على مراقي السعود، تحقيق 2002م. ص97.).

فالمنطوق في منظور الشيخ هو ما دل عليه اللفظ في محل النطق، ويقسم العلماء المنطوق إلى أقسام أهمها وأشهرها أربعة هي:

أ- منطوق صريح: وهو ما وضع اللفظ له أصلا (الإبراهيم موسى إبراهيم: بحوث منهجية في علوم القران، 1996، ص174.)[i]، ومن أمثلته عند الشنقيطي قوله تعالى: "والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه" التوبة 100، يقول الشيخ: "وهو دليل قرآني صريح في أن من يسبهم ويبغضهم أنه ضال مخالف لله جل وعلا، حيث أبغض من رضي الله عنه، ولا شك أن من بغض من رضي عنه مضادة له جل وعلا وتمرد وطغيان" (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان،ج2، ص353.)، وكقوله تعالى: "ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر" البقرة 102، فهو نص صريح على كفر معلّم السحر(الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان،ج2، ص335.).

ب- دلالة الاقتضاء: وهو ما توقفت دلالة اللفظ فيه على إضمار، ومثاله قوله تعالى: "فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر" البقرة 184 ، فدلالة اللفظ على المعنى تلزم إضمار كلمة (فأفطر) والمعنى "فمن كان منكم مريضا أو على سفر فأفطر فعدة من أيام

أخر"، لأن قضاء الصوم إنما يجب إذا أفطر وليس لمجرد السفر أو المرض (الرومي فهد بن عبد الرحمن بن سليمان: دراسات في علوم القرآن الكريم، 2005م، ص569.).

ويقول الشنقيطي: "دلالة الاقتضاء هي أن يدل لفظ دلالة الالتزام على محذوف لا يستقل الكلام دونه لتوقف صدقه عليه أو توقفه عليه عقلا وشرعا، فمثال ما دل عليه بالاقتضاء لتوقف الصدق عليه قوله صلى الله عليه وسلم لذي اليدين لما قال له: "أقصرت الصلاة أم نسيت؟" يعني في ظني ولولا تقدير هذا المدلول عليه بالاقتضاء لكان الكلام كذبا لأنه سلم من ركعتين وهو صلى الله عليه وسلم يستحيل في حقه الكذب، ومن أمثلته أيضا حديث: "رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه" فالمدلول عليه بالاقتضاء هو المؤاخذة لأنها هي المرفوعة،... فلولا تقدير المقتضي لكان الكلام كذبا، وقوله: "حرمت عليكم امهاتكم"، النساء 23،...فدل الكلام بالاقتضاء على محذوف تقديرُه (نكاح أمهاتكم)" (الشنقيطي: نثر الورود على مراقي السعود، ص97).

فصحة المعنى في أمثلة الشنقيطي تقتضي إضافة الكلمة المنقوصة، ولذا سميت بدلالة الإقتضاء.

ج- دلالة الإيماء: وهي دلالة اللفظ على معنى مقصود للمتكلم ولا يتوقف عليه صدق الكلام ولا صحته، ومثال ذلك قوله تعالى: "والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما" المائدة 38، فالأمر بقطع اليد مقترن بالوصف الذي هو السرقة، وهذا إيماء إلى أن علة القطع هي السرقة وإلا لما كان لهذا الوصف معنى (الإبراهيم موسى إبراهيم: بحوث منهجية في علوم القرآن،ص175.).

يقول تعالى: "إن المتقين في جنات وعيون" الذاريات 15، يقول الشيخ في تفسيرها: "إن هذه الآية فيها للدلالة المعروفة عند أهل الأصول بدلالة الإيماء والتنبيه على أن سبب نيل هذه الجنات والعيون هو تقوى الله، والسبب الشرعي هو العلة الشرعية على الأصح وكون التقوى سبب دخول الجنات" (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان،ج7، ص439)،

وعند تفسير قوله تعالى: "فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله" ص 26، قال: "تقرر في مسلك الإيماء والتنبيه أن الفاء من حروف التعليل كقوله سها فسجد، وسرق فقطعت يده، أو لعلة السهو في الأولى ولعلة السرقة في الثاني" (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج7، ص17).

د- دلالة الإشارة: وهي دلالة اللفظ على معنى لازم غير مقصود للمتكلم، ومثاله قوله تعالى: "وحمله وفصاله ثلاثون شهرا" الأحقاف 15، مع قوله تعالى: "وفصاله في عامين" لقمان 14، فإن المتأمل في الآيتين يتبين له أن أقل الحمل ستة أشهر، وهذا المعنى ليس هو المقصود من سياق ونص كل من الآيتين وإنما يفهم ذلك من التأمل فيهما (القطان مناع: مباحث في علوم القران، 2000م، ص175).

ويعرفها الشنقيطي بقوله: "دلالة الإشارة هي إشارة اللفظ إلى معنى ليس مقصودا منه بالأصالة بل بالتبع مع أنه لم تدع إليه ضرورة لصحة الاقتصار على المذكور دون تقديره كدلالة قوله تعالى: "أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم" البقرة 187، على صحة صوم من أصبح جنبا من الوطء فإن الآية لم يقصد بها بالأصل صحة صوم من أصبح جنبا من الوطء، ولكن قصد بها جواز الجماع في جميع أجزاء ليلة الصوم، وذلك يصدق بآخر جزء من الليل بحيث لم يبق ما يسع للاغتسال قبل النهار فدل بالإشارة على صحة صوم من أصبح جنبا".(الشنقيطي محمد الأمين: نثر الورود على مراقي السعود، ج1، ص100).

ويذكر الشيخ أن ضابط دلالة الإشارة هو "أن يساق النص لمعنى مقصود، فيلزم ذلك المعنى المقصود أمرا آخر غير مقصود باللفظ لزوما لا ينفك كما أشار له في المراقي بقوله:

فأول إشارة اللفظ لما لم يكن القصد له قد علما".(الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج5، ص184)

هذه هي أشهر أقسام المنطوق، وعنها يقول الشنقيطي: "ومعلوم في الأصول أن دلالة الإشارة ودلالة الاقتضاء ودلالة الإيماء والتنبيه كلها من دلالة الالتزام، ومعلوم أن هذه الأنواع من دلالة الالتزام اختلف فيها هل هي من قبيل المنطوق غير الصريح أو من قبيل المفهوم؟ وإلى ذلك أشار في مراقي السعود بقوله: وفي كلام الوحي والمنطوق هل ما ليس بالصريح فيه قد دخل.

وهو دلالة اقتضاء أن يدل لفظ ما دونه لا يستقل

دلالة اللزوم مثل ذات إشارة كذلك الإيما آتي".

(الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج5، ص181.)هذا عن المنطوق وأقسامه.

أما المفهوم فهو: "غير المنطوق وهو ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق"(الشنقيطي محمد الأمين: نثر الورود على مرا قي السعود، ج1، ص102)، أي هو ما دل عليه اللفظ في محل السكوت كقوله تعالى: "فلا تقل لهما أف" الإسراء 23، دلت الآية على تحريم التأفف بمنطوقها ودلت بمفهومها على تحريم الضرب، بل هو أولى لأنه أشد في الإيذاء.(الإبراهيم موسى إبراهيم: بحوث منهجية في علوم القرآن، ص175.)

وينقسم المفهوم إلى قسمين اثنين:

أ- مفهوم الموافقة: "فهو ما يكون فيه المسكوت عنه موافقا لحكم المنطوق مع كون ذلك مفهوما من لفظ المنطوق وعرف في المراقي بقوله:

إعطاء ما للفظة المسكوتا من باب أولى نفيا أو ثبوتا"(الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص284.)

ويذكر الشنقيطي أن مفهوم الموافقة أربعة أقسام باعتبار المسكوت عنه وهي:

أ- تارة يكون أولى بالحكم من المنطوق: كقوله تعالى: "فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره" الزلزلة07، فمثقال الجبل المسكوت عنه أولى بالحكم من مثقال الذرة، وقوله تعالى: "وأشهدوا ذوي عدل منكم" الطلاق2، فأربعة عدول المسكوت عنهم أولى" (الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص284.) ، ويطلق عليه أيضا فحوى الخطاب.(الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص242/ وج1، ص342)

ب- وعادة يكون مساويا: كإحراق مال اليتيم وإغراقه المفهوم منعه من قوله: "إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما" النساء 100. (الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص284.) ويسمى أيضا بلحن الخطاب.(الرومي فهد بن عبد الرحمن بن سليمان: دراسات في علوم القرآن الكريم، ص572.)

وكلا من القسمين المذكورين يكون قطعيا وظنيا كما ذكر الشنقيطي(الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص284.)، ومنه فمجموع أقسام مفهوم الموافقة أربعة: فحوى الخطاب الظني وفحوى الخطاب القطعي، ولحن الخطاب الظني ولحن الخطاب القطعي.

ب- مفهوم المخالفة: يعرفه الشنقيطي بقوله: "هو أن يكون المسكوت عنه مخالفا لحكم المنطوق لقوله صلى الله عليه وسلم: "في الغنم السائمة الزكاة"، فالمنطوق: السائمة، والمسكوت عنه: المعلوفة، والتقييد بالسوم يفهم منه عدم الزكاة في المعلوفة ويسمى دليل الخطاب وتنبيه الخطاب، وهو ثمانية أقسام:

1- مفهوم الحصر: وأقوى صيغ الحصر: النفي والإثبات نحو (لا اله إلا الله)، فالأصوليون يقولون منطوقها نفي الألوهية عن غيره جل وعلا، ومفهومها إثباتها له وحده جل وعلا، والبيانين يعكسون.

2- مفهوم الغاية: نحو "فلا تحل له حتى تنكح زوجا غيره" البقرة 230، مفهومه أنها إن نكحت زوجا غيره حلت له.

3- مفهوم الشرط: نحو: "وإن كن أولات حمل" الطلاق 6، يفهم منه أن غير الحوامل لا نفقة لهن.

4- مفهوم الوصف: نحو: في الغنم السائمة الزكاة، كما سبق.

5- مفهوم العدد: نحو: "فاجلدوهم ثمانين جلدة" النور04، يفهم منه أنه لا يجلد أكثر من ذلك.

6- مفهوم الظرف: زمانا كان أو مكانا، مثال الزماني: "الحج أشهر معلومات" أي لا حج في غيره، ومثال المكاني: (وأنتم عاكفون في المساجد) يفهم منه أنه لا اعتكاف في غير المسجد عند من يقول ذلك.

7- مفهوم العلة: نحو: (أعط السائل حاجته)، يفهم منه أنه لا يعطى غير المحتاج.

8- مفهوم اللقب: وهو أضعفها: وضابط اللقب عند الأصوليين هو كل اسم جامد سواء كان اسم جنس أو اسم جمع أو اسم عين لقبا كان أو كنية أو اسما فلو قلت: (جاء زيد) لم يفهم منه عدم مجيء عمرو، بل ربما كان اعتباره كفرا، كما قيل (محمد رسول الله) يفهم من مفهوم لقبه أو غيره لم يكن رسول الله".(الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص285 وما بعدها، ونثر الورود على مراقي السعود ج1، ص107 وما بعدها.)

ومن أمثلة دلالة المفهوم ما ذكره الشنقيطي عندما وقف عند قوله تعالى: "يسبح له فيها بالغدو والاصال" النور 36، والتحقيق أن البيوت المذكورة هي المساجد، وإذا علمت ذلك فاعلم أن تخصيصه من يسبح له فيها بالرجال في الآية يدل بمفهومه على أن النساء يسبحن له في بيوتهن لا في المساجد".(الشنقيطي محمد الامين: أضواء البيان،ج6، ص 155.)

ويقول تعالى: "يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم" الأحقاف 31، يقول فيها الشيخ: "منطوق هذه الآية أن من أجاب داعي الله محمدا صلى الله عليه وسلم وآمن به وبما جاء به من الحق غفر الله ذنوبه وأجاره من العذاب الأليم، ومفهومها أعني مفهوم مخالفتها والمعروف بدليل الخطاب أن من لم يجب داعي الله من الجن

ولم يؤمن به لم يغفر له ولم يجره من عذاب أليم بل يعذبه ويدخله النار، وهذا المفهوم جاء مصرحا به في آيات أخر لقوله تعالى: "وتمت كلمة ربك لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين" هود 119، وقوله تعالى: "ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين" السجدة 13، وقوله تعالى: "قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار" الأعراف 38، وقوله: "فكبكبوا فيها هم والغاوون وجنود إبليس أجمعين" الشعراء94 ، إلى غير ذلك من الآيات"(الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان،ج7، ص 261).

ومن أمثلة دلالة المفهوم قول الشيخ في قوله تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين" الفاتحة5، أشار إلى النفي من (لا اله إلا الله) بتقديم المعمول الذي هو (إياك) وقد تقرر في الأصول في مبحث دليل الخطاب الذي هو مفهوم المخالفة، وفي المعاني في مبحث القصر أن تقديم المعمول من صيغ الحصر، وأشار إلى الإثبات منها بقوله (نعبد) وقد بين معناها المشار إليه هنا مفصلا في آيات أخر كقوله: "يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم" البقرة 21. فصرح بالإثبات (اعبدوا ربكم) وصرح بالنفي (فلا تجعلوا لله أندادا)..." (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان،ج1، ص 33)

ويقول في تفسير قوله تعالى: "فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم" الطور 27، ما تضمنته الآية بمنطوقها ومفهومها جاء موضحا في غير هذا الموضوع فذكر تعالى أن السرور في الدنيا وعدم الخوف من الله سبب العذاب يوم القيامة وذلك في قوله: "فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا" الانشقاق 14. وقد تقرر في مسلك الإيماء والتنبيه أن (إن) المكسورة المشددة من حروف التعليل فقوله: "إنه كان في أهله مسرورا" علة لقوله "فسوف يدعو ثبورا ويصلى سعيرا" (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان،ج7، ص 445)

وفي حديث النبي صلى الله وسلم: "من قتل له قتيل فهو بخير النظرين، إما أن يفدي وإما أن يقتل" يقول الشيخ: "الحديث جار مجرى الغالب فلا مفهوم مخالفة له، وقد تقرر في الأصول: أن النص إذا جرى على الغالب لا يكون له مفهوم مخالفة لاحتمال قصد نفس الأغلبية دون قصد إخراج المفهوم عن حكم المنطوق، ولذا لم يعتبر العلماء مفهوم المخالفة في قوله تعالى: "وربائبكم اللاتي في حجوركم" النساء 23، لجريه على الغالب" (الشنقيطي محمد الامين: أضواء البيان، ج3، ص277).

والحديث عن المفهوم والمنطوق عند الشنقيطي من المباحث التي أسهب في الحديث عنها خصوصا عندما يتعلق الأمر بمسألة أصولية أو اجتهادية أو فقهية أو منطقية، فيشرح ويفصل ويوضح ويستقي الشواهد من آي القرآن ومن الحديث الشريف ومن كلام العرب، فيجيب ويفيد بكلامه أولي العقول والألباب.

2- الخاص والعام: في علم الدلالة صيغ عامة تشمل جماعة المخاطبين وفيه ألفاظ خاصة، وأحيانا يكون اللفظ عاما ويراد به الخصوص وأحيانا أخرى يكون اللفظ خاصا ويراد به العموم، والقرائن هي التي توضح هذا وتزيل اللبس والإبهام في فهم النص واستنباط الأحكام، ولذلك اهتم العلماء بهذا المبحث في كتب الأصول وكتب الفقه وعلوم القرآن، فلا تجد كتابا متعلقا بهذه العلوم إلا وأفرد في ثناياه هذا المبحث (الخاص والعام)، فما مفهوم كل من الخاص والعام وما مدى حديث الشنقيطي عنهما في مؤلفاته؟.

أ- العام: لغة: يفيد الشامل المتفرد المستغرق، يقال: "أمر عمم تام عام... وعمهم الأمر يعمهم عموما، شملهم يقال عمهم بالعطية والعامة خلاف الخاصة" (ابن منظور: لسان العرب، (مادة عمم).)، واصطلاحا: هو اللفظ المستغرق للصالح من غير حصر والقرآن الذي نزل بلسان عربي مبين يعبر عن العام بالألفاظ التي وضعها العرب لإفادة الشمول والاستغراق" (محمد أبو سليمان صابر حسن، مورد الظمآن في علوم القرآن، الدار 1984م، ص63.).

ويعرفه الشنقيطي بأنه: "لفظ يستغرق جميع المعاني الصالحة له أو الصالح هو للدلالة عليها دفعة من غير حصر، والمراد بالصالح له جميع الأفراد باعتبار الوضع الذي استعمل اللفظ باعتباره" (الشنقيطي محمد الأمين: نثر الورود على مراقي السعود، ج1، ص243.).

وعند شرحه لبيت لعبد الله بن الحاج إبراهيم بن الإمام محنض أحمد العلوي في مراقي السعود الذي يقول فيه:

وهو من عوارض المباني وقيل للألفاظ والمعاني.

يقول الشيخ: "ومراده بالمباني الألفاظ، وعرف المؤلف (العام) تعريفين: الأول: العام هو اللفظ الواحد الدال على شيئين فصاعدا مطلقا... والثاني العام: كلام مستغرق لجميع ما يصلح له، وهذا التعريف (الأخير) جيد إلا أنه ينبغي أن يزاد عليه ثلاث كلمات: الأولى (بحسب وضع واحد)، والثانية (دفعة)، والثالثة (بلا حصر) من اللفظ فيكون تعريفا جامعا مانعا".(الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص243.)

ومبحث العموم يعبر عنه بألفاظ خاصة يقول عنها الشنقيطي: "وألفاظ العموم خمسة أقسام:

الأول: اسم عرف بالألف واللام لغير المعهود، وهو ثلاثة أنواع:

1- ألفاظ الجموع كالمسلمين والمشركين والذين.
2- أسماء الأجناس وهو ما لا واحد له من لفظه كالناس والحيوان والماء والتراب.
3- لفظ الواحد، كالسارق والسارقة، والزاني والزانية.

القسم الثاني: أدوات الشرط: ك (من) فيمن يعقل، و(ما) فيما لا يعقل، و(أي) في الجميع، و(أين) و(أيان) في المكان و(متى) في الزمان.

القسم الثالث: من ألفاظ العموم ما أضيف من هذه الأنواع الثلاثة إلى معرفة كعبيد زيد ومال عمرو...، واعلم أن (ما) و(من) و(أي) تعم مطلقا سواء كانت شروطا أو موصولات أو استفهامية.

القسم الرابع: كل وجميع.

والقسم الخامس: النكرة في سياق النفي: تكون نصا صريحا في العموم في ثلاثة مسائل:

الأولى: المركبة مع (لا) التي لنفي الجنس نحو (لا ريب فيه).

الثانية: التي زيدت قبلها (من) وتطرد زيادتها في الفاعل والمفعول والمبتدإ.

الثالثة: الملازمة للنفي: كالعريب والصافر والدابر والديار وفيما سوى هذه الثلاثة فهي ظاهرة في العموم كالعاملة فيها (لا) عمل ليس"."(الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص ص244-247.)

وهذا الكلام لابن قدامة الحنبلي في كتابه (روضة الناظر) لكن هناك تصويبات قام بها الشيخ إثر شرحه لها منها:

1/كلامه في القسم الأول ظاهر إلا أن إدخال (الذين) و(السارق والسارقة) مثلا من المعرف بـ (ال) فيه نظر، لأن (ال) في الذين زائدة لزوما على الصحيح، وهو اسم موصول معرف...، والمثنى يعم كذلك نحو "إذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في النار" فإنه يعم كل مسلمَين، وهذا بناء على تنامي الوصفية في المسلم وإن لم نتناس فـ (ال) فيه موصولة.

2/كلامه في القسم الثاني: جعل ابن قدامى (أيان) للمكان، فهو سهو منه -رحمه الله- بل هو للزمان كمتى.

3/يضيف الشنقيطي في شرحه أن مِن صيغ العموم: النكرة في سياق الشرط، وكذا النكرة في سياق الإثبات أحيانا".(الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص ص 245-247.)

ومن الشواهد التي استقاها الشيخ في مبحث العموم قوله: "أحل لكم صيد البحر وطعامه" المائدة 96، فيقول: "وقد تقرر في الأصول أن المفرد إذا أضيف إلى معرفة كان من صيغ العموم لقوله: "فليحذر الذين يخالفون عن أمره" النور 63، وقوله: "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها" إبراهيم 34.

وإليه أشار في مراقي السعود بقوله عاطفا على صيغ العموم: وما معرفا بال قد وجدا أو بإضافة إلى معرف.

إذا تحقق الخصوص قد نفى".(الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص76)

ويقول في تفسير قوله تعالى: "ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج" المائدة 6، فقوله (من حرج) نكرة في سياق النفي زيدت قبلها (مِن)، والنكرة إذا كانت كذلك فهي نص في العموم، كما تقرر في الأصول... فالآية تدل على عموم النفي في كل أنواع الحرج". (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج2، ص30).

وفي قوله تعالى: "إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف" الإسراء23، يقول الشيخ: "الخطاب بصيغة المفرد الذي يراد به عموم كل من صح خطابه كقول طرفه بن العبد في معلقته:

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود.

أي ستبدي لك أيها الإنسان الذي يصح خطابك".(الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج7، ص18).

ويقول في شرح حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "فدين الله أحق أن يقضى"، فقوله (دين الله) اسم جنس مضاف إلى معرفة فهو عام في كل دين كقوله: "وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها" إبراهيم 34، فهو عام في كل نعمة، فدل عموم الحديث على أنها حقيقة جديرة بأن تقضى ولا معارض لهذا العموم".(الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص252).

ويقول كذلك: "وقد تقرر في الأصول أن الموصولات كالذي والتي وفروعهما من صيغ العموم، لعمومها في كل ما تشمله صلاتها، وعقده في مراقي السعود بقوله في صيغ العموم:

صيغة كل أو الجميع وقد تلا الذي التي الفروع.

والمراد بالبيت أن لفظة (كل وجميع والذي والتي) وفروعهما، كل ذلك من صيغ العموم كقوله تعالى: "وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا" عام في جميع الكفار".(الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص348). وذكر شواهد قرآنية أخرى لتوضيح كلامه.

وأمثلة العموم كثيرة في مؤلفات الشيخ، وهذا قليل من كثير ذكرناه فقط لتوضيح موقف الشيخ من العموم وصيغه في كلامه.

وأقسام العام ثلاثة هي(القطان مناع: مباحث في علوم القرآن، ص215، وطويلة عبد الوهاب عبد السلام: أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، 2000، ص361.)

أ- العام الذي لا يدخله التخصيص: وهو العام الذي لا يمكن تخصيصه، وهذا النوع قليل جدا، إذ الأصل في العموم أن يقبل التخصيص...ومثاله قوله تعالى: "والله بكل شيء عليم" النساء 176، وقوله: "ولا يظلم ربك أحدا" الكهف 49.

ب- العام الذي يدخله التخصيص: وهو الذي يمكن تخصيصه، ولعل هذا النوع هو أشهر أنواع العموم والذي ينصرف إليه الذهن عند إطلاق العموم، وهو ميدان الخلاف بين العلماء في تخصيصه أو بقائه على عمومه، وأمثلته كثيرة في القرآن منها قوله تعالى: "ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا" آل عمران 97، فلفظ (الناس) عام خصص، ومنها قوله تعالى: "كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيرا"، فلفظ (أحدكم) يفيد العموم وخصص، وقوله: "والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء" البقرة 228، فلفظ (المطلقات) عام يشمل الحامل وغير الحامل، وخصص بقوله: "وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن" الطلاق4.

ج- العام المراد به الخصوص: وهو ما دل لفظه على العموم ودلت القرينة على الخصوص كقوله تعالى: "وإذا قيل لهم آمنوا كم آمن الناس" البقرة 13، والمراد بالناس عبد الله بن سلام، فالآية دعوة لليهود إلى الإيمان كما آمن عبد الله بن سلام رضي الله عنه وقد كان يهوديا، ثم إن الناس لم يؤمنوا كلهم، فدلت القرينة على وجوب حمله على فئة منهم.

ويوضح الشنقيطي الفرق بين العام المخصوص والعام المراد به المخصوص بقوله: "العام المراد به الخصوص عندهم (الأصوليون) مَجاز من غير خلاف بينهم، والعام المخصوص فيه عندهم طرق: الأولى: أنه يصير مجازا أيضا والثانية أنه حقيقة...والثالثة: إن خص بما لا يستقل بنفسه كالاستثناء والشرط والصفة والغاية فهو حقيقة، وإن خص بمستقل مِن سمع أو عقل فهو مجاز".(الشنقيطي محمد الامين: مذكرة في أصول الفقه، ص257 وما بعدها.)

ومن أمثلة العام المراد به الخصوص قوله تعالى: "والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا" البقرة 224.، يقول الشيخ: "بينت السنة الصحيحة أن عموم "وأولات الاحمال أجلهن أن يضعن حملهن" الطلاق 4، مخصص لعموم "والذين يتوفون منكم"(الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان،ج1، ص172).

ويقول عليه الصلاة والسلام: "الطعام بالطعام مثلا بمثل" وكان طعامهم يومئذ الشعير، يقول الشنقيطي: "وهذا صريح في أن الطعام في عرفهم الشعير، وقد تقرر في الأصول أن العرف المقارن للخطاب من مخصصات النص العام".(الشنقيطي محمد الامين: أضواء البيان،ج1، ص195)

ومن العام المخصوص قوله تعالى: "وجعلنا من الماء كل شيء حي" الأنبياء30، وعنها يقول الشنقيطي: "اختلف العلماء في معنى خلق كل شيء من الماء، قال بعض العلماء: الماء الذي خلق منه كل شيء هو النطفة، لأن الله خلق جميع الحيوانات التي تولد عن طريق التناسل من النطف، وعلى هذا فهو من العام المخصوص".(الشنقيطي محمد الامين: أضواء البيان،ج4، ص426).

ويقول تعالى: "هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور" الحديد:9، يقول الشنقيطي في تفسيرها: "هذا المعنى الذي تضمنته الآية جاء مبينا في قوله تعالى في الطلاق: "أعد الله لهم عذابا شديدا فاتقوا الله يا أولي الالباب الذين آمنوا قد أنزل الله إليكم ذكرا رسولا يتلوا عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور" الطلاق 10 و11، وآية الطلاق هذه بينت أن آية الحديد من العام المخصوص" (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان،ج7، ص528) وما إلى ذلك من الأمثلة.

ب-الخاص: لغة: يقال خصه بالشيء يخصه خصا... أفرده به دون غيره، ويقال: اختص فلان بالأمر وتخصص له إذا انفرد" (ابن منظور: لسان العرب، (خ ص ص)) ، وفي الاصطلاح هو: "اللفظ الذي لا يستغرق الصالح له من غير حصر" (الرومي فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، دراسات في علوم القرآن، ص536.)، وهو "الذي يقابل العام، والتخصيص هو إخراج بعض ما تناوله اللفظ العام"(القطان مناع: مباحث في علوم القرآن، ص217).

من هنا نفهم أنه كما يوجد في اللفظ ألفاظ دالة على العموم، فإنه يوجد فيها كذلك ألفاظ دالة على الخصوص، وللدلالة الخاصة أهمية في المجتمع إذ يفضل كثير من أبنائه التعامل بها في مخاطباتهم، ونظرا لهذه الأهمية فقد تناولها الأصوليون بالبحث والدراسة إلى جانب دراساتهم للدلالة العامة"(العيدان موسى بن مصطفى: دلال تراكيب الجمل عند الأصوليين، 2002م، ص131).

وعن التخصيص يقول الشنقيطي: "هو مصدر (خصص) بمعنى خص، هذا لغة، والتخصيص في الإصلاح هو قصر العام على بعض أفراده لدليل، والدليل المخصص هو مراده كقوله: "والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء" البقرة 228، فإنه مقصور على بعض أفراد المطلقات دون بعض لخروج الحوامل منه بقوله تعالى: "وأولات الاحمال أجلهن أن

يضعن حملهن" الطلاق 4، وخروج المطلقات قبل الدخول بقوله: "فما لكم عليهن من عدة تعتدونها" الأحزاب 49، وسواء كان العموم لفظيا أو عرفيا أو عقليا فالعموم اللفظي كما مثلنا، والعموم العرفي كعموم الموافقة، والعموم العقلي كعموم مفهوم المخالفة" (الشنقيطي محمد الأمين، مذكرة في أصول الفقه، ص272.).

وينقسم المخصص عند الأصوليين وعند الشنقيطي إلى قسمين (الشنقيطي محمد الأمين، مذكرة في أصول الفقه، ص ص 262- 266 ، وكتابه أيضا: "نثر الورود على مراقي السعود، ج1، ص280، وص303.):

أ-المخصص المتصل: وهو خمسة أنواع:

1- الاستثناء: نحو: "ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا" النور04، إلى قوله: "إلا الذين تابوا" النور 05، وقوله: "لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن ياتين بفاحشة مبينة" الطلاق 01.

2- الشرط: نحو: "فلكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد" النساء 11، وقوله: "والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيرا" النور 33.

3- الصفة: نحو: "من فتياتكم المومنات" النساء 25، وأيضا الحديث: (وفي الغنم السائبة الزكاة).

4- الغاية: نحو: "ولا تقربوهن حتى يطهرن" البقرة 222، وقوله: "ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله" البقرة 235.

5- بدل البعض من الكل: نحو: "ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا" آل عمران97.

ب- المخصص المنفصل: فهو ما يستقل بنفسه دون العام أو غيره وهو عدة أقسام هي:

1- الحس: كقوله تعالى: "تدمر كل شيء" الأحقاف 25، أي أثبت للحس أمورا لم تدمرها تلك الرياح كالسماوات والأرض والجبال، وقوله تعالى: "وأوتيت من كل شيء" النمل 23، وقوله أيضا: "تجبى إليه ثمرات كل شيء" القصص 57، لأن تتبع أقطار الدنيا يشاهد بالحس بعض الأشياء التي لم تؤتها بلقيس ولم تجب إلى الحرم.

2- العقل: ويمثلون له بقوله تعالى: "خالق كل شيء" الأنعام 102، يقولون (الأصوليون): دل العقل على أنه تعالى لا يتناوله ذلك وإن كان لفظ الشيء يتناوله كقوله: "كل شيء هالك إلا وجهه" القصص 88، وقوله: "قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد" الأنعام 19، ومثل له المؤلف بقوله: "ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا" آل عمران 97، فإن العقل دل على أن فاقد العقل بالكلية لا يدخل في هذا الخطاب.

3- الإجماع: مثل له بعضهم بإجماع المسلمين على أن الأخت من الرضاع لا تحل بملك اليمين فيلزم تخصيص "أو ما ملكت أيمانكم" المومنون 6، بالإجماع... فمستند هذا الإجماع الذي ذكرنا هو قوله تعالى: "وأخواتكم من الرضاعة" النساء 23.

4- القياس: لقوله تعالى: "الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مئة جلدة" النور2، فإن عموم الزانية خصص بالنص وهو قوله في الإماء: "فعليهن نصف ما على المحصنات" النساء25.

5- المفهوم ومفهوم موافقة ومفهوم مخالفة: فمثال التخصيص بمفهوم الموافقة قوله صلى الله عليه وسلم: "لَيُّ الواجِدِ ظلم يحل عرضه وعقوبته" بمفهوم الموافقة: "فلا تقل لهما أف" الإسراء 23، فإنه يفهم منه حبس الوالد في الدين فلا يحبس في دين ولده، ومثال التخصيص بمفهوم المخالفة تخصيص حديث "في أربعين شاة شاة " بمفهوم المخالفة في قوله: "في الغنم السائمة الزكاة" فمفهوم السائمة أنه لا زكاة في المعلوفة فتخرج من عموم "في أربعين شاة شاة".

6- العرف المقارن للخطاب: ومثاله قول النبي صلى الله عليه وسلم: "الطعام بالطعام مثلا بمثل" وكان طعامهم يومئذ الشعير، فخصص الطعام بالشعير للعرف المقارن للخطاب.

7- نص آخر يخصص العموم: وهذا النوع أربعة أقسام (تخصيص كتاب بكتاب وتخصيص كتاب بسنة، وتخصيص سنة بسنة وتخصيص السنة بالكتاب).

ومن أمثلة التخصيص يقول الشنقيطي: "أما الخطاب الخاص بالنبي صلى الله عليه وسلم في نحو قوله: "فبهداهم اقتده" الأنعام 90، فقد دلت النصوص على شمول حكمة للأمة، كما في قوله تعالى: "لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة" الأحزاب 21، وقد علمنا ذلك من استقراء القرآن العظيم حيث يعبر فيه دائما بالصيغة الخاصة به صلى الله عليه وسلم ثم يشير إلى أن المراد عموم حكم الخطاب للأمة، كقوله تعالى: "يا أيها النبي" الطلاق 01، ثم قال: (إذا طلقتم النساء) فدل على دخول الكل حكما تحت قوله (يا أيها النبي)، وقال في سورة التحريم: "يا أيها النبي لم تحرم" التحريم 01، ثم قال: "قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم" التحريم 02، فدل على عموم حكم الخطاب بقوله (يا أيها النبي)..." (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج2، ص52 وما بعدها)

ويقول الشيخ عن الإنذار في القرآن: "وحاصل تحرير المقام أن الإنذار يطلق في القرآن إطلاقين:

أحدهما عام لجميع الناس كقوله: "يا أيها المدثر قم فأنذر" المدثر 01 و02، وقوله: "تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا" الفرقان 01.

والثاني: إنذار خاص بالكفار لأنهم هو الواقعون فيما أنذروا به من النكال والعذاب كقوله: "لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا" مريم 97 (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج2، ص216).

ومن القواعد الأصولية التي ذكرها الشيخ والمتعلقة بهذا المبحث ما يلي:

1- العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب: وأمثلته كثيرة في كتب الشنقيطي منها، قوله تعالى: "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون" المائدة 44، وفي آية ثانية: "فأولئك هم الظالمون" وفي آية ثالثة: "فأولئك هم الفاسقون"، يقول الشنقيطي: "واعلم أن تحرير المقام في هذا المبحث أن الكفر والظلم والفسق كل واحد منها ربما أطلق في الشرع مرادا به المعصية تارة، والكفر المخرج من الملة أخرى (ومن لم يحكم بما أنزل الله) معارضة للرسل وإبطالا لأحكام الله، فظلمه وفسقه وكفره مخرج عن الملة (ومن لم يحكم بما انزل الله) معتقدا أنه مرتكب حراما فاعل قبيحا، فكفره وظلمه وفسقه غير مخرج من الملة، وقد عرفت أن ظاهر القرآن يدل على أن الأولى في المسلمين والثانية في اليهود والثالثة في النصارى، والعبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب".(الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج2، ص81)

ويقول تعالى: "وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا" النساء 61، فذكر الشنقيطي أن من دلالة هذه الآية أن من دعي إلى العمل بالقرآن والسنة وصد عن ذلك أنه من جملة المنافقين لأن العبرة بعموم الألفاظ لا بخصوص الأسباب.(الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج7، ص314).

ومن أمثلته كذلك ما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "أن رجلا أصاب من امرأة قبلة، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فأنزل الله: "وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات" هود 114، فقال الرجل: يا رسول الله: "ألي هذا؟ قال: لجميع أمتي كلهم".

يقول الشنقيطي في هذا الصدد: "فهذا الذي أصاب القبلة من المرأة نزلت في خصوصه آية عامة اللفظ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم ألي هذا؟ ومعنى ذلك: هل النص خاص بي لأني سبب وروده أو هو على عموم لفظه؟ وقول النبي صلى الله عليه وسلم (لجميع أمتي) معناه إن العبرة بعموم لفظ (إن الحسنات يذهبن السيئات) لا بخصوص السبب والعلم عند الله تعالى".(الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص189). ولو كان المراد تخصيصه

بالحكم لكان النص: إن حسناتك تذهب سيئاتك، فدل عمومها على عموم حكمها وعدم اعتبار سببها، واعتمد هذه القاعدة أكثر علماء الأمة من مفسرين وعلماء ومحققين من أهل الأصول وغيرهم.

2- لا يتعارض العام والخاص: ومن أمثلة هذا يذكر الشيخ أن الضبع من جملة السباع فيدخل في عموم النهي عن أكل كل ذي ناب من السباع، ولم يخص سبعا منها عن سبع....، قال مقيده عفا الله عنه، للمخالف أن يقول أحاديث النهي عامة في كل ذي ناب من السباع، ودليل إباحة الضبع خاص، ولا يتعارض عام وخاص لأن الخاص يقضي على العام فيخصص عمومه به كما هو مقرر في الأصول (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج2، ص199).

ويقول تعالى: "أحل لكم صيد البحر وطعامه" المائدة 96، وقوله صلى الله عليه وسلم في البحر "هو الطهور ماؤه الحل ميتته" أقوى من حديث جابر (أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا طفا السمك على الماء فلا تأكله وإذا جزر عنه البحر فكله وما كان على حافته فكله") وقد يجاب عن هذا بأنه لا يتعارض عام وخاص، وحديث جابر في خصوص الطافي فهو مخصص لعموم أدلة الإباحة. (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، 80)

3- العلة تعمم معلولها: ومن صور هذه القاعدة من كلام الشنقيطي: "إن آية الحجاب: "وإذا سألتموهن فاسألوهن من وراء حجاب" الأحزاب 53، خاصة بأزواج النبي صلى الله عليه وسلم، فإن تعليله تعالى لهذا الحكم الذي هو إيجاب الحجاب بكونه أطهر لقلوب الرجال والنساء من الريبة في قوله (ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن) قرينة واضحة على إرادة تعميم الحكم، إذ لم يقل أحد من جميع المسلمين: إن غير أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لا حاجة إلى أطهرية قلوبهن وقلوب الرجال من الريبة منهن وقد تقرر في الأصول: أن العلة قد

تعمم معلولها... فالدليل واضح على أن وجوب الحجاب حكم عام في جميع النساء"(الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان،ج6، ص383).

4- نفي الأخص لايستلزم نفي الأعم: ومثال هذا يقول الشنقيطي: "قال تعالى: "قالت الاعراب آمنا قل لم تومنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الايمان في قلوبكم" الحجرات 14، ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن هؤلاء الأعراب وهم أهل البادية من العرب قالوا آمنا، وأن الله جل وعلا أمر نبيه أن يقول لهم (لم تومنوا ولكن قولوا أسلمنا) وهذا دليل على نفي الإيمان عنهم ثبوت الإسلام لهم، وذلك يستلزم أن الإيمان أخص من الإسلام لأن نفي الأخص لا يستلزم نفي الأعم".(الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان،ج7، ص422)

5- قواعد أصولية أخرى ذكرناها من قبل ومثلنا لها بأمثلة، لكن لا بأس أن نعيد ذكرها مختصرة موجزة بدون شرح وبدون شواهد، ومن هذه القواعد (الموصولات من صيغ العموم) و(النكرة في سياق النفي من صيغ العموم) و(المفرد إذا كان اسم جنس أضيف إلى معرفة يعم) و(الخاص مقدم على العام) و(ذكر بعض أفراد العام بحكم العام لا يخصصه) و(كلما من صيغ العموم) و(كل من صيغ العموم) و(اسم الجنس المضاف إلى نكرة فهو عام) و(خطاب الواحد يراد به العموم) و(لا يتعارض العام والخاص) و(الخاص مقدم على العام). (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان: ج6 ص03/ ج2 ص30/ج3 ص191/ج3 ص179/ج3 ص187/ ج2 ص252/ ج4 ص252/ ج7 ص18/ ج2 ص199/ ج3 ص179 بحسب توالي تلك القواعد الأصولية المذكورة).

ومن القواعد أيضا ذكر الشنقيطي في مؤلفاته ما يلي:

(المثبت مقدم على النافي)، و(إذا تعارض في الحديث إرسال وإسناد حكم بالمسند) و(أخذ الأحكام من مظانها أولى من أخذها من غير مظانها) و(الظن لا ينافي احتمال النقيض)، (النهي مقدم على الأمر)، (لا تحريم إلا بدليل)، (النص إذا دار بين الحقيقة الشرعية والحقيقة

اللغوية حمل على الشرعية)، (المتواتر مقدم على الآحاد)، و(إذا دار التلازم بين التوكيد والتأسيس رجح حكمه على التأسيس)، (النظير يعرف بنظيره)، (نفي اللازم يقتضي نفي الملزوم) (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1 ص279 و286/ ج1 ص294/ ج1 ص301/ ج1، ص306/ ج2 ص59/ ج2 ص200/ ج3 ص74/ ج3 ص179/ ج3 ص265/ ج4 ص103/ ج5 ص527 بحسب توالي القواعد الموضوعة بين قوسين).

3- المطلق والمقيد: يعرف المطلق لغة بأنه المنفك من كل قيد حسيا كان أو معنويا، تقول: أطلقت الدابة إذا فككت قيدها وسرحتها وهذا إطلاق حسي، ويقال طلق الرجل زوجته إذا فك قيدها من الارتباط به، وهذا إطلاق معنوي (الرومي فهد بن عبد الرحمن بن سليمان: دراسات في علوم القرآن الكريم، ص557.) ، وأما اصطلاحا فذكر له العلماء عدة تعريفات منها:

المطلق: "ما دل على الماهية بلا قيد من حيث هي هي"(الرومي فهد بن عبد الرحمن بن سليمان: دراسات في علوم القرآن الكريم، ص558.) وهو تعريف الزركشي، والمطلق هو "المتناول لواحد لا بعينه باعتبار حقيقة شاملة لجنسه" (ابن قدامة المقدسي: روضة الناظر وجنة المناظر، ص136). كما ذكر ابن قدامة، ويعرفه ابن فارس بأنه "أن يذكر الشيء باسمه لا يقرن به صفة ولا شرط ولا شيء يشبه ذلك" (ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، 1910، ص164). وهو عند الآمدي: "النكرة في سياق الإثبات". ويقول القرافي: "كل شيء يقول الأصوليون إنه مطلق: "يقول النحاة: إنه نكرة، وكل شيء يقول النحاة إنه نكرة يقول الأصوليون: إنه مطلق فكل نكرة في سياق الإثبات مطلق عند الأصوليين، فما أعلم موضعا ولا لفظا من ألفاظ النكرات يختلف فيها النحاة والأصوليون، بل أسماء الأجناس كلها في سياق الثبوت هي نكرات عند النحاة، ومطلقات عند

الأصوليين" (القرافي شهاب الدين: العقد المنظوم في الخصوص والعموم، 1418هـ، ج1، ص304).

فمن هنا يتضح أن المطلق ما دل على حقيقة بلا قيد فهو يتناول واحدا لا بعينه من الحقيقة ولا فرق بين المطلق والنكرة في سياق الإثبات بل هما بمعنى واحد في عرف النحاة والأصوليين.

أما المقيد فهو خلاف المطلق وهو ما دل على حقيقة بقيد، ويكون القيد إما حسيا وإما معنويا، تقول: قيدت الدابة إذا ربطتها بحبل ونحوه وهذا قيد حسي، وفي الحديث: "الإيمان قيد الفتك، لا يفتك مؤمن" (ابن أبي شيبة الكوفي: مصنف ابن أبي شيبة تعليق سعيد اللحام، ص644). ومعناه أن الإيمان يمنع عن الفتك بالمؤمن، ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "قيدوا العلم بالكتابة" (الدارمي: سنن الدارمي،ج1، ص38). وهذا وذاك قيد معنوي. (الرومي فهد بن عبد الرحمن بن سليمان، دراسات في علوم القرآن الكريم، ص559.).

فمطلق القرآن ومقيده باب من أبواب البيان العربي، ذلك أن الأحكام التشريعية بعضها يرد تارة مطلقا غير متقيد لا بصفة ولا بشرط، ويرد تارة ثانية مقيدا إما بصفة وإما بقيد، ومن أمثلة المطلق في القرآن قوله تعالى: "فتحرير رقبة" المجادلة 03، فلفظ (رقبة) هنا مطلق يتناول عتق إنسان مملوك، وهو شائع في جنس العبيد مؤمنهم وكافرهم على السواء، وهو نكرة في الإثبات لأن المعنى (فعليه تحرير رقبة). وكقوله عليه الصلاة والسلام" لا نكاح إلا بولي" فلفظ (الولي) مطلق هنا في جنس الأولياء سواء كان رشيدا أو غير رشيد (اسماعيل شعبان محمد: المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية 1399هـ، ج1، ص484.).

ومثال المقيد في القرآن قوله تعالى: "فتحرير رقبة مومنة" النساء 92، فاشترط في الرقبة هنا أن تكون مؤمنة وهذا قيدها، ولو لم يذكر لفظ (مؤمنة) لجاء الخطاب مطلقا.

ولو جئنا إلى ما ذكره الشنقيطي حول هذا المبحث لوجدناه يتفق مع علماء الأصول في التعريف به والأمثلة التي ساقها، كما يلي:

يعرف الشنقيطي المطلق بأنه "هو المتناول لواحد لا بعينه باعتبار حقيقة شاملة لجنسه، وهي النكرة في سياق الأمر: كقوله تعالى: "فتحرير رقبة مومنة" النساء 92، وقد يكون في الخبر نحو: "لا نكاح إلا بولي وشاهدين" (الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص277).

وهذا ذكره علماء الأصول والباحثون في علوم القرآن، ويشير الشيخ إلى اتحاد النكرة والمطلق الذي هو اسم الجنس، وكثير من الأصوليين يفرقون بينهما(الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص277).

وأما تعريف المقيد فهو عنده "المتناول لمعين أو لغير معين موصوف بأمر زائد على الحقيقة الشاملة لجنسه كقوله تعالى: "وتحرير رقبة مومنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين" النساء 92، قيد الرقبة بالإيمان والصيام بالتتابع. (الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص278)

ويضيف الشيخ: "وقد يكون اللفظ مقيدا من جهة ومطلقا من جهة أخرى، كقوله: "رقبة مؤمنة" فهي مقيدة بالإيمان مطلق بالنسبة إلى السلامة وسائر الأوصاف".(الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص278)

ويقول في موضع آخر معرفا المقيد بقوله: "هو ما زيد معنى على معناه لغير معناه نحو: "رقبة مؤمنة"، فالإيمان معنى زيد على معنى الرقبة، فالرقبة مقيدة بالإيمان" (الشنقيطي محمد الأمين، نثر الورود على مراقي السعود، ج1، ص319.).

وهذا أثناء شرحه لبيت من أبيات صاحب "مراقي السعود" عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي في قوله:

فما على معناه زيد مسجلا معنى لغيره اعتقده الأوَّلا.

ويضيف شارحا: "وقوله (مسجلا): معناه مطلقا أي سواء ذكر القيد أو كان مقدرا، فمثال ذكره قوله تعالى: "فتحرير رقبة مومنة" النساء 92، ومثال تقديره قوله تعالى: "وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا" الكهف 79، فالسفينة هنا مقيدة بالصفة المقدرة، أي (كل سفينة صالحة صحيحة) وكذلك كان يقرؤها ابن عباس، وقول عبيد بن الأبرص:

من قوله قول ومن فعله فعل ومن نائله نائل.

أي قوله فصل، وفعل فعل جميل، ونائله نائل جزل، وقول آخر:

ورب أسيلة الخدين بكر مهفهفة لها فرع وجيد.

أي فرع فاحم وجيد طويل. (الشنقيطي محمد الأمين، نثر الورود على مراقي السعود، ج1، ص319.)

فإذا ورد الخطاب مطلقا لا مقيد له وجب حمله على إطلاقه، وإذا ورد الخطاب مقيدا لا مطلقا له وجب حمله على تقييده، وإذا ورد الخطاب مطلقا في موضع ومقيدا في آخر فله صور أربعة يذكرها الشيخ:

الأولى: أن يتحد حكمهما والسبب واحد، والثانية أن يتحد الحكم ويختلف السبب، والثالثة أن يتحد السبب ويختلف الحكم والرابعة أن يختلفا معا" (يراجع كل من: الشنقيطي: مذكرة في أصول الفقه، ص278، ونثر الورود على مراقي السعود، ج1، ص325 و(دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) ص86، و(أضواء البيان، ج6 ص357))..

ويفصل الشنقيطي في أحوال وصور المطلق والمقيد قائلا: "فإن اتحد السبب والحكم وجب حمل المطلق على المقيد خلافا لأبي حنيفة ومثاله: "حرمت عليكم الميتة والدم" المائدة 03، مع قوله: "أو دما مسفوحا" الأنعام 145، وحجة أبي حنيفة: إن الزيادة على النص نسخ، وإن اتحد الحكم واختلف السبب كقوله في كفارة القتل "رقبة مؤمنة" مع قوله: اليمين والظهار: رقبة فقط، فقيل يحمل المطلق على المقيد فيشترط الإيمان في رقبة الظهار واليمين...

وقيل لا يحمل عليه....، وأما إن اختلف الحكم فقال المؤلف (يقصد ابن قدامة الحنبلي): لا يحمل المطلق على المقيد سواء اختلف السبب أو اتفق، كخصال الكفارة، إذ قيد الصوم بالتتابع أو أطلق الإطعام لأن القياس من شرطه اتحاد الحكم والحكم هنا مختلف، قلت: (يعني الشنقيطي): أما إن اختلف الحكم والسبب معا فهو كما قال المؤلف (يقصد ابن قدامة) لا خلاف في عدم حمله عليه، وأما إن اختلف الحكم واتحد السبب، فبعض العلماء يقول في هذه الصورة: يحمل المطلق على المقيد كما قبلها ومثَّلوا له بصوم الظهار وعتقه فإنهما مقيدان بقوله: "من قبل أن يتماسا المجادلة 03، وإطعامه مطلق على ذلك فيقيده بكونه قبل المسيس حملا للمطلق على المقيد لاتحاد السبب، ومثل له اللخمي بالإطعام في كفارة اليمين حيث قيد في قوله: "أو كسوتهم" المائدة 89، فيحمل المطلق على المقيد فيشترط في الكسوة أن تكون من أوسط ما تكسون أهليكم". (الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص279.)

ويضيف الشنقيطي: "وحمل المطلق على المقيد قيل من أساليب اللغة لأن العرب يثبتون ويحذفون اتكالا على المثبت كقول قيس بن الخطيم:

نحن بما عندنا وأنت بما عندك راض والرأي مختلف.

فحذف (راضون) لدلالة (راض) عليه، وقول عمرو بن أحمد الباهلي:

رماني بأمرٍ كنتُ منه ووالدي بريئا ومن أجل الطوى رماني.

وقيل بالقياس، وقيل بالعقل وهو أضعفها، هذا الذي ذكرنا فيما إذا كان المقيد واحدا"(الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص280.).

ومن صور حمل المطلق على المقيد يقول الشنقيطي: "أما إذا كان هناك مقيدان بقيدين مختلفين فإن كان أحدهما أقرب للمطلق حمل عليه عند جماعة من العلماء... وإن لم يكن أحدهما أقرب لم يحمل على واحد منهما اتفاقا، مثال الأول إطلاق صوم كفارة اليمين عن القيد مع قيد التتابع في صوم الظهار وقيد التفريق في صوم التمتع، فالظهار أقرب لليمين من

التمتع لأن كلا منهما كفارة فيقيد بالتتابع دون التفريق...ومثال الثاني: صوم قضاء رمضان فإنه تعالى أطلقه في قوله: "فعدة من أيام أخر" البقرة 184، مع قيد صوم الظهار بالتتابع وصوم التمتع بالتفريق، وقضاء رمضان ليس أقرب لواحد منهما فيبقى على إطلاقه من شاء تابعه ومن شاء فرقه"(الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص280.)

ومن أمثلة الإطلاق والتقييد في مؤلفات الشيخ قوله تعالى: "حرمت عليكم الميتة والدم" المائدة 03، يذكر الشيخ أن "ظاهر الآية يدل على أن جميع أنواع الميتة والدم حرام، ولكنه بين في موضع آخر أن ميتة البحر خارجة عن ذلك التحريم وهو قوله: "إلا أن يكون ميتة أو دما مسفوحا" الأنعام 145، فيفهم منه أن غير المسفوح كالحمرة التي تعلو القدر من أثر تقطيع اللحم ليس بحرام، إذ لو كان كالمسفوح لما كان في التقييد بقوله (مسفوحا) فائدة". (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص740.)

وفي تفسير قوله تعالى: "فتحرير رقبة مومنة" النساء 92، يقول الشيخ: "وهذه من مسائل المطلق والمقيد في حال اتفاق الحكم مع اختلاف السبب، وكثير من العلماء يقولون فيه بحمل المطلق على المقيد فيقيد رقبة اليمين والظهار بالقيد الذي في رقبة القتل خطأ حملا للمطلق على المقيد، وخالف في ذلك أبو حنيفة ومن وافقه". (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج2، ص97). فلم يقيد هنا (رقبة) كفارة اليمين بالإيمان وقيد به كفارة القتل خطأ، وفي سياق متصل يقول عن آية: "فتحرير رقبة مومنة" النساء 92، قيد في هذه الآية الرقبة المعتقة في كفارة القتل خطأ بالإيمان، فأطلق الرقبة في كفارة الظهار واليمين عن قيد الإيمان حيث قال: "فتحرير رقبة" ولم يقل (مؤمنة). وهذه المسألة من مسائل تعارض المطلق والمقيد". (الشنقيطي محمد الأمين، إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ص58)، وذكر الحالات الأربعة لمسألة حمل المطلق على المقيد.

ومن أمثلة المطلق والمقيد عند الشنقيطي ما ذكره في تفسير قوله تعالى: "وما جعل أزواجكم اللائي تظهرون منهن أمهاتكم" الأحزاب 04، فقال: "اعلم أن أهل العلم اختلفوا

في الرقبة في كفارة الظهار هل يشترط فيها الإيمان أم لا يشترط فيها؟ فقال بعضهم: لا يشترط فيها الإيمان، فلو أعتق المظاهر عبدا ذميا مثلا أجزاه، وممن قال بهذا القول: أبو حنيفة وأصحابه وعطاء والثوري والنخعي وأبو ثور وابن المنذر، وحجة أهل هذا القول أن الله تعالى قال في الآية الكريمة "فتحرير رقبة" ولم يقيدها بالإيمان فوجب أن يجزي ما تناوله إطلاق الآية، قالوا: وليس لأحد أن يقيد ما أطلقه الله في كتابه إلا بدليل يجب الرجوع إليه، وممن قال باشتراط الإيمان في رقبة كفارة الظهار مالك والشافعي والحسن وإسحاق وأبو عبيدة، واحتج لأهل هذا القول بما تقرر في الأصول من حمل المطلق على المقيد". (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج6، ص357.) وذكر الحالات الأربعة لتعارض المطلق والمقيد.

4- التأويل والمحكم: التأويل لغة مصدر من باب التفعيل وأصله من (أوَل) من (آل يؤول) ومادته اللغوية على عدة معان. (يعقوب طاهر محمود محمد: أسباب الخطإ في التفسير، ، 1425هـ ج1، ص441)، وهي:

أ- الإصلاح: ويتعدى بنفسه، قال أبو العباس المبرد: "أصله من الإصلاح، يقال آله يؤوله أولا، إذا أصلحه".

ب- العودة والرجوع: يقال: آل الرجل عن الشيء ارتد عنه.

ج- التغيير والخثور: يقال: آل اللبن والعسل والشراب ونحوه إذا خثر وتغير.

د- العاقبة: قال ابن فارس: "ومن هذا الباب تأويل الكلام وهو عاقبته وما يؤول إليه".

هـ- التفسير: يقال: أول الكلام تأويلا، وتأوَّله: دبَّره وقدَّره وفسَّره"(يعقوب طاهر محمود محمد: أسباب الخطإ في التفسير، ، 1425هـ، ج1، ص442).

من هذه التعاريف نفهم أن التأويل من الأوَل وهو الرجوع والتدبر والتقدير والتفسير هذا من حيث معناه اللغوي.

أما المفهوم الاصطلاحي فهو تفسير الكلام وبيان معناه سواء كان موافقا للظاهر أم مخالفا له (الذهبي محمد حسين: علم التفسير، ص07، وهو "صرف اللفظ عن معناه الظاهر

إلى معنى يحتمله إذا كان المحتمل الذي يراه موافقا للكتاب والسنة" (الجرجاني علي محمد بن علي (ت 816هـ) التعريفات، 1405هـ، ص28.)، ويعرفه الآمدي في تعريف دقيق وشامل فقال: "أما التأويل – من حيث هو تأويل مع قطع النظر عن الصحة والبطلان– هو حمل اللفظ على غير مدلوله الظاهر منه مع احتماله له". (يعقوب طاهر محمود محمد، أسباب الخطإ في التفسير، ص444.)

غير أن بعض علماء الأصول والقرآن يفرقون بين التأويل والتفسير مع أن البعض يجعلهما مفهوما واحدا بحسب عرف الاستعمال، ويذكر الفريق الأول الاختلاف بين التأويل والتفسير فقيل: التفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، وقيل التفسير أعم من التأويل وأكثر استعماله في الألفاظ، وأكثر استعمال التأويل في المعاني كتأويل الرؤيا وأكثره يستعمل في الكتب الإلهية، والتفسير يستعمل في غيرها، والتفسير أكثر ما يستعمل في معاني مفردات الألفاظ (الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 1404هـ/1984، ج2، ص)149.، وقيل: إن التفسير ما يتعلق بالرواية والتأويل ما يتعلق بالدراية، وعلى هذا فهما متباينان...ويعتبر في التفسير الإتباع والسماع وإنما الاستنباط ما يتعلق بالتأويل. (الذهبي محمد حسين، علم التفسير، ص08.)

وخلاصة الآراء: إن الفرق بين التفسير والتأويل هو أن الأول ما كان راجعا إلى الرواية والتأويل ما كان راجعا إلى الدراية، والتفسير معناه الكشف والشرح والبيان والإيضاح وهذا لا يكون إلا بالنقل الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عن بعض الصحابة الذين شهدوا نزول الوحي وخالطوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورجعوا إليه فيما أشكل عليهم من معاني القرآن، وأما التأويل فملحوظ فيه ترجيح أحد محتملات اللفظ بدليل وهذا يعتمد على الاجتهاد، ويتوصل إليه بمعرفة مفردات الألفاظ ومدلولاتها في العربية، وحسب ورودها في السياق ومعرفة الأساليب العربية واستنباط المعاني من ذلك.

وأما المحكم فلغة له عدة معان لكنها مع تعددها تعود إلى شيء واحد هو المنع، فيقال: أحكَم الأمرَ أي أتقنه ومنعه عن الفساد، ويقال أحكمه عن الأمر أي رجعه عنه ومنعه منه، ويقال: حكم نفسه وحكم الناس أي منع نفسه ومنع الناس عما لا ينبغي، ويقال: أحكم الفرسَ أي جعل له حَكَمة، والحَكَمَة ما يحاط بحنكي الفرس من لجامه تمنعه من الاضطراب، وقيل "آتاه الله الحكمة" أي العدل أو العلم أو الحلم أو النبوة أو القرآن". (الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، 1415هـ/ 1995، ج2، ص213).

وأما اصطلاحا فهو ما عرف المراد منه إما بالظهور وإما بالتأويل، وقيل: هو ما لا يحتمل إلا وجها واحدا(الصباغ محمد لطفي: لمحات في علوم القران، 1410هـ/1990، ص152.) ، وهو أيضا ما أحكمته بالأمر والنهي وبيان الحلال والحرام، وقيل: هو الذي لم ينسخ، وقيل: هو الناسخ، وقيل: الفرائض والوعد والوعيد، وقيل: الذي وعد عليه ثوابا أو عقابا، وقيل: الذي تأويله تنزيله يجعل القلوب تعرفه عند سماعه، وقيل ما لا يحتمل في التأويل إلا وجها واحدا، وقيل: ما تكرر لفظه (الزركشي بدر الدين: البرهان في علوم القرآن، ج2، ص68، وما بعدها.).

وأما الشنقيطي فله تعريف يوافق ما ذكرنا، فقد عرف التأويل بقوله: "التأويل في اللغة ما تؤول إليه حقيقة الشيء وذلك هو معناه في القرآن حيث جاء، وبعض العلماء كابن جرير الطبري يطلق التأويل يعني به التفسير، وفي اصطلاح الأصوليين هو ما صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى محتمل مرجوح، وحمله عن ذلك المحتمل المرجوح لدليل اقتضى ذلك...، والمحكم في اللغة اسم مفعول من أحكمه بمعنى أتقنه (الشنقيطي محمد الأمين، نثر الورود على مراقي السعود، ج1،ص328.)، وفي الاصطلاح يراد به غير المنسوخ ويطلق أيضا مرادا به المتقن لقوله: "كتاب أحكمت آياته" هود 01. (الشنقيطي محمد الأمين، نثر الورود على مراقي السعود، ج1، ص332.)

وينقسم التأويل عند الشنقيطي إلى تأويل صحيح وآخر فاسد فيقول: "التأويل ينقسم إلى تأويل صحيح وتأويل فاسد، والصحيح هو القريب والفاسد هو البعيد، أما التأويل القريب فهو الذي يكون فيه الدليل الذي دل على صرف اللفظ عن المعنى الراجح الظاهر إلى المعنى الخفي المرجوح قويا في نفس الأمر، لا في ظن المؤول...، وأما التأويل البعيد فهو كون الدليل الذي استبدل به على صرف اللفظ عن الظاهر الراجح إلى الخفي المرجوح ليس قويا في نفس الأمر وإن كان المؤول يظنه قويا (الشنقيطي محمد الأمين، نثر الورود على مراقي السعود، ج1،ص329.).

ومن الأمثلة التي ضربها الشنقيطي عن التأويل الفاسد قوله تعالى: "ستين مسكينا" المجادلة 4، أوَّلها الحنفية بالمد حيث جوزوا إعطاء ستين مُدا لمسكين واحد في ستين يوما، حيث جعلوا الذي لم يذكر وهو المد هو المقصود والذي ذكر وهو المسكين غير مقصود مع أن قصد العدد فيه من الفائدة ما لم يكن في الواحد لأن إعطاء المكفر ستين رجلا يستدعي تظافر الكل على الدعاء له، وكثرة الداعين مظنة الإجابة ومظنة صلاح البعض إن لم يكن الكل صالحا وهذا لا يوجد من الواحد".(الشنقيطي محمد الأمين، نثر الورود على مراقي السعود، ج1،ص330.)

ومن التأويل الفاسد أيضا ما يسمى باللعب كقول غلاة الشيعة في "أن تذبحوا بقرة" البقرة 67، هي عائشة (الشنقيطي محمد الأمين، مذكرة في أصول الفقه، ص212.)، وكذا قوله تعالى: "مرج البحرين يلتقيان" الرحمن 19، إنهما علي وفاطمة رضي الله عنهما، وأن قوله: "بينهما برزخ" الرحمن20، يعني الحسن والحسين، ومعنى اللعب أنه متلاعب بكتاب الله أو سنة نبيه عليه الصلاة والسلام (الشنقيطي محمد الأمين، نثر الورود على مراقي السعود، ج1،ص329.)، وغير ذلك من الأمثلة كدليل على فساد التأويل.

وفي تفسير آية "وما يعلم تاويله إلا الله" آل عمران 07، يقول الشنقيطي: "يحتمل أن يكون المراد بالتأويل في هذه الآية الكريمة التفسير وإدراك المعنى، ويحتمل أن المراد به حقيقة

أمره التي يؤول إليها، وقد قدمنا في مقدمة هذه الكتاب أن من أنواع البيان أن كون أحد الاحتمالين هو الغالب في القرآن، يبين ذلك أن الاحتمال الغالب هو المراد، لأن الحمل على الأغلب أولى من الحمل على غيره، وإذا عرفت ذلك فاعلم أن الغالب في القرآن إطلاق التأويل على حقيقة الأمر التي يؤول إليها كقوله: "هذا تأويل رؤياي من قبل" يوسف 100، وقوله: "هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله" الأعراف 53، وقوله: "بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله" يونس 39، وقوله: "ذلك خير وأحسن تأويلا" النساء 59، إلى غير ذلك من الآيات، قال ابن جرير الطبري: وأصل التأويل من آل الشيء إلى كذا إذا صار إليه ورجع يؤول أَوْلا، وأوَّلته أنا صيرته إليه، وقال وقد أنشد بعض الرواة بيت الأعشى:

على أنها كانت تَأَوَّلُ حبّها تأول رِبعِي السِّقاب فأصحبا

قال: ويعني بقوله: تأوَّل حبها: مصير حبها ومرجعه، وإنما يريد بذلك أن حبَّها كان صغيرا في قلبه، فآل من الصغر إلى العظم، فلم يزل ينبت حتى أصعب فصار قديما كالسقب الصغير الذي لم يشب حتى أصحب فصار كبيرا مثل أمه..." (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص208.)

ويستخلص الشنقيطي من كلام الطبري عدة تعاريف فيقول: "اعلم أن التأويل يطلق ثلاثة إطلاقات:

الأول: هو ما ذكرنا من أنه الحقيقة التي يؤول إليها الأمر وهذا هو معناه في القرآن.

الثاني: يراد به التفسير والبيان ومنه بهذا المعنى قوله صلى الله عليه وسلم في ابن عباس: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل".

الثالث: هو معناه المتعارف في اصطلاح الأصوليين، وهو صرف اللفظ عن ظاهره المتبادر منه إلى محتمل مرجوح بدليل يدل على ذلك" (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص209).

ويفرق الشيخ بين الفقه والتأويل الواردين في دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم لابن عباس: "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"، فقال:"والفرق بين الفقه والتأويل أن الفقه هو فهم المعنى المراد، والتأويل إدراك الحقيقة التي يؤول إليها المعنى التي هي أخيته وأصله، وليس كل من فقه في الدين عرف التأويل، فمعرفة التأويل يختص بها الراسخون في العلم وليس المراد به تأويل التحريف وتبديل المعنى، فإن الراسخين في العلم يعلمون بطلانه والله يعلم بطلانه". (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص208.)

ويشير الشنقيطي إلى أن يلتزم المؤوِّل أمرين اثنين لا ثالث لهما فيقول:

"واعلم أن كل مؤوِّل يلزمه أمران: الأول: بيانه احتمال اللفظ لما حمله عليه، والثاني: الدليل الصارف له إلى المحتمل المرجوح" (الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص213).

وكل ما قاله الشيخ يوافق ما قاله علماء القرآن والتفسير وهذا دليل على اطلاع الشيخ على كتب علم الأصول وعلوم القرآن وكتب التفسير، أما أمثلة المحكم فهو واضح المعنى وكثير الأدلة على أنه بيان الحلال والحرام بإتيان أوامر الله ورسوله واجتناب نواهيهما وهو ما لا يحتمل إلا وجها واحدا، وأخذاً بهذا المفهوم فشواهده كثيرة في القرآن نحو: "أقيموا الصلاة" و"لا تقربوا الزنا" (الشنقيطي: نثر الورود على مراقي السعود، ج1، ص332.) ، لأن صيغة الأمر تقتضي الوجوب، وصيغة النهي تقتضي التحريم كما جاء في علم الأصول.

5- المجمَل والمبيَّن: المجمل هو اللفظ الذي لا يدل بصيغته على المراد منه، ويتوقف إدراكه على بيان من الشارع نفسه (اسماعيل شعبان محمد، المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية، ج1، ص488.)، والمبين يقابل المجمل فهو الذي اتضحت دلالته بأنه يكون مستغنيا عن البيان أو أن يكون محتاجا إلى البيان فبُيِّن، والمبين قد يكون فعلا وقد يكون قولا، والقول إما مفرد وإما مركب(اسماعيل شعبان محمد، المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية، ج1، ص490.).

ويعرفهما الشنقيطي بقوله: "اعلم أن المجمل في اللغة هو المجموع وجملة الشيء مجموعه، وأما في الاصطلاح فقد اختلفت فيه عبارات أهل الأصول، والتحقيق أنه هو: "ما احتمل معنيين أو أكثر من غير ترجح لواحد منهما أو منها على غيرها، وعرفه في مراقي السعود بقوله:

وذو وضوح محكَم والمجمَل هو الذي المراد منه يجهل.

واعلم أن المبهم أعم من المجمل عموما مطلقا، فكل مجمل مبهم وليس كل مبهم مجملا، فمثلا: قولك لعبد: تصدق بهذا الدرهم على رجل فيه إبهام وليس مجملا، لأن معناه لا إشكال فيه، لأن كل رجل تصدق عليه به حصل به المقصود، والدليل على أن المجمل هو ما ذكرنا أن اللفظ لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يدل على معنى واحد لا يحتمل غيره فهو النص نحو: "تلك عشرة كاملة" البقرة 196، وإما أن يحتمل غيره، وهذا له حالتان:

الأولى: أن يكون أحد المحتملين أظهر، والثانية: أن يتساويا بأن لا يكون أحدهما أظهر من الآخر، فإن كان أحد المعنيين أظهر فهو الظاهر ومقابله محتمل، وإن استويا فهو المجمل...، وأما البيان: فهو لغة اسم مصدر بمعنى التبيين وهو الإيضاح والإظهار كالسلام بمعنى التسليم والكلام بمعنى التكليم والطلاق بمعنى التطليق، وقد يطلق على المبيِّن والمبيَّن بالكسر والفتح، ومن أهل الأصول من يطلق البيان على كل إيضاح سواء أتقدمه خفاء أم لا، وكثير من الأصوليين لا يطلقون البيان بالاصطلاح الأصولي إلا على إظهار ما كان فيه خفاء وعليه درج في مراقي السعود بقوله معرفا للبيان في الإصلاح:

تصيير مشكل من الجلي وهو واجب على النبي.

إذا أريد فهمه وهو بما من الدليل مطلقا يجلو العمى.

فكل ما يزيل الإشكال يسمى بيانا في الاصطلاح بمعنى المبيِّن بالكسر" (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص24 وما بعدها.).

ومن أمثلة هذا المبحث قوله تعالى: "وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو" الأنعام 59، يقول الشيخ: "بين تعالى المراد بمفاتح الغيب بقوله: "إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الارحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت" لقمان 34"(الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج2، ص148)، فقد أوردها لفظا مجملا مبهما في آية الأنعام وبين المقصود بها في آية لقمان، والمبهم المجمل هو قوله: "مفاتح الغيب".

ومثال ثان أيضا في قوله تعالى: "ويرسل عليكم حفظة" الأنعام 61، يقول الشيخ: "لم يبين هنا ماذا يحفظون وبينه في مواضع أخر فذكر أن مما يحفظونه بدن الإنسان لقوله: "له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله" الرعد 11، وذكر أن مما يحفظونه جميع أعماله من خير وشر بقوله: "وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون" الانفطار 12-10، وقوله: "إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد" ق18-17، وقوله:"أم يحسبون أنى لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون" الزخرف 80". (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج2، ص152).

ومن المجمل قوله تعالى: "وبينهما حجاب" الأعراف 47، فذكر تعالى أنَّ بيْن أهل الجنة وأهل النار حجابا يوم القيامة ولم يبين هذا الحجاب هنا، ولكنه بينه في سورة الحديد بقوله: "فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب" الحديد 13 (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج2، ص226)، وذكر الموعدة مجملة مبهمة في قوله: "وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه" التوبة 114، لكنه بينها في موضع آخر بقوله: "قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا" مريم 47 (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص354).

وذكر تعالى (البشرى) في قوله: "ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما" هود 69، فلم يبين هنا ما المراد بهذه البشرى التي جاءت بها الملائكة لإبراهيم، لكنه أشار إليها إلى أنها البشارة بإسحاق ويعقوب يقول: "وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها بإسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب" هود 71. (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص22)

ويقول تعالى: "ولقد عهدنا إلى آدم من قبل" طه:115، فيقول الشنقيطي: "وهذا العهد الذي أجمله هنا بينه في غير هذا الموضع كقوله في سورة البقرة: "وقلنا يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين" البقرة 35، فقوله: "ولا تقربا هذه الشجرة" هو عهده المذكور" (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج4، ص392.)، وكذا بينه عند تفسير الآية 19 من سورة الأعراف.

وعن البيان يضيف الشنقيطي قائلا: "واختلف في البيان فقيل هو الدليل وهو ما يتوصل بصحيح النظر فيه إلى علم أو ظن ، وقيل هو إخراج الشيء من الإشكال إلى الوضوح، وقيل هو ما دل على المراد بما لا يستقل بنفسه في الدلالة على المراد، وقد قيل هذان الحدان مختصان بالمجمل ...الخ.

حاصل هذا الخلاف هو: "هل البيان يطلق على كل إيضاح تقدمه خفاء أو لا، أو هو إيضاح ما فيه خفاء خاص؟.

فأكثر الأصوليين يرون أن البيان في الاصطلاح الأصولي هو تصيير المشكل واضحا، والبيان يحصل بكل ما يزيل بالإشكال من:

أ- كلام: كبيان قوله تعالى: "إلا ما يتلى عليكم" المائدة 01، بقوله "حرمت عليكم الميتة" المائدة 3.

ب- أو كتابة: ككتابته صلى الله عليه وسلم إلى عماله على الصدقات.

ج- أو إشارة: كقوله صلى الله عليه وسلم: "الشهر هكذا هكذا" وأشار بأصابعه إلى كونه مرة ثلاثين ومرة تسعا وعشرين.

د- أو فعل: كبيانه صلى الله عليه وعلى آله وسلم للصلاة والحج بالفعل وقال في الأولى: "صلوا كما رأيتموني أصلي" وفي الثاني: "خذوا عني مناسككم".

هـ- أو سكوت على فعل: فإنه بيان لجوازه". (الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص220.)

وذكر الشنقيطي في مقدمة تفسير "أضواء البيان" أن هناك أنواع متعددة للبيان فيقول: "واعلم أن أنواع البيان المذكورة في هذا الكتاب كثيرة جدا، وقد أردنا أن نذكر في هذه الترجمة جملا من ذلك ليعلم بها الناظر كثرة ما تضمنه هذا الكتاب المبارك من أنواع بيان القرآن بالقرآن. ويكون على بصيرة في الجملة من فائدته قبل الوقوف على جميع ما فيه". (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص07.)

ومن أنواع البيان التي ذكرها الشيخ نذكر ما يلي: (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص ص 10-31.)

1- بيان الإجمال الواقع بسبب إبهام في اسم جنس جمعا كان أو مفردا أو اسم جمع أو صلة موصول أو معنى حرف.

2- بيان الإجمال الواقع بسبب احتمال في مفسر الضمير وهو كثير.

3- أن يذكر شيء في موضع ثم يقع سؤال عنه وجواب في موضع آخر.

4- أن يكون الظاهر المتبادر من الآية بحسب الوضع اللغوي غير مراد بدليل قرآني آخر على أن المراد غيره.

5- أن يقول بعض العلماء في الآية قولا ويكون في نفس الآية قرينة تدل على بطلان ذلك.

6- الاستدلال على أحد المعاني الداخلة في معنى الآية بكونه هو الغالب في القرآن فغلبته فيه دليل على عدم خروجه من معنى الآية.

7-بيان أن جميع ما وصف الله به نفسه في القرآن من الصفات كالاستواء واليد والوجه نحو ذلك من جميع الصفات، فهو موصوف به حقيقة لا مجازا مع تنزيهه جل وعلا من مشابهة صفات الحوادث سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، وهو من أهم أنواع البيان.

8-يقول الشيخ: "إنا إذا بينا قرآنا بقرآن في مسألة يخالفنا فيها غيرنا، ويدعي أن مذهبه المخالف لنا يدل عليه قرآن أيضا، فإنا نبين بالنسبة الصحيحة صحة بياننا وبطلان بيانه، فيكون استدلالنا بقرآن وسنة، فإن من خالفنا بسنة أيضا مع القرآن الذي استدل به فإننا نبين رجحان ما يظهر لنا أنه الراجح، وكذلك إذا استدل مخالفنا بقرآن ولم يقم دليل من سنة شاهدا لنا ولا له، فإنا نبين وجه رجحان بياننا على بيانه" (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص16).

9- تفسير اللفظ بلفظ أشهر منه وأوضح عند السامع.

10- أن يكون الله خلق شيئا لحكم متعددة فيذكر بعضها في موضع، فإنا نبين البقية المذكورة في المواضع الأخر كما يقول الشيخ.

11- أن يذكر أن شيئا سيقع ثم يبين وقوعه بالفعل.

12- أن يحيل الله تعالى على شيء ذكر في آية أخرى فإنا نبين الآية المحال عليها. (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص21)

13- أن يشير تعالى في الآية من غير تصريح إلى برهان يكثر الاستدلال به في القرآن العظيم على شيء فإنا نبين ذلك(الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص22)، والكلام للشيخ.

14- أن يذكر لفظ عام ثم يصرح في بعض المواضع بدخول بعض أفراد ذلك العام فيه.

15- إن كان للآية الكريمة مبين من القرآن غير واف بالمقصود من تمام البيان، فإنا نتمم البيان من السنة من حيث إنها تفسير للمبين باسم الفاعل(الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص23)، كما ذكر الشيخ.

ويلخص الشنقيطي هذه الأنواع ويختصرها في أربعة أقسام بالنسبة للمنطوق والمفهوم فيقول: "اعلم أن أقسام البيان في هذا الكتاب المبارك بالنسبة إلى المنطوق والمفهوم أربعة لأن كلا من المبين باسم المفعول والمبين باسم الفاعل قد يكون منطوقا وقد يكون مفهوما، فالمجموع أربعة من ضرب حالتي المنطوق في حالتي المفهوم: الأولى: بيان منطوق، والثانية: بيان مفهوم بمنطوق، والثالثة: بيان منطوق بمفهوم، والرابعة بيان مفهوم بمفهوم"(الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص24).

وهذه الأنواع من البيان التي ذكرها الشنقيطي قليل من كثير، لأن القرآن يتضمن أنواعا كثيرة جدا من بيان القرآن بالقرآن غير ما ذكره الشيخ، وفي البعض تنبيه لطيف على الكل، والغرض أن يكون الناظر في الترجمة على بصيرة مما يتضمنه الكتاب في الجملة قبل الوقوف على جميع ما فيه كما قال الشيخ (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص24).

ومبحث البيان تكلم فيه الشيخ بإسهاب لأن عنوان كتابه في التفسير يحمل هذا اللفظ (أضواء البيان)، فنكتفي بما ذكرنا خوف الإطالة رغم أنه مبحث في غاية الأهمية والفائدة.

6- الناسخ والمنسوخ: يعرف الشنقيطي النسخ بقوله: "لغة هو الرفع والإزالة، ومنه نسخت الشمس الظل والريح الأثر، وهذا هو أصل معناه الاصطلاحي، ويطلق النسخ لغة أيضا على النقل والتحويل، ومنه تناسخ المواريث وتناسخ الأرواح، واصطلاحا هو ما أشار له المؤلف (عبد الله بن الحاج إبراهيم بن الإمام محنض أحمد العلوي) بقوله:

رفع لحكم أو بيان الزمن بمحكم القرآن أو بالسنن

يعني أن النسخ اختلف في حده قيل: هو رفع حكم شرعي بخطاب شرعي متراخ عنه، كرفع الحكم بالاعتداد بحول الاعتداد بأربعة أشهر وعشر" (الشنقيطي محمد الأمين: نثر الورود على مراقي السعود، ج1، ص342.).

ويعرفه أيضا: "هو رفع حكم شرعي بخطاب جديد، وذلك في قوله تعالى: "ما ننسخ من آية أو ننسها" البقرة 106، وجاء بمعنى نسخ الكتاب أي كتابته كقوله تعالى: "هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون" الجاثية 29، وقوله: "في نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون" الأعراف 154. (الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، ص78.)

وعن قوله: "فينسخ الله ما يلقي الشيطان" الحج 52، يقول الشنقيطي: "المراد بالنسخ في الآية النسخ اللغوي الذي هو الإزالة والإبطال، لا النسخ الشرعي الذي هو رفع حكم شرعي بخطاب جديد أو بيان انقضاء زمن العمل به، لأن ما ألقاه الشيطان ليس بحكم حتى يكون رفعه نسخا شرعيا بل هو باطل أبطله الله وأزاله" (الشنقيطي محمد الأمين: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، ص112.).

والنسخ عند الشنقيطي ثلاثة أقسام وهي:

1- نسخ التلاوة والحكم معا: ومثاله ما ثبت في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: "كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن..."، فآية عشر رضعات منسوخة التلاوة والحكم إجماعا.

2- نسخ التلاوة وبقاء الحكم: ومثاله: آية الرجم، وخمس رضعات على قول الشافعي وعائشة ومن وافقهما.

3- نسخ الحكم وبقاء التلاوة: وهو غالب ما في القرآن من المنسوخ، كآية المصابرة والعدة، والتخيير بين الصوم والإطعام، وحبس الزواني (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص273.).

ويقصد الشيخ بآية الرجم في النوع الثاني من النسخ قوله: "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم" وآية المصابرة في النوع الثالث هي آيتي (الأنفال: 65 و66).

ومن الشواهد التي استدل بها الشنقيطي في هذا الباب: قوله تعالى: "واعلموا أنما غنمتم من شيء" الأنفال 41، ناسخ لقوله تعالى: "يسألونك عن الانفال" الأنفال 01. (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج2، ص258.)

ويقول تعالى: "وإن كذبوك فقل لي عملي" يونس 41، يقول الشيخ: "قال ابن زيد وغيره إنها منسوخة بآيات السيف"، والظاهر أن معناها محكم لأن البراءة إلى الله من عمل السوء لا شك في بقاء مشروعيتها" (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص362.).

ومن أمثلة النسخ في القرآن قوله تعالى: "ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل" الحجر 03، فيذكر الشيخ أن بعض العلماء قالوا بأنها منسوخة بآيات السيف، والعلم عند الله تعالى(الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج1، ص88)

وعن قوله تعالى: "فاصفح الصفح الجميل" الحجر 58، يقول الشنقيطي: "قال بعض العلماء: هذا الأمر منسوخ بآيات السيف وقيل: هو غير منسوخ والمراد به حسن المخالقة وهي المعاملة بحسن الخلق"(الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص146).

وأما قوله تعالى: "ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا" النحل 67، فيقول الشنقيطي: "إن آية تحريم الخمر ناسخة لقوله "تتخذون منه سكرا" ونسخها له هو التحقيق، ...وإنما قلنا التحقيق هو كون تحريم الخمر ناسخا لإباحتها لأن قوله "تتخذون منه سكرا" يدل على إباحة الخمر شرعا، فرفع هذه الإباحة المدلول عليها بالقرآن رفع حكم

شرعي فهو نسخ بلا شك، ولا يمكن أن تكون إباحتها عقلية إلا قبل نزول الآية كما هو ظاهر" (الشنقيطي: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، ملحق بأضواء البيان، ج10، ص120.).

ومن المسائل المتعلقة بالنسخ التي فصل فيها الشنقيطي ما يلي: (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج3، ص ص 268-275)

1- لا خلاف بين المسلمين في جواز النسخ عقلا وشرعا ولا في وقوعه فعلا.

2- لا يصح نسخ حكم شرعي إلا بوحي من كتاب أو سنة، وهذا معناه أن النسخ بمجرد العقل ممنوع وكذلك لا نسخ بالإجماع لأن الإجماع لا ينعقد إلا بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، لأنه ما دام حيا فالعبرة بقوله وفعله وتقريره، ولا حجة معه في قول الأمة، لأن اتباعه فرض على كل أحد.

3- ما يقال عن البعض أن النسخ جائز بلا بدل فهو باطل بلا شك، مخالف مخالفة صريحة لقوله تعالى: "ما ننسخ من آية أو ننسها نات بخير منها أو مثلها" البقرة 106.

4- يجوز نسخ الأخف بالأثقل والأثقل بالأخف.

5- لا خلاف بين العلماء في نسخ القرآن بالقرآن، ونسخ السنة بمتواتر السنة، واختلفوا في نسخ القرآن بالسنة وعكسه، وفي نسخ المتواتر بأخبار الآحاد.

6- جواز النسخ قبل التمكن من الفعل.

7- كل زيادة على النص تكون نسخا، وإن خالف في ذلك أبو حنيفة – رحمه الله –.

وعن قوله تعالى: "قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى" الشورى 23، يقول في تفسيرها الشنقيطي: "وأما القول بأن قوله تعالى: "إلا المودة في القربى" منسوخ بقوله: "قل ما سألتكم من أجر فهو لكم" سبأ 47، فهو ضعيف والعلم عند الله تعالى" (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج7، ص123).

وأما قوله تعالى: "وما أدري ما يفعل بي ولا بكم" الأحقاف 10، فهناك رواية تقول بأن الآية هذه منسوخة بقوله تعالى: "ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر" الفتح 02، وقوله تعالى: "ليدخل المومنين والمومنات جنات تجري من تحتها الانهار" الفتح 05، وقوله تعالى أيضا: "وبشر المومنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا" الأحزاب 47، فيقول الشيخ عن هذه الرواية: "الظاهر أن هذا كله خلاف التحقيق، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يجهل مصيره يوم القيامة لعصمته صلوات الله وسلامه عليه، وقد قال له الله تعالى: "وللاخرة خير لك من الاولى ولسوف يعطيك ربك فترضى" الضحى 4 و5، وأن قوله: "وما أدري ما يفعل بي وبكم" في أمور الدنيا" (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج7، ص246).

ونفس الرأي ذكره الشيخ في من قال عن قوله تعالى: "فإما منا بعد وإما فداء" الأحقاف 04، بأنها منسوخة بالآيات "فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم" التوبة 85، وقوله: "فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان" الأنفال 12، وقوله تعالى: "وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة" التوبة 36، وقوله: "فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم" الأنفال 57، ويقول الشيخ: " ونسخ هذه الآية هو مذهب أبي حنيفة... وأكثر أهل العلم يقولون: إن الآية ليست منسوخة، وإن جميع الآيات المذكورة محكمة، فالإمام مخير وله أن يفعل ما رآه مصلحة للمسلمين منْ منٍّ وفداء وقتل واسترقاق" (الشنقيطي محمد الأمين: أضواء البيان، ج7، ص123).

فالشيخ عالم بالنسخ والناسخ والمنسوخ، ومعرفته به معرفة اكتسبها من البيئة الموريتانية قبل رحلته إلى بيت الله الحرام، وحتى بعد ذلك بالمطالعة والبحث المستمر والاحتكاك بالعلماء وسؤالهم عن كل ما له علاقة بفنون العلم وبخاصة علوم القرآن ومباحثه وموضوعاته، والناسخ والمنسوخ من المباحث التي يضمها هذا العلم.

إن المستوى الدلالي في مؤلفات محمد الأمين الشنقيطي وورود أغلب المباحث الدلالية في كتبه لدليل واضح على أن الخوض فيه كالخوض في بحر لا ساحل له، فهو موضوع ثري

وخصب لمن أراد الاستزادة والاستفادة، وهو دليل ثان أيضا على أن الشيخ كان متمكنا جدا من عدة علوم منها علم الفقه والمنطق والأصول واللغة وعلوم القرآن وعلم القراءات والدلالة، فهو كمثل أسلافنا في القرون الأولى: موسوعة ناطقة بجميع العلوم والفنون، وهذا من فضل الله عليه يؤت الحكمة من يشاء، ومن آتاه الحكمة فقد آتاه خيرا عظيما.

قائمة المصادر والمراجع:

1. الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار الجكني: أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، تحقيق محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة 3، 2006م.

2. الشنقيطي محمد الأمين: رحلة الحج إلى بيت الله الحرام، دار ابن تيمية، القاهرة، مصر، د ط، دت.

3. الشنقيطي محمد الأمين: نثر الورود على مراقي السعود، تحقيق وإكمال تلميذه ولد سيدي ولد حبيب الشنقيطي، نشر محمد محمود محمد الخضر القاضي، توزيع دار المنارة، جدة، السعودية، ط3، 1423هـ / 2002م.

4. الشنقيطي محمد الأمين: دفع إيهام الاضطراب عن آي الكتاب، ملحق بكتاب أضواء البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2006م.

5. الشنقيطي محمد الأمين: مذكرة في أصول الفقه، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، دار المدينة المنورة، السعودية، دمشق، ط 3، 1425هـ/2004م.

6. الشنقيطي محمد الأمين: منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإعجاز، إشراف بكر بن عبد الله أبو زيد، دار علم الفوائد، جدة، دت، دط.

7. الإبراهيم موسى إبراهيم: بحوث منهجية في علوم القران، دار عمار، الأردن، ط2، 1416هـ/1996.

8. الرومي فهد بن عبد الرحمن بن سليمان: دراسات في علوم القرآن الكريم، مكتب الملك فهد الوطنية، الرياض، ط14، 1426هـ/2005م.

9. القطان مناع: مباحث في علوم القران، مكتبة وهبة، القاهرة، ط11، 1421هـ/2000م.

10. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر بيروت، لبنان ط1، دت.

11. [1] –محمد أبو سليمان صابر حسن، مورد الظمآن في علوم القرآن، الدار للسلفية، بومباي، الهند، ط1، 1404هـ/1984م.

12. طويلة عبد الوهاب عبد السلام: أثر اللغة في اختلاف المجتهدين، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، 2000

13. العيدان موسى بن مصطفى: دلال تراكيب الجمل عند الأصوليين، دار الأوائل للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 2002م.

14. ابن قدامة المقدسي: روضة الناظر وجنة المناظر، مطابع الجزيرة، الرياض، 1319هـ.

15. ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، المكتبة السلفية، القاهرة، مصر، 1910م.

16. الآمدي: سيف الدين أبو الحسن علي: الإحكام في أصول الأحكام، تعليق عبد الرزاق عفيفي، مؤسسة النور، الرياض، ط1، 1387هـ.

17. القرافي شهاب الدين: العقد المنظوم في الخصوص والعموم، تحقيق محمد علوي بنصر، وزارة الأوقاف المغربية، 1418هـ.

18. ابن أبي شيبة الكوفي: مصنف ابن أبي شيبة تعليق سعيد اللحام، دار الفكر، دط، دت.

19. الدارمي: سنن الدارمي، دار الفكر، القاهرة، 1398هـ، ج1، ص138.

20. اسماعيل شعبان محمد: المدخل لدراسة القرآن والسنة والعلوم الإسلامية، دار الأنصار القاهرة، 1399هـ.

21. يعقوب طاهر محمود محمد: أسباب الخطإ في التفسير، دراسة تأصيلية، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1425هـ.

22. الذهبي محمد حسين: علم التفسير، دار المعارف، القاهرة، دط، دت.

23. الجرجاني علي محمد بن علي (ت 816هـ) التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت ط1، 1405هـ.

24. الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، دار التراث، القاهرة، ط3، 1404هـ/1984.

25. الزرقاني محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1415هـ/ 1995.

26. الصباغ محمد لطفي: لمحات في علوم القرآن، المكتب الإسلامي: بيروت، ط3، 1410هـ/1990.

التوافق النفسي الاجتماعي للطفل العامل

–دراسة ميدانية–

الدكتورة لموشي حياة

جامعة البليدة 2 الجزائر

تاريخ الإيداع: 2019/01/23 م تاريخ التحكيم: 2019/01/26م تاريخ القبول: .2019/01/29م

الملخص:

هدفت المداخلة الحالية إلى الكشف عن مستوى التوافق النفسي والاجتماعي للطفل العامل ومدى وجود فروق بين الجنسين في مستوى التوافق النفسي والاجتماعي، حيث تم تطبيق مقياس التوافق النفسي والاجتماعي على عينة قوامها 43 طفلا وطفلة من الأطفال العاملين في شوارع مدينة البليدة بدولة الجزائر، وقد توصلت نتائج دراستنا إلى مستوى منخفض في التوافق النفسي والاجتماعي، ووجود فروق دالة احصائيا في مستويات التوافق النفسي والاجتماعي تعزى لمتغير الجنس لصالح الذكور.

الكلمات المفتاحية: التوافق النفسي الاجتماعي، الطفل العامل.

The psychological and social compatibility of the working child

Dr. Lemouchi Hayat
University of Blida2, Algeria

Abstract:
The current intervention aimed at revealing the level of psychological and social compatibility of the working child and the extent of gender differences in the level of psychological and social compatibility. The psycho-social compatibility measure was applied to a sample of 43children working in the streets of Blida city. Low in psychological and social compatibility and there are statistically significant differences in levels of psychological and social compatibility due to the gender variable in favor of males.
key word: The psychological and social compatibility, working child.

التوافق النفسي الاجتماعي للطفل العامل

–دراسة ميدانية–

الدكتورة لموشي حياة

جامعة البليدة 2 الجزائر

مقدمة:

تدفع بعض العائلات بأطفالها إلى عالم الشغل وتحرمهم بذلك من العطف الأسري ومن الحياة الطفولية البريئة، حيث يجدون أنفسهم أمام حياة مليئة بالأسرار والصعوبات وتتطلب الكثير من الجهد الجسدي والنفسي، وتختلف أسباب تواجد الاطفال في سوق العمل وابتعادهم الكلي او المؤقت عن مقاعد الدراسة ولكن اكثر الأسباب شيوعا هي الأسباب الاقتصادية فإما الحاجة للمال أو الطمع في المال يجعل الأسر تضحي بمستقبل أبنائها الدراسي وتزج بهم ليمارسوا أعمالا ليست مخصصة لهم بل مخصصة للكبار.

يتأثر الطفل بعمله من جميع النواحي الجسدية والنفسية، فأما جسديا فالبنية المورفولوجية للطفل لا تسمح له سوى باللعب والدراسة وممارسة بعض النشاطات البسيطة التي تتماشى مع عمره ومع نموه الجسمي، والعمل هو نشاط مضاعف قوم به الطفل فيتأثر بالظروف المناخية والتعب الجسدي وكل ذلك يؤثر على نموه ،كما يتعرض الطفل في عمله إلى الاساءة اللفظية والجنسية والجسدية ويتعرض للاستغلال من طرف الكبار الذي لا يعطونه أجره بالكامل أو يتحايلون عليه في الأجر.

أما من الناحية النفسية فالطفل العامل هو طفل يرى نفسه مختلفا عن أقرانه الذين يحملون محافظا ويذهبون للدراسة أن كان ترك المدرسة اما ان كان مازال يدرس ويعمل في الوقت نفسه فرفاقه يعودون للبيت بعد الدراسة للراحة واستقبال يوم جديد بنشاط بينما هو يزاول

عملا يهدد بنيته الجسدية ويجعله غير قادر حتى على مراجعة دروسه الامر الذي يجعله يشعر بالإحباط والدونية.

1- إشكالية الدراسة:

تعد الطفولة من أهم المراحل في حياة الإنسان، إذ إنها الركيزة الأساسية لحياته وهي خطواته الأولى في طريق النمو، ولما كنا نعيش في عصر العولمة الذي يتميز بالتغير السريع والتطور العلمي والتكنولوجي في كافة المجالات ولكي نتمكن من الوفاء بمتطلبات هذا العصر أصبح لزاما علينا أن نعتني بالطفولة باعتبارها مرحلة البناء والتكوين والسبيل لإعداد أفراد يستطيعون مسايرة هذا العصر والمساهمة في حل مشكلاته.

ولأهمية هذه المرحلة فقد وضع الإسلام مبادئ تكفل حق الأطفال في التمتع بحياة الطفولة، ولا تعني حرية الطفولة ترك الأطفال لطبيعتهم تنمو في عشوائية وهمجية، بل لابد من تعليم وتهذيب خلقي في حدود إمكانات الطفل، وجاءت السنة المطهرة بكثير من الأحاديث التي توجه الآباء إلى حسن تأديب الأبناء منذ الصغر ومنها ما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال «لأن يؤدب الرجل ولده خير له من أن يتصدق بصاع» وقوله «ما نحل والد ولدا من نحل أفضل من أدب حسن» ويقول الإمام الماوردي – رحمه الله- فأما التأديب اللازم للأب، فهو أن يأخذ ولده بمبادئ الآداب ليأنس بها وينشأ عليها، فيسهل عليه قبولها عند الكبر لاستئناسه بمبادئها في الصغر، لان نشأة الصغير على شيء تجعله متطبعا، ومن أغفل في الصغر كان تأديبه في الكبر عسيرا.

وكثير من مشكلات السلوك التي يبديها الطفل في مستقبل حياته ترجع الى حرمانه من حاجات الطفولة وحرمانه من الحب وهو لا يزال في المهد، فالحب في الطفولة يمثل العلاقة الإنسانية الأولى في محيط الأسرة وتعتبر العامل الأول في تكوين اتجاهات هادفة نحو الحياة والمجتمع . لكن الحب الذي يصل الى مرحلة الإسراف والدلال يعطل نمو الطفل واستقلاليته

وثقته بنفسه وينمي فيه سلوكا انانيا أو عدوانيا .إن الأم التي تفرط في حب طفلها وتحاول أن تلبي كل طلباته يشب الطفل دون هموم أو مشاكل، فالحب الأعمى للأم يشبه من حيث الخطورة عدم الاكتراث واللامبالاة .(بلقيس الربيعي.2007)

والمكان الطبيعي لأي طفل هو الأسرة والمدرسة، فمن حق كل الأطفال تلقي التعليم والاستمتاع في وقت الفراغ في الأماكن المخصصة للعب والترفيه،حتى يفرغ الطفل طاقاته في النشاطات المتنوعة المخصصة للأطفال ويستطيع معاودة العمل المدرسي بكل حيوية لأن كل الطاقة السلبية تم تفريغها في اللعب،هذا في الحالات العادية، ولكننا في بعض الأحيان وحين تجولنا في الشوارع نجد اطفالا بعمر المدرسة يحملون سلعا متنوعة ويبيعونها للكبار على ارصفة الطرقات وفي مواقف السيارات وحتى عند إشارات المرور، الأمر الذي يدفعنا للتساؤل ما الذي جعل هؤلاء الابرياء يعملون عملا مخصصا للكبار؟وما الذي جعل أهاليهم يدفعون بهم للشوارع وكل ما يحمله الشارع من خطر شديد عليهم ؟

وإذا رجعنا إلى الواقع وما تحمله الاحصائيات عن عدد الاطفال العاملين نجد أن هناك ملايين الأطفال يعملون لمساعدة أسرهم ومع ذلك،و تشير تقديرات اليونيسيف إلى أن هناك حوالي 150 مليون طفل تتراوح أعمارهم بين 5 أعوام و14 عاماً في البلدان النامية، وحوالي 16 في المائة من جميع الأطفال في هذه الفئة العمرية، ينخرطون في عمالة الأطفال. وتقدر منظمة العمل الدولية أن هناك نحو 215 مليون طفل دون سن 18 عاماً يعملون ويعمل كثير منهم بدوام كامل، في جميع أنحاء العالم. وفي أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى يعمل واحد من كل 4 أطفال تتراوح أعمارهم بين 5 أعوام 17 عاماً، مقارنة بواحد من كل 8 أطفال في آسيا والمحيط الهادي وواحد من كل 10 أطفال في أمريكا اللاتينية، وعلى الرغم من أن الأرقام الاجمالية تشير إلى أن الفتيان المنخرطين في عمالة الأطفال أكثر من الفتيات، إلا أن العديد من أنواع الأعمال الذي تنخرط فيها الفتيات غير واضحة للعيان. وتشير التقديرات إلى أن حوالي 90 في المائة من الأطفال الذين يعملون في المنازل هم من الفتيات ، وعلى

الرغم من أن انتشار عمالة الأطفال قد تراجع في السنوات الأخيرة في كل مكان عدا أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى حيث تزايد فعلياً، فإن عمالة الأطفال لا تزال تضر النمو البدني والعقلي للأطفال واليافعين، وتؤثر على تعليمهم.
(اليونيسيف.2011)

أما في الجزائر فتشير آخر الإحصائيات الخاصة بتشغيل الأطفال من دون بلوغ السن القانونية إلى وجود 26 ألف طفل الغالبية منهم لا تتعدى أعمارهم عتبة الخامسة عشرة أي ما يمثل نسبة 0.54بالمئة من مجموع أطفال الجزائر الذين تتراوح أعمارهم ما بين 6- 14 سنة، وهذه دراسة لا تعكس الواقع الحقيقي لن الكثير من العائلات تشغل اطفالها سرا وفي اماكن لا يتم الكشف عنها.(O.N.S.2016)

ولدراسة عمل الأطفال فإننا نذهب مباشرة للبحث عن الأسباب الاقتصادية والاجتماعية التي تحرم طفلا من حقوقه الطبيعية وتضعه في خانة الكبار أين تحمله مسؤولية عمل لا يعرف عنه الكثير في تعاملاته وخباياه، وإذا اعتبرنا أن الفقر هو الدافع الأساسي لوجود أطفال يعملون، فهل كل أبناء الفقراء يعملون؟

ونعود للطفل العامل، ذلك الصغير الذي يجد نفسه مسئولا عن بضاعة يبيعها أو سيارة يصلحها أو بيت ينظفه، كيف ستكون نفسيته ومكانه بين ألعاب وأقران يمرحون؟

إن نفسية الطفل العامل تتأثر بعمله حيث يتأثر التطور العاطفي لديه فيفقد احترامه لذاته وارتباطه الأسرى وتقبله للآخرين، وذلك جراء بعده عن الأسرة ونومه في مكان العمل وتعرضه للعنف من قبل صاحب العمل أو من قبل زملائه يتأثر التطور الاجتماعي والأخلاقي للطفل الذي يعمل بما في ذلك الشعور بالانتماء للجماعة والقدرة على التعاون مع الآخرين، القدرة على التمييز بين الصح والخطأ، كتمان ما يحصل له وأن يصبح الطفل كالعبد لدى صاحب العمل، ولا يُخفىَ على احد أن أنواع معينة من العمل يُسبب مشاكل نفسية، واجتماعية خطيرة للأطفال. يعد هذا خطراً كبيراً خاصةً لدى الأطفال، وإن كان

معظمهم من الفتيات يعملن كعاملات منزل ويعشن بعيدا عن المنزل العائلى، وقد يعملن في ظروف قاسية وممنوع تقريباً إجراء أي اتصال مع عائلاتهن وأصدقائهن، هن أيضاً في بعض الأحيان ضحايا الاعتداء الجسدي والنفسي والجنسي، كل هذا يهدد توازنهن النفسى والاجتماعى.

وفي بعض البلدان في العالم الثالث يعاني اطفال العمالة من أعراض خطيرة منها الانطواء، الشيخوخة المبكرة، الاكتئاب، والدعارة خاصةً الفتيات اللاتي يلحق بهن ضرراً بالغاً في التضحية العاطفية، أيضاً، انتشار وباء الإيدز ليس غريباً على هذا الاتجاه، ولا يفوتنا أيضا أن العديد من الأطفال النازحون من المناطق الريفية أو المجاورة قد قطعوا كل العلاقات مع أسرهم. (عبد الجواد محمود محمد.1998)

وأكثر ما يهمنا هو مدى رضا وتقبل الطفل العامل للوضع الذي يعيش فيه، وسعادته بحياته الحالية الشيء الذي يظهره انسجامه مع التغير الذي عرفه وتعامله مع المحيطين به وهذا ما يعرف بالتوافق النفسي والاجتماعي، وانطلاقا مما سبق، فإننا نحاول الكشف عن مستوى التوافق النفسي الاجتماعي للأطفال العاملين وذلك بالإجابة على التساؤلات التالية:

– ما مستوى التوافق النفسي والاجتماعي لدى الطفل العامل؟

– هل توجد فروق ذات دلالة احصائية في مستوى التوافق النفسي الاجتماعي لدى الطفل العامل تعزى لمتغير الجنس؟

2– فرضيات الدراسة:

– مستوى التوافق النفسي الاجتماعي للطفل العامل منخفض.

– توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى التوافق النفسي الاجتماعي لدى الطفل العامل تعزى لمتغير الجنس.

3– أهداف الدراسة:

- الكشف عن مستوى التوافق النفسي والاجتماعي للطفل العامل.
- الكشف عما إذا كانت هناك فروق في مستوى التوافق النفسي الاجتماعي بين الذكور والإناث العاملين.

4- أهمية الدراسة:

تعتبر دراسة عمالة الاطفال من الدراسات المهمة في الوقت الراهن حيث أننا اما طفل يحتاج لرعاية واهتمام وفجأة يجد نفسه مرغما لظروف ما إن يتحمل مسؤولية العمل، ولأن الطفل هو مستقبل البلاد لابد من رعايته والتكفل به من جميع النواحي خاصة النفسية منها، والاهتمام بالطفل العامل يفتح الآفاق أمام المنظمات الحكومية وغير الحكومية الناشطة في الدفاع عن حقوق الطفل في بذل المزيد من الجهود لرعاية هؤلاء الاطفال خاصة من الناحية النفسية لحمايتهم من الانحراف وارتكاب الجرائم في حق انفسهم وفي حق المجتمع الذي يعيشون فيه.

5- مفاهيم الدراسة:

*التوافق النفسي الاجتماعي:

أ- تعريف التوافق:

التوافق في أصله مصطلح بيولوجي يعني به داروين قدرة الكائن الحي على مواجهة الظروف البيئية من تغيرات، بحيث يشبع حاجاته، ومن ثم تتحقق له المحافظة على حياته.

(عبد الحميد محمد شاذلي، 2001، ص49)

وحسب مأمون الحمرون وآخرون (2000) فالتوافق بالمعنى العام هو التطابق في التفكير والشعور والنية والتصرف وفق ما تمليه الجماعة والخلو من الإختلالات والتناقض. (ص547)

في حين يشير محمد عاطف غيث وآخرون أن التوافق بالمعنى العام يعني العملية التي يلجأ إليها الكائن العضوي أو الشخص ليتمكن من الدخول في علاقة التوازن أو انسجام مع البيئة،

والحالة المقابلة لذلك هي عدم التوافق التي تشير إلى فقدان تلك العملية أو الإخفاق في توفر هذه الشروط .

(عن عبد الرحمن العيسوي ، 1992، ص 20)

ب- التوافق النفسي:

هو"حالة من التوائم والانسجام والتناغم مع البيئة وتنطوي على قدرة الفرد على إشباع معظم حاجاته وتصرفاته بشكل مرضي إزاء مطالب البيئة المادية والاجتماعية وتجنب الفرد معظم المتطلبات الفيزيائية والاجتماعية التي يعاني منها الفرد". (سيد خير الله ، 1999، ص 62)

وعرف صلاح مخيمر التوافق النفسي بأنه عملية ديناميكية، يحدث فيها تغيير أو تعديل في السلوك الفرد، أو في أهدافه وحاجاته أو فيها جميعا ويصاحبها شعور بالإرتياح والسرور إذا حقق الفرد ما يريد ووصل إلى أهدافه ومنع من إشباع حاجاته . (كمال إبراهيم مرسي، 1997 ص 90)

ج- التوافق الاجتماعي:

يعرفه باركر (Barker) على أنه مجموعة المناشط أو السلوكيات التي يبذلها الفرد حتى يشبع حاجاته أو يتخطى العوائق ليتوافق مع البيئة المحيطة به كما يبين أن التوافق الناجح ما هو إلا نتاج تكيف متزن مع بيئة الفرد الداخلية والخارجية بما يشبع حاجاته ويحقق أهدافه كما أن أنواع العوائق قد تكون نفسية أو اجتماعية أو جسمية أو مادية وفي حالة تعرضه لعدم تحقيق أهدافه يصاب بالإحباط والفشل والصراع والمرض النفسي. (القذافي رمضان محمد، 1998، ص24)

ويشير كمال إبراهيم مرسي (1997) أن توافق الفرد مع المجتمع يعني رضاه عن الناس الذين يعيش معهم، وعن عاداتهم وتقاليدهم وشعورهم بالتقبل والحب والتعاون معهم، ورغبته في الإلتزام بقواعد السلوك السائدة في مجتمعه. (كمال ابراهيم مرسي، 1997، ص 90)

د- التوافق النفسي الاجتماعي:

إن الإنسان اجتماعي بطبعه، ورغم ما يتميز به من خصائص نبيلة فعملية التوافق لن تحدث إلا بقدر ما يحققه الفرد من اندماج وتجاوز الصراعات في ضوء متطلبات المجتمع، إذ يرى "خير الله" بأن التوافق النفسي الاجتماعي هو قدرة الفرد في التوفيق بين رغباته وحاجاته من جهة ومتطلبات المجتمع من جهة أخرى، تبدو مظاهرها في شعور الفرد بالأمن الشخصي والاجتماعي، إحساسه بقيمته وشعوره بالانتماء والتحرر والصحة العقلية أو، والخلو من الميول المضادة للمجتمع. (سيد خير الله، 1999، ص75)

إجراءات الدراسة الميدانية:

1- المنهج المستخدم:

لقد تم الاستعانة بالمنهج الوصفي المقارن الملائم وأهداف دراستنا هذه، والتي تسعى إلى الكشف عن مستوى التوافق النفسي الاجتماعي لدى الأطفال العاملين، ومن جهة أخرى فإننا نسعى من خلال هذا المنهج فقد تم التركيز إلى إجراء مقارنة بين الأطفال العاملين من الجنسين بخصوص مستوى توافقهم النفسي الاجتماعي جراء اشتغالهم وتحملهم لمسؤوليات جسام في هذه السن المبكرة.

2- حدود الدراسة:

- الحدود المكانية: تم الحصول على بعض من أفراد العينة من شوارع مختلفة بولاية البليدة، والبعض الآخر أطفال من الحي ممن يعرفون بمزاولة العمل (أحياء من مدينتي العفرون وحجوط) .

- الحدود الزمانية: تم تطبيق مقياس الدراسة على العينة المقصودة في أوائل شهر اكتوبر 2018.

– الحدود البشرية: تتكون عينة بحثنا من مجموعة أطفال تتراوح أعمارهم بين (9 إلى 13 سنة) منهم 25 ذكرا، و18 أنثى، بعضهم من تخلى عن الدراسة نهائيا لغرض العمل، وبعضهم يمارس العمل بعد الخروج من المدرسة، وأغلب المتمدرسين هم في المرحلة الابتدائية، وقد بلغ مجموعهم 43 طفلا وطفلة.

3– أداة الدراسة:

مقياس التوافق النفسي الاجتماعي:

قام بإعداد هذا المقياس الباحثة زينب الشقير، حيث يتكون المقياس من أربعة أبعاد أساسية هي: التوافق الشخصي والتوافق الصحي والتوافق الأسري والتوافق الاجتماعي، ويطلب من المفحوص أن يقوم بالإجابة علي عبارات المقياس بإعطاء تقدير دقيق وصريح ودون مجاملة. وذلك على مقياس يتدرج من موافق (نعم)، ومحايد(أحيانا)، ومعارض (لا)، وتم وضع أمام هذه التقديرات ثلاثة درجات هي: (2، 1، 0) على الترتيب، وذلك عندما يكون اتجاه التوافق إيجابيا، أي ارتفاع في درجة التوافق، بينما تكون التقديرات الثلاثة في اتجاه عكسي (0، 1، 2) عندما ينخفض التقدير للتوافق.

وهو ما نوضحه في الجدول الموالي:

جدول رقم (1): يوضح مختلف محاور مقياس التوافق النفسي الاجتماعي

محاور المقياس	فقرات كل محور	اتجاه التصحيح	الدرجة الكلية	مستويات التوافق
التوافق الشخصي	الموجبة: من 1 إلى 14 السالبة: من 15 إلى 20	2، 1، 0 0، 1، 2	من 0 إلى 40	من 0 إلى 10 سوء توافق

التوافق الصحي	الموجبة: من 21 إلى 27 السالبة: من 28 إلى 40	2، 1، 0 0، 1، 2	من 0 إلى 40	من 11 إلى 20 توافق منخفض
التوافق الأسري	الموجبة: من 41 إلى 55 السالبة: من 56 إلى 60	2، 1، 0 0، 1، 2	من 0 إلى 40	من 21 إلى 30 توافق متوسط
التوافق الاجتماعي	الموجبة: من 61 إلى 74 السالبة: من 75 إلى 80	2، 1، 0 0، 1، 2	من 0 إلى 40	من 31 إلى 40 توافق مرتفع
التوافق العام	مجموع العبارات الكلية 80 عبارة	الدرجة الكلية للمقياس	من 0 إلى 160	من 0 إلى 40 سوء توافق
				من 41 إلى 80 توافق منخفض
				من 81 إلى 120 توافق متوسط
				من 121 إلى 160

				توافق مرتفع

ويشتمل المقياس في مجمله على (80) ثمانون عبارة تقيس التوافق النفسي العام، وتتوزع على أربعة أبعاد، وبذلك تتراوح الدرجة الكلية للمقياس ما بين(صفر – 160 درجة)، وتشير الدرجة المرتفعة إلى ارتفاع درجة التوافق النفسي العام بأبعاده الأربعة، بينما تشير الدرجة المنخفضة إلى انخفاض درجة التوافق النفسي بأبعاده الأربعة.

ويفيد المقياس في جميع الأعمار الزمنية من الجنسين إبتداءا من مرحلة الطفولة المتأخرة إلى كبار السن.

4- الأدوات الإحصائية المستخدمة:

تم الاستعانة بالبرنامج الإحصائي SPSS لمعالجة نتائج البحث التي تم الحصول عليها، وذلك اعتمادا على الأدوات الإحصائية المناسبة وصياغة فرضيات البحث وهي كالتالي:

– اختبار (ت) لعينة واحدة للتعرف على مستوى التوافق النفسي الاجتماعي للطفل العامل.

– اختبار (ت) لعينتين مستقلتين لدراسة الفروق بين الجنسين فيما يخص توافقهم النفسي الاجتماعي.

مناقشة النتائج على ضوء فرضيات الدراسة:

1- عرض ومناقشة وتفسير نتائج الفرضية الأولى:

– والتي مفادها أن مستوى التوافق النفسي والاجتماعي للأطفال العاملين منخفض.

للتحقق من الفرضية قمنا بتطبيق اختبار (ت) لعينة واحدة من أجل المقارنة بين متوسط درجات عينة الدراسة على مقياس التوافق النفسي الاجتماعي والمتوسط الافتراضي الناتج عن حاصل ضرب عدد بنود مقياس التوافق النفسي الاجتماعي في متوسط درجات البدائل (80= 1×80).

جدول رقم (2): يبين نتيجة تطبيق اختبار (ت) لعينة واحدة للمقارنة بين متوسطات درجات عينة الدراسة على مقياس التوافق النفسي والاجتماعي والمتوسط الافتراضي.

	عدد أفراد العينة	المتوسط الحسابي الملاحظ	المتوسط الحسابي المتوقع	الدلالة الإحصائية للفرق بين المتوسطين					
				الفرق بين المتوسطين	قيمة (t)	درجات الحرية (df)	احتمال الخطأ (P)	مستوى الدلالة الإحصائية	الدلالة الإحصائية
مستوى التوافق النفسي الاجتماعي	43	88,49	80	8,49	10.23	42	0.77	0.08	غير دالة

من خلال الجدول يتضح لنا أن قيمة المتوسط الحسابي الملاحظ تُقدر بـ: (88,49)، في حين قُدر المتوسط الفرضي (المتوقع) للدراسة بـ (80)، وهي قيمة أقل من المتوسط الحسابي الملاحظ، حيث أن الفرق بين المتوسطين قد بلغ (8,49)، إلا أن هذا الفرق ليس له معنى، إذ يتأكد ذلك من خلال قيمة (ت) المحسوبة والمقدرة بـ 10,23، عند درجة حرية 42، والتي هي قيمة غير دالة، بمعنى عدم وجود فروق بين المتوسطين الملاحظ والافتراضي، ومنه عدم تحقق فرضية البحث والتي تشير إلى أن مستوى التوافق النفسي الاجتماعي للأطفال العاملين منخفض، حيث دلت النتائج الموضحة في الجدول أعلاه أن مستوى التوافق النفسي الاجتماعي لدى أفراد العينة قد جاء متوسطا أو معتدلا.

وقد جاءت نتيجة دراستنا مخالفة لبعض نتائج الدراسات، منها دراسة جمال مختار حمزة (1997) والمعنونة بـ "عمالة الأطفال رؤية نفسية" بمصر، وقد كان يهدف إلى التعرف على بعض السمات التي يمتاز بها الطفل العامل الذي يتراوح عمره بين (6-12 سنة)، مستخدما اختبار الذكاء المصور واختبار التوافق الشخصي الاجتماعي، وقد توصل الباحث إلى أن الطفل العامل يمتاز ببعض السمات التي تميزه عن غيره من الأطفال، وأن توافقهم الشخصي والاجتماعي منخفض. (حمزة جمال مختار. 1997)

وفي نفس السياق توصلت دراسة سامي عبد القوي علي، منى حسين أبو طيرة (1999) بهدف التعرف على أهم المتغيرات المرتبطة بعمل الطفل، وكذا التعرف على طبيعة العلاقات الأسرية لدى الطفل العامل وأيضا التعرف على أهم سمات شخصية الطفل العامل، وكذا التعرف على بعض الملامح التي تميز صورة النماذج الأسرية لدى الطفل العامل، وقد تم استخدام استمارة لجمع المعلومات في حين تم دراسة خمس حالات دراسة معمقة باستخدام اختبار أيزنك لشخصية الأطفال، اختبار رسم الشخص واختبار رسم الأسرة .تم التوصل إلى أن الفشل الدراسي للطفل وانخفاض المستوى الاقتصادي والتعليمي للوالدين يساعد الطفل للخروج للعمل، وتم التوصل أيضا إلى الطفل يعاني من سوء توافق في صورة الجسم وصورة الذات. (عبد القوي ، أبو طيرة، 1999)

فحسب الدراسات السابقة فإن انخفاض مستوى التوافق النفسي والاجتماعي للطفل العامل يرجع للوضعية غير المستقرة التي يعيشها حيث يجد نفسه مجبرا من قبل الأسرة أو من قبل الظروف الاقتصادية المزرية للتواجد في اماكن ليست مخصصة لمن هم في سنه، ورغم استطاعته في هذه الوضعية توفير مصروفه الشخصي وحصوله على مبالغ مالية من عمله غير انه يتمنى أن يكون في اماكن اللهو والتسلية مع أقرانه أو في قاعات الدراسة مع غيره من

التلاميذ، لذلك نجده متأثر نفسيا رغم المظهر الذي يبين رضاه عن عمله وحتى طريقة تعامله العنيفة التي علمه اياها الشارع وسوق العمل .

رغم أن معظم الدراسات السابقة قد أثبتت تدني مستوى التوافق النفسي والاجتماعي للطفل العامل، إلا أن نتائج دراستنا لم تتوصل إلى نفس النتيجة، حيث وجدنا أن عينة دراستنا ذات مستوى معتدل من التوافق النفسي والاجتماعي وربما يعود ذلك إلى أسباب متعددة من بينها صغر حجم العينة المدروسة وطبيعة المجتمع الذي تمت فيه الدراسة، وبالعودة إلى طبيعة العمل الذي يزاوله الطفل وما يستفيده منه ماديا ومعنويا نجد أن الطفل العامل يحس بمسؤولية تجعل نظرته لذاته تتحسن، فيشعر أنه أصبح فردا منتجا ويعوّل عليه، وأن لديه مصروفه الخاص دون الحاجة إلى انتظار طلب ذلك من الوالدين، كما أنه يساهم إلى حد كبير في الالتزامات المالية لأسرته، وإذا كان عمل الطفل في الشارع أو بين الزبائن فإنه يتعايش مع الوضع ويتأقلم مع كل التغيرات بل تصبح روتينا يوميا لا يؤثر على رضاه وتقبله للتغير الحاصل، كما أنه يجد إشباعا لمختلف حاجياته وسط أقرانه، تلك الرغبات والحاجات التي من الممكن أنه لم يجد لها إشباعا داخل أسرته، أو في مدرسته لما كان متمدرسا، وعليه فإن التوافق العام للأطفال العاديين بصفة عامة جاء معتدلا.

2- عرض ومناقشة وتفسير نتائج الفرضية الثانية:

- والتي مفادها وجود فروق بين الجنسين من الأطفال العاملين فيما يخص توافقهم النفسي الاجتماعي.

للتحقق من الفرضية قمنا بتطبيق اختبار (ت) لعينتين مستقلتين من أجل المقارنة بين المتوسطات لكلا العينتين على مستوى مقياس التوافق النفسي الاجتماعي.

الجدول رقم (3): نتيجة تطبيق اختبار(ت) لدراسة الفروق بين متوسطات نتائج الجنسين من الأطفال العاملين على مقياس التوافق النفسي الاجتماعي.

الجنس	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الفرق بين المتوسطين	قيمة ت	درجة الحرية	مستوى الدلالة
ذكور	28	91,47	4.17	5,95	13,25	41	دالة 0,05
إناث	15	85,52	5,69				

تبين لنا نتائج هذا الجدول أن المتوسط الحسابي لنتائج تطبيق مقياس التوافق النفسي الاجتماعي للذكور العاملين قد قدر بـ 91,47، وتنحرف عنه القيم بدرجة 4,17، في حين بلغ المتوسط الحسابي لعينة الإناث على نفس المقياس 85,52، وتنحرف عنه القيم بـ 5,69، والملاحظ هو وجود فرق بين المتوسطين والذي يبلغ 5,95، وهو فرق دال إحصائيا، ويتأكد ذلك من خلال قيمة "ت" المحسوبة والمقدرة بـ 13,25، وهي قيمة دالة عند مستوى الدلالة 0,05، مما يشير إلى تحقق فرضية البحث الثانية والتي تشير إلى وجود فروق بين الجنسين من الأطفال العاملين بخصوص توافقهم النفسي الاجتماعي، وقد كان ذلك لصالح الذكور.

وقد جاءت نتائج هذه الفرضية معاكسة لنتائج بعض الدراسات الأخرى منها دراسة أحمد عبد الله أبو زايد (2009) والتي هدف من خلالها إلى التعرف على علاقة الرضا عن العمل بالتوافق النفسي لدى الأطفال العاملين، واستخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي مستعملا فيه مقياس الرضا عن العمل للأطفال العاملين، ومقياس التوافق النفسي للأطفال العاملين، وقد توصل الباحث إلى عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في مجال الرضا عن

العمل والتوافق النفسي، حيث توصل إلى رضا الطفل عن عمله سواء كان ذكرا أو أنثى. (أحمد عبد الله أبو زايد، 2010)

أيضا توصلت نادية رشاد (1993) في نفس المضمار من خلال دراستها التي هدفت إلى معرفة العلاقة بين عمل الأطفال والتوافق النفسي، حيث أظهرت النتائج وجود علاقة بين اشتغال الأطفال وسوء توافقهم المهني، وبلغت نسبة الأطفال الذين يعانون من سوء التوافق 76%من الأطفال العاملين، كما أشارت أيضا هذه الدراسة إلى وجود سوء التوافق النفسي بأبعاده المختلفة لدى الأطفال العاملين مقارنة بالأطفال العادين، كذلك أظهرت الدراسة أن أسر الأطفال العاملين ينتمون إلى مستويات اقتصادية واجتماعية منخفضة، وأن معظم هذه الأسر من المهاجرين من الريف إلى المدينة، وتميزت هذه الأسر بكبر حجمها وكثرة عدد الأبناء، كما بينت وجود فروق بين الذكور والإناث فيما يخص التوافق النفسي والاجتماعي. (عن أبو زايد 2010.ص 69)

ويمكن إرجاع الفروق التي ظهرت في نتائج مستوى التوافق النفسي والاجتماعي للطفل العامل بين الذكور والإناث إلى أن الطفل الذكر عندما يعمل رغم الظروف الغير طفولية والصعوبات التي تواجهه وعدم وجوده في الوسط الذي يجب أن يكون فيه، غير أن تحمله للمسؤولية يجعله يشعر انه اصبح رجلا خاصة عندما يصبح لديه مصروف خاص ويصبح قادر على تقديم المعونة لأسرته، بينما الفتاة العاملة تشعر بالحرج والحياء عندنا تكون في العمل وخاصة اذا كان تجارة أين تكون تبيع سلعا معينة على قارعة الطرقات نجدها مطأطأة الرأس كأنما تقوم بشيء مشين وهذا لطبيعتها الأنثوية الرقيقة.

خاتمة:

إن الزج بالطفل في عالم الشغل هو جريمة في حقه وتعدي على حقوقه وعلى براءته، حيث يتم حرمانه من وجوده في الوضع الطبيعي بين أقرانه في مقاعد الدراسة وفي المنتزهات

والنوادي المخصصة للترفيه عند الأطفال، وقد وجدت دراستنا انخفاض مستوى التوافق النفسي والاجتماعي لدى الأطفال العاملين ذكورا وإناثا وخاصة في صفوف الاناث وهذا يفسر الوضع النفسي المزري الذي يعيشه الاطفال العاملون لذلك وجب علي الجهات الوصية ان تتحد للحد من ظاهرة عمالة الاطفال لأن الطفل وجد لعيش طفولته حتى يتمكن من العطاء في المستقبل.

إذ لابد من سن قوانين تحد من عمل الأطفال ووضع عقوبات صارمة ورادعة لكل شخص يشغل الأطفال دون سن 16 سنة حتى ولو كان هذا الشخص هم والدا الطفل أنفسهم، فمهما كانت الوضعية المعيشية للأسرة هذا ليس سببا كافي لعمل الطفل ومجال العمل ملئ بالمخاطر والاعتداءات والاستغلال.

ما لابد ان تسعى الجهات المختصة والوصية على حماية الأطفال في الشوارع من الأخطار التي تهددهم وتمنعهم من العيش السليم، كذلك على الأخصائيين النفسيين تقديم برامج علاجية هادفة لمساعدة الطفل العامل على اعادة هيكلة جهازه النفسي المتضرر بسبب وجوده في عالم لم يختاره بنفسه ورغم انه يعجب الذكور في الكثير في الحالات ويجعلهم يتباهون برجولتهم غير انهم غير متوافقين نفسيا ولا اجتماعيا وغير متقبلين لتحولهم لرجال في ظرف قصير، أما البنات فطبيعتهم الأنثوية الرقيقة والمشاعرية تمنعهم من التواجد في ميدان العمل فيشعرن بعدم الراحة والحياء من شيء ليس لهن يد فيه.

إن اطفالنا هم رجال المستقبل وهم الأشخاص الذين يعول عليهم في بناء اقتصاد الامة وصرحها العلمي والثقافي إن لم يتم التكفل بهم ماديا ونفسيا واجتماعيا فإننا نخاطر بطفل منحرف يكون خطر على نفسه وعلى المجتمع الذي يعيش فيه.

إن حماية الأطفال هي مسؤولية الجميع وليس الأسرة فحسب، لذلك فجملة التوصيات تمس الجوانب القانونية والنفسية والاجتماعية الخاصة بالطفل العامل:

- ✓ التزام بالقوانين والمعاهدات الدولية التي تنص على حقوق الأطفال وحمايتهم من كل مكروه يصيبهم بما في ذلك الاستغلال في العمل.
- ✓ معاقبة كل شخص بما في ذلك الوالدين الذي يرغمون أبنائهم على مزاولة مهن شاقة في الوقت الذي من المفروض يكونون في المدرسة.
- ✓ في حالة خروج الطفل من المدرسة يتم توجيهه إلى مراكز التكوين المهني لتعلم مهنة تسمح له بالعمل الشريف عندنا يكبر وليس الاستغلال من قبل الكبار وإعطائه أجر لا يساوي تعبه وجهده مقارنة بسنه.
- ✓ الرعاية النفسية والاجتماعية للطفل العامل من خلال محاولة عرضه على مؤسسات الوسط المفتوح لدراسة التطور النفسي بما في ذلك تقدير الذات وغيرها حتى نمنعه من الجنوح، لأن وجود الطفل في الشارع في تلك السن الصغيرة يشكل خطرا بإمكانية تعلمه السلوكات السلبية وتورطه في شكل من أشكال الانحراف.

قائمة المراجع:

1- أحمد عبد الله ابو زايد (2010)، الرضا عن العمل وعلاقته بالتوافق النفسي للأطفال العاملين في المحافظة الوسطى، مجلة الجامعة الاسلامية، المجلد ، العدد الثاني، جامعة القدس المفتوحة، غزة.

2- بلقيس الربيعي (2007):مشكلات الطفولة والشبيبة، جريدة الحوار المتمدن، جريدة ثقافية علمية، السودان.

3- تقرير اليونيسيف (2011)، حماية الأطفال من العنف والاستغلال والإيذاء.

4- حمزة، جمال مختار (أكتوبر1996 -مارس1997)، عمالة الأطفال رؤية نفسية، علم النف..

5- رمضان محمد القذافي (1998)، الصحة النفسية والتوافق، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط3.

6- سيد خير الله (1999)، بحوث نفسية وتربوية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

7- عبد الحميد محمد شاذلي (2001)، الواجبات المدرسية والتوافق النفسي، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، ط1.

8- عبد الرحمن العيسوي (1992)، في الصحة النفسية والعقلية، دار النهضة العربية، بيروت، بدون ط .

9- علي، سامي عبد القوي، وأبو طيرة، منى حسين (1999)، عمالة الأطفال دراسة نفسية اجتماعية، دراسات نفسية.

10- كمال ابراهيم مرسي (1997)، المدخل إلى الصحة النفسية، دار القلم بالكويت، ط3.

11- مأمون الحمرون وآخرون (2000)، المنجد في اللغة العربية المعاصرة، دار المشرق، بيروت، ط1.

12- محمود محمد عبد الجواد (1998)، عمالة الأطفال في الوطن العربي-دراسة تحليلية-، جامعة الدول العربية.

13- Ons.(2016). l'enfant algérien en danger .résultats. Alger

الرواية السلطانيةّ في تاريخ تونس، أو حينما يسّوغ المؤرخ لسياسات الحكام.

(الإتحاف نموذجا)

الدكتور عبدالقادر سوداني

جامعة صفاقس، تونس.

تاريخ الإيداع: 2019/01/21م تاريخ التحكيم: 2019/01/24م تاريخ القبول: 2019/01/30م

الملخص

نتعرض في هذا البحث إلى مثال الرواية التاريخية التي تسوّغ لسياسات السلطة في تونس خلال القرن التاسع عشر، تلك السلطة التي سخّرت بعض رجالات القلم والتدوين من أجل خدمة إستراتيجيات الحكم وتدوين مآثر الحاكم، وأتخذ من الإتحاف مثالا على هذا النموذج من الرواية التاريخية، ولا غرو في ذلك باعتبار أن أحمد ابن أبي الضياف أحد بطانة البايليك الذي ساهم في صياغة جانبا من تاريخ البلاط الحسيني، لذلك جاءت روايته متماهية مع الخيارات الكبرى لأولي نعمته. اعتمد بايات تونس على نخبة العلم من أجل إيجاد الشرعية في تولي الحكم والمشروعية في ممارسة السلطة. ولأجل خدمة السلطان فقد زخرت مؤلفات بعض المؤرخين ببعض السرديات المجانبة للواقع، سنعمل في هذا البحث على استقصاء حيثيات هذه المغالاطات ومآربها.

كلمات مفاتيح: السلطة، البطانة، الشرعية، التمويه، الإتحاف.

The historian of Tunisian Authority

Or when the legitimate historian policies leaders.

The exemple of ithaf.

Dr. Soudani Abdelkader
University of Sfax, Tunisia.

Abstract:
In this paper, we present an example of the historical narrative that justified the policies of power in Tunisia during the nineteenth century. This authority, which ridiculed some of the men of the pen and codified in order to serve the strategies of governance and codifying the exploits of the ruler, took an example of this model of the historical narrative. This is because Ahmed Ibn Abi Al-Diyaf is one of the liners of Bailik, who helped shape the history of the Husseini court. the gouverners of Tunisia relied on the elite of science to find legitimacy in assuming power and legitimacy in the exercise of power. In order to serve the Sultan, the writings of some historians have been full of some of the narratives of reality. In this research we will investigate the reasons for these exaggerations and their implications.

Key words: Power, agents of the sultan, legitimacy, camouflage, ithaf.

الرواية السلطانيةّ في تاريخ تونس، أو حينما يسّوغ المؤرخ لسياسات الحكام.

(الإتحاف نموذجا)

الدكتور عبد القادر سوداني

جامعة صفاقس، تونس.

مقدمة

لا يمكن تناول التاريخ الحديث للبلاد التونسية والإدعاء بمتانة البحث دون العودة إلى مؤلف الإتحاف لابن أبي الضياف، فقد أمسى هذا المؤرخ مصدرا لا محيص عنه لأي عمل جاد. وما يزيد من أهمية هذا المؤلف أن صاحبه كان في خضّم دائرة الحكم، أي داخل ميكانزمات صناعة إستراتيجيات السلطة في البلاط الحسيني. ولما كان في الكثير من الأحيان احد صائغي سياسيات المخزن، فقد حمل في طياته رواية السلطة وبطانتها. وفي المقابل فقد تغاضى على رواية الكثير من الأحداث وكذا دور بعض الفاعلين المهمشين مثل الجواري والغلمان الذين صاغوا جانبا كبيرا من تاريخ الايالة التونسية.

وأكثر من ذلك فقد ضجّ مؤلف الإتحاف ببعض مظاهر التمويه(نورالدين،2000،ص5) وفي حالات كثيرة ينزلق إلى المدح حتى الهذيان لبعض البايات الذين عاصرهم وعرف في دولتهم حظوة وترقيا.

وعليه أصبح العلماء جهازا وظيفيا في البناء السياسي باتوا أداة من أدوات السلطة، فحراس القصر – مثل النخبة العالمة- تكفلوا بتبرير تجاوزات البلاط الذي قيّض للسلطة رافعات تبنى عليها فكان التدوين التاريخي أحد أبرز آليات تسويغ سياسات السلطان.

ضبطنا الإطار الزمني لهذا البحث في فترتي حكم حسين بن علي وسلفه علي باشا، وهي الحقبة التي عرفت صراعات دامية بين أجنحة الأسرة الحسينية. هذه الفترة التي ألقت بتداعياتها على تماسك السلطة وأدائها، كما ساهمت في التأثير في عملية التدوين التاريخي من خلال تغيب بعض الأحداث وافتعال سرديات تاريخية لبعض البايات في سياق تغليب صّف على آخر.

I) الرواية التبريرية

1) تبرير شرعية الحكام

لقد بدا صاحب الإتحاف وفيا لنهج الأدب السلطاني الذي يسخّر قلمه لخدمة السلطة من خلال صياغة تراث فكري يخلّد مآثر هذا الحاكم أو ذاك، فتماهى تماما مع نظرية الرجل العظيم (يونس،دت،ص17) التي تكرّس الحكم الاوتوقراطي الذي يجعل المدوّنة التاريخية أداة لخدمة شرعية التولي والأداء السياسي. وليس غريبا أن نرى توظّيف ابن أبي الضياف للسلطة الرمزية بغاية تأكيد المسوّغات التبريرية لسلوك البايليك الحسيني، لأن الثقافة العربية السائدة هي امتداد لثقافة الفقه (حب الله&صفوان، 2008، ص18) وبالتالي كان الوازع الديني من الأساليب التي ركن إليها ابن أبي الضياف من أجل ربط الحكم الحسيني بالشرعية الدينية، لذلك ضجّ مؤلفه بعدد عديد من مفردات الحقل الطرقي من قبيل أن حسين بن علي كان قادري الاعتقاد وأنه كان شديد التعلق بالأوراد وزيارة المقامات، هذا الأمر من شأنه إسباغ هالة من القدسية على الباي، فالدولة السلطانية في تونس قامت أساسا على رافعتي الفقيه والعسكر تينك العاملين اللذين ساهما نسبيا في ضبط طاعة الرعية وخاصة زمن الأزمات السياسية.

راوح أحمد بن أبي الضياف في روايته لصراع الأجنحة داخل السلالة الحسينية بين تغليب رواية على أخرى وبين الانسياق وراء الأحكام القيمية للفيف الحاكم، دونك في ذلك وانحيازه لمؤسس الفرع الحسيني في مواجهة الفرع الباشي، وبرز ذلك من خلال تسويغ

أحقية حسين بن علي وعقبه في تسنّم الملك وتبيان الخصال الحميدة للشخص المؤسس (Poiron,p148) من أجل إعلاء مكانة حسين بن علي تغاضى ابن أبي الضياف عن الطابع الانتهازي للباي وخاصة في زمن الاضطرابات بين 1703 و1705، إذ استثّمر حسين بن علي الوضع المضطرب بعد دخول إبراهيم الشريف في حروب مع باشا طرابلس الغرب وداي الجزائر. هذا الهوس بالحكم يتعارض مع ما ذهب إليه مؤرخ البلاط ابن أبي الضياف بكونه لم يطلب الملك بل فرض عليه من أعيان الحاضرة وجندها (ابن أبي الضياف،2001،ص87). بل إن الباي أجبر أعيان الحاضرة على تجديد البيعة في خمس مرات متتالية (المؤلف) الأمر الذي يثبت سلطة التغلب التي أرساها حسين بن علي بدعم من سدنة القصر ومنهم رجال القلم.

فحسين بن علي كان كاهية مراد الثالث (بوبالة) رغم دمويته المعروفة إلا أنه حاول نجدته من انقلاب إبراهيم الشريف وبعد مقتل مراد باي عزم على الفرار إلى الحج لكن خيل أولاد سعيد اعترضنه فمال إلى جبل وسلات، وفي سنة 1705 وأثناء حرب إبراهيم الشريف ضد عشي مصطفى صاحب الجزائر فر إلى زاوية الشيخ حسين السيجومي هيأ نفسه للفرار من البلاد. تثبت هذه الأحداث توثب الباي المحموم على السلطة عكس رواية ابن أبي الضياف الذي رأى بإقبال الخاصة والعامة في الحاضرة على حسين بن علي وطلبوا منهم قبول بيعتهم فأمتنع مصرا على عدم القبول، فقال له العلماء يجب عليك القبول لا سيما والحالة هذه، فأجاب دعوتهم ودخل معهم الحاضرة لقبول بيعتهم (إبن أبي الضياف،2001،ص84) ثم نرى أن ابن أبي الضياف تغاضى مرة ثانية عن جبن الباي حسين حين أمتنع عن دخول الحاضرة إلا بعد خروج الداي محمد خوجة الأصفر من مركز الحكم. سوف تتأكد هذه الصفة لدى الباي في حّمى الصراع مع علي باشا، ففي مارس 1728 قرر الباي أنه سيقود بنفسه مفرزة ضد الباشا كرد على الجند الترك الذين اتهموه بالجبن ولكن مع بداية المعركة سريعا ما هرب من المواجهة مما زاد في سخرية قواته)

(Plantet, 1894,p209، ومع ذلك لا نجد أي أثر لمثالبه في ثنايا الإتحاف بل عكس ذلك نجد ذكرا لصفة الشجاعة التي يتحلى بها(ابن أبي الضياف،2001،ص95).

في المقابل لم يشدد الإتحاف على تردد حسن باي قسنطينة وإحجامه عن حرب علي باشا بسبب ما استحكم لعلي باشا من الملك وتوسع فيه من النعم، حتى أن علي باي حذّره سوء عاقبة عدم غزو علي باشا لأن رعية قسنطينة سوف ينتصرون به لذلك شارك باي قسنطينة في حرب علي باشا سنة 1756 (الأندلسي،1970،ص ص181-178). ويبدو أن تأليف الإتحاف في زمن حسم فيه الصراع لصالح الصف الحسيني قد جعلته يحجم عن الالتزام بصدقية الرواية التاريخية حتى يحافظ على امتيازات رفقة السلطان.

إلى جانب محاولة ابن أبي الضياف تبرير شرعية تولي حسين بن علي وانتصاره للفرع الحسيني في مقابل التغاضي عن دولة علي باشا والتشديد على مثالب حكمه من أجل التسويغ لانقلاب أبناء حسين بن علي عليه .

طفق صاحب الإتحاف في محاولة إخفاء بعض شوائب خلال الحاكم مثل"الانصراف عن تدبير الحكم" فنجد أن ابن أبي الضياف يحاول التمويه على نقائص البايات من خلال استعمال مفردات مثل "ليّن العريكة" (المؤلف) للدلالة على ضعف الشخصية وكذا "حرارة الشباب" (الإمام،1980،ص98) كناية على الإقبال على حياة المجون والدعة والانصراف عن تدبير الحكم.

لم يشدد صاحب الإتحاف على سيطرة الزبونية السياسية على عامل النجدة والكفاءة في مرفولوجية السلطة سيان الأمر في أجهزة المركز أو الأطراف، فقد كان من نتاج دولة القبيلة التي شيدها حسين بن علي هو تعويل السلطة على العطية في ترسيخ الحكم السلالي.

عكس تشديد ابن أبي الضياف في ترسّخ أركان حكم حسين بن علي، إلا أننا نرى أن الباي بالغ في استعمال المال السياسي من أجل إنقاذ عرشه أثناء الفتنة الباشية الحسينية، فالمال أستعمل من أجل خلق الأشياع والأتباع بعد أن وعدهم الباي بمزيد الإحسان لكل من يأتي له برأس من الوسالتية (ابن يوسف،1988،ص119) لذلك كانت المصالح العينية تجذب الأنصار إلى الصف الحسيني في حين بقيت الباشية فكرة تخامر كل من يأبى ضيم السلطة وهو ما تغاضى عنه صاحب الإتحاف وهو نفس الفعل الذي أتاه تجاه الإخلاء الذي تعرض له الوسالتية إذ غيّب هذا الحدث التاريخي (الاتحاف،2001، ص111) فعكس الرواية الرسمية التي أطنبت في" رفق" الباي بالوسالتية أثناء الإخلاء إلا أن الواقع أن البايليك استعمل كل وساءل الزجر ومنها التعرض للحرمات، ففي حين يذكر حمودة بن عبد العزيز في الكتاب الباشي أن الباي أمر بإخلاء وسلات سلما وأن يسكنوا حيث شاءوا في البلاد ولم يرق دم رجل واحد منهم وعفا عن العرب الذين ظاهروهم على الفتنة (إبن عبدالعزيز،1970،ص90) إلا أن الواقع أن إذلالا كبيرا حفّ بهذا النفي (الارشيف،1762،دفتر120) في إشارة إلى الخطر الذي كان محدقا بالسلطة جراء منعة الجبل واعتصام الثائرين به .

إلى جانب الرواية التبريرية التي اعتمدها ابن أبي الضياف فقد نحى كذلك إلى الانسياق وراء تأكيد التراتبية الاجتماعية التي صاغ المخزن محدداتها وأحكامه تجاه الأحياء الاجتماعية للبلاد التونسية .

2)الأحكام القيمية

في تونس حافظ الحضري (البلدي) على ذهنية إستعلائية ذات خلفية معيارية، فقد حافظ الأتراك والمماليك على تفوقهم الاجتماعي وبرز ذلك من خلال رواتب الجند مثلا (الهويدي،2000،ص27) خلق هذا التمايز كنتونات اجتماعية منفصلة، "البلدي لا يهتم بما وراء مدينته ولا يتصل بالبرانية إلا لماما حتى إن الوافد الجديد على تونس عليه أن

يتأقلم سريعا سلوكا وقيما ولباسا بكيفية تبقي التونسي الأصيل متفوقا نموذجا" (خوالدية،2008،ص104) وقد وجد بعض الافاقيين في جهاز المخزن التونسي الكثير من الصعوبات في العمل كعلماء بالحاضرة (الهرماسي،1999،ص29) ومعلوم أن ابن أبي الضياف نفسه كان من ضمن تلك البيوتات المحلية التي تعلقت بركاب المخزن والتي تماهت مع ذهنية البلدية، وغني عن الإيضاح أن أي فرد من الأعيان يتولى مسؤولية يتحول آليا إلى مستبد (Dakhlia,1992,p19) وخاصة تجاه الاحتجاج القبلي.

نتج عن ذلك عدم قدرة أجهزة المخزن على استيعاب فارق الفجوة بين عالم بدوي وعالم حضري، فالنخب الحضرية أعوزتها القدرة على التجدد والتطور مما زاد من تلك النتوءات بين الأطياف الاجتماعية، فرغم تحالف الحكام مع بعض العناصر القبلية المحلية والذي يكشف حجم تبادل الخدمات والمنفعة بين الجانبين، إلا أن هذا التواصل قد اقتصر على خدام المخزن، فقد أجزل الحكم الحسيني عطاءه للمجموعات الطيعة من البدو (خوالدية،2008،ص ص134-135) كما عرفت 104 أسرة من المجتمع التونسي الرقي في السلم الاجتماعي مثل عائلات بن عمار وبالضياف وبن محمود والباجي وبوخريص وبوعصيدة (خوالدية،2008،ص127-131) شجع البايليك مد شبكة من التحالفات في المركز والفضاءات العشوائية من خلال إعطاء الحظوة إلى المجموعات التابعة سواء في مساعدتهم على البروز السياسي مقابل دمج القاعدة القبلية أو في الحماية التي يلقاها من المركز فتعريفة دية الشيخ والمخازني والمرابطي ألف دينارا (الارشيف،1773،ملف4) وكانت علامات الفواصل والقواسم ماثلة كذلك في علاقة الحسينيين بالمجتمع المحلي وخاصة مع البدو الذين أفرزوا جسما قبليا ارتبطت مصالحه مع الحكم المركزي، سعى هذا الطيف الاجتماعي إلى تفتيت مظاهر المقاومة لدى الذات المحلية. فالبايليك حافظ على النظرة النمطية للبوادي باعتبار مجالهم مجال "هرج ومرج"، لذلك تعددت الخطايا المسلطة على السكان جرّاء" تسفلهم" في الأتراك

(الارشيف،1767، دفتر40) وبذلك أجبر الاهالي على طاعة العنصر التركي لأنه من جهة عنوانا للسلطة المركزية ومن جهة أخرى علامة على التفوّق الاجتماعي للأتراك (المؤلف) وهو الأمر الذي يعلى من شوكة العصبية البديلة التي أحدثتها السلطة، فالرئاسة لا تكون إلا بالغلب والغلب إنما يكون بالعصبية (ابن خلدون، 1858،ص239)

بانت تلك الأحكام المعيارية تجاه البدو من خلال الخطاب الرسمي للفيف السلطة: "عربي من أجلاف البادية جنّ وأتى به سعدك" إبن أبي الضياف،2001،ص31) هذا الخطاب يشي أن الأتراك كرسوا الرؤية النمطية للبدو واعتبارهم موطن هرج ومرج، وبقيت البوادي موطنا للازدراء من قبل المجموعات المدينية .

في ذات الإطار بدا ابن أبي الضياف مبهما في شأن رأيه في واقع المرأة في المجتمع التونسي، ففي رسائل متبادلة مع القنصل الفرنسي ليون روش تغاضى ابن أبي الضياف عن واقع المرأة في تونس وكان في كل مرة يلوذ بتكريم الإسلام للمرأة (الشنوفي،55،1856) وتجنب الحديث عن واقع المرأة في عصره .

في ذات السياق تحامل ابن أبي الضياف مع أولئك الذين عارضوا سياسات المخزن الحسيني من خلال الركون إلى الرواية التمويهية التي تظهر الحدث على غير حقيقته.

II) الرواية التمويهية

1)السياسة الداخلية

لم يشذ صاحب الإتحاف في شأن تناوله للسياسة الداخلية للبلاط الحسيني عن ما دأب عليه من تغييب أحداث والتركيز على أحداث اخرى، فقد تغاضى عن تبعات السياسة الاقتصادية للبايليك والتي أردت البلاد في أتون من الأزمات المتعاقبة، دونكم في ذلك وتركيز دولة الجباية والتي منعت تراكم فائض القيمة لدى اللفيف الإنتاجي، كما أن

الاعتصار الجبائي من قبل دهاقنة المخزن مما ساهم في تأبيد الفقر لدى جانب كبير من السكان، وهو ما لا نجد صداه بصفة متوازنة لدى كل البايات .

ذكر ابن أبي الضياف أن بعض القبائل كانت معفية من ضريبة المحصولات لكنه أخطأ عندما ذكر أن هذه الضريبة كانت خاصة بأسواق مدينة تونس قبل أن تعمم سنة 1840 بل كانت تشمل كل المدن(chater,1984, p86) فلا ريب أن التقارب الشديد بين صاحب الإتحاف وبين أحمد باشا باي جعله يتغاضى عن السياسة الاقتصادية للباي .

كما لم يعرّج الاتحاف على أن العائلة الحسينية لم تعتق العبيد في القصر إلا سنة 1890 واقتفى أثرهم كبار موظفي الدولة ورجال الدين (التميمي،1987،ص44) رغم تباهيه بإنتهاء العبودية في أرجاء الايالة، لكن بمناسبة ثورة علي بن غذاهم سنة 1864 نرى أنه من ضمن مطالب المحتجين هو عدم المضي في سياسة تحريم العبودية.

كما عد الإتحاف من بين الكتابات التي تحمل شحنات دفينة من جدليتي السوقة والعامة، فقد تواتر ازدراء العامة والتعالي على اللفيف القبلي فشهدنا زخما مثل عبارات "السفهاء، الفاسقين، السفلة..."(إبن أبي الضياف،2001،ص110) وهو ما يوحي بالموقف السلبي لابن أبي الضياف تجاه العامة، فقد تماهى مع ذلك التنضيد السياسي للمجتمع القائم على الخاصة والعامة .

فقد ركّز على طابع الخيانة لدى "العربان" فأثناء حرب حسين بن علي للجزائريين خانه أولاد سعيد وفروا لأعدائه وتبعهم أمثالهم من العربان ولم يبق غير صبايحية الترك وقليل من العرب وفر عنه صاحب سره محمد بن مصطفى ولحقه عرب دريد (الأندلسي،1970،ص703).

قد تبدو الأزمة الباشية الحسينية أبعد غورا من مجرد صراع على السلطة بين علي باشا وحسين بن علي، فالحالة المعيشية المضطربة التي تردى أليها غالبية السكان نتيجة ترهل

حكم الباي، جعلت البلاد مهيأة للانتفاض على الباي، ودليل ذلك ان القنصل الفرنسي قد نبّه حكومته في مراسلة بتاريخ 3 ديسمبر 1727 يدعو فيها إلى أخذ الحيطة اللازمة لحماية رعاياها، باعتبار أن الأوضاع السياسية كانت تنبأ باندلاع انتفاضة عارمة بالإيالة(plantet,1894, p202-203) هذا الأمر يناقض ما ذهب إليه ابن أبي الضياف من أن البلاد كانت في هناء وعافية حتى أوقد علي باشا الفتنة في البلاد وهو ما ينفي مسؤولية الباي في تنمية الأزمة من خلال سياساته الجائرة .

كانت الذهنية السياسية للبايليك قائمة على ازدراء البدو واعتبارهم مصدر أجناد وجباية، ورغم الإصلاحات التي رام بعض البايات القيام بها إلا أن الأعراب ضلوا عرضة لزجر المخزن، فصار المسافر بالمحال مأمورا كأعيان الوزراء والأمراء وحسبه خلاص الجباية على اختلاف أنواعها والغصب عليها وتأمين السبل وردع أهل الحرابة والفساد ولذلك رخص له في قتل المحارب بمحل جنايته ردعا لغيره (إبن أبي الضياف،2001،ص19) في مقابل ذلك احتفى الاتحاف بالبيوتات الحضرية "الشريفة" التي عاضدت بيروقراطية المخزن بالعلماء والموظفين، لذلك خصصّ ابن أبي الضياف فصلا كاملا من مؤلفه لجرد أعلام عصره وفيه نلمس بوضوح انحيازه للفيف الحضري وهو انعكاس لذهنية الأتراك والمماليك التي رأت في السلطة مناسبة للتأثل والترقي الاجتماعي.

جنح ابن ابي الضياف إلى الانتقائية في تعرضه للسياسة البايليك فهل سينسحب الأمر نفسه على السياسة الخارجية للبلاط الحسيني ؟

2) السياسة الخارجية

بدا ابن أبي الضياف متحاملا على حكام الجزائر ويتجلى ذلك أثناء الاحتلال الفرنسي لها اذ بدت شحنات التشفي بارزة في حديثه عن سياسات أتراك الجزائر وأنها هي المسؤولة عن هذا المآل، في حين كانت سياساتهم تكاد تكون متماهية مع السلطة الحاكمة في تونس .

ففي شأن علاقة المخزن الحسيني بالأوجاق المغربية فقد تميزت بتوجس البايليك وخاصة إزاء دايات الجزائر، فبعد ثورة فرنسا طالبت فرنسا الاعتراف بعلمها الجديد لكن حمودة باشا عمل على معرفة تصرف داي الجزائر حتى لا يسلك سياسة دولية تغضبها (روسو،1992، ص263)

سنة 1830 رحب البلاط باحتلال الجزائر وسمح حسين باي للفرنسيين باستخدام مترجمين وشراء الخيول من تونس (ganiage,1968,p16) وقد لعب حسين باي دورا مهما في تعطيل وساطة الرسول العثماني ومساعدة فرنسا في تأمين مراقبة الحدود الغربية للإيالة. في حين تغاضى الإتحاف عن ذكر الاحتجاجات الشعبية التي رافقت هذا الحدث، إذ تواترت أعمال الشغب والقتل على الحدود الجزائرية التونسية سنة 1873 (الأرشيف،1873،ملف223)

وفي أثناء الحملة التونسية الثانية ضد قسنطينة سنة 1807 والتي انتصر بها التونسيون لم نرى أي وجه للانتصار الذي ذكره إبن أبي الضياف، لأن المحلة التقت بمجموعة من عربان قسنطينة وبعد قتال خاطف هرب هؤلاء وعادت المحلة لتونس. الواقع أن بعض العروش المرافقة لمحلة الباي خيّرت البقاء في فحوص قسنطينة على الرجوع إلى بر تونس مثل عروش من دريد، وتغاضى مرة أخرى عن إخبارنا عن الهدف الأساسي للحملة وهو إرجاع مصطفى الأنقليز صاحب قسنطينة لحكمه بعد أن فر إلى تونس وعزم الباي على إعادته لملكه لكن هذه المحاولة فشلت .

أما في شأن طرابلس فبعد خروج علي برغل في أوت 1794 وقدوم الجيش التونسي في جانفي 1795 فقام بأعمال سلب "وندالية" ودفع الأهالي مبلغا كبيرا لكف عاديته (روسي،1974، ص 312) ولا نجد أثرا لهذه الحادثة في الإتحاف بل إنه ذكر أن سكان مدينة طرابلس امتنعوا عن فتح الأبواب إلا إذا أتاهم الوزير بنفسه فكلموه وطلبوا منه منع العسكر من دخول المدينة للنهب فأجابهم لذلك (ابن أبي الضياف،2001،ص25) ولم

يشر ابن أبي الضياف إلى إمتعاض الباب العالي من تدخل بايليك تونس في الشأن الداخلي لطرابلس ومراسلاته المتكررة بضرورة إنقاذ طرابلس من خلال إعادتها للسلطة العثمانية المباشرة، لكن المخزن الحسيني عرقل هذا المشروع حتى أن الصدر الأعظم عمل على إعادة تونس لإشرافه المباشر بالتعاون مع الوزير شاكير صاحب الطابع لكن تفطن الباي لهذا الأمر جعله يتلافى الأمر بالتنسيق مع القنصل الفرنسي.

الواقع أن سيطرة المخزن على الحدود الجنوبية للايالة تميزت بالضعف وغياب المراقبة الناجزة، فنجد في مراسلة لكاهية الأعراض عجزه عن منع المتسللين إلى تراب الايالة (الارشيف،1856،ملف120) في إشارة إلى انفلات جزء من مجالات الايالة عن مراقبة المركز، في إشارة إلى الضعف الذي باتت عليه الايالة وعدم قدرتها على ضبط مراقبتها في العشوائيات المجالية .

الخاتمة

إن صناعة الموافقة وتوجيه الحشود هي من الأهداف التي اضطلع بها مؤرخي السلطان من أجل تسويغ سياسات الحاكم ومحاولة تثبيت طاعة السكان من خلال الإيهام بصلاح الحاكم وصواب الحكم. إن صياغة هذه الخطاطة من شانها أن تكشف جانبا من توظيف "النخبة" من قبل السلطة، هذه النخبة السلطانية التي نهضت بمهمة التسويغ للحاكم. لذلك غيّب الإتحاف اللفيف المعارض لسياسات المخزن ولم يعرّج على الأسباب الهيكلية لتنافر السلطة مع أطياف واسعة من المجتمع .

كما زاوج ابن أبي الضياف بين ديالكتيك التمويه والتغاضي عن الفساد الذي حف بسياسة البايليك والتي أردت البلاد في أزمات متعاقبة انتهت بفرض الحماية الفرنسية. فمنذ تينك المثالين (حسين بن علي وعلي باشا) ارتبطت النخبة العالمة بركاب السلطة وقعدت عن قيادة المجتمع وتنويره.

على أهمية مكانة الإتحاف في معرفة تاريخ تونس فإن الصنم"الإتحافي" والتسليم بصدقيته من شأنه إعاقة الرؤية المتجددة للحدث التاريخي، كما أن الابتعاد عن التاريخ الآسن من شأنه إعادة قراءة الحدث التاريخي من خلال ديمومة تقنية التعديل والتجريح .

*الاختصارات والرموز

أوت: الأرشيف الوطني التونسي.

س ت: سلسلة تاريخية.

ص: صندوق.

م: ملف.

و:وثيقة.

دج: دفاتر جبائية.

د ت: دون تاريخ.

ج:جزء.

مرجع سابق : Op, Cit

***الهوامش**

[1] في الكذب تنتفي الحقيقة وتستبدل بكذبة أما في التمويه فالحقيقة لا تنتفي ولا تظهر في شكل كذبة بل تظهر في شكل حقيقة أخرى تدعي أنها الحقيقة الصحيحة. نورالدين ،محمد عباس. (2000) التمويه في المجتمع العربي السلطوي: قراءة نفسية اجتماعية للعلاقة بالذات والآخر، تقديم هشام شرابي، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، بيروت.

[2]نظرية الرجل العظيم تسعى لإلقاء الضوء على هوية القائد، والمسلّمة الأساسية التي تقوم عليها هي أن الجماهير تقاد بواسطة القلّة المتفوّقة: يونس ،محمد فتحي. (2008) صناعة الديكتاتور: دراسة في أساليب الدعاية للقادة السياسيين، هلا للنشر والتوزيع.

[3] حب الله، عدنان وصفوان ،مصطفى. (دت). إشكاليات المجتمع العربي قراءة من منظور التحليل النفسي، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، بيروت.

[4] إن سيرة حسين بن علي وأخلاقه لم تكن خالية من الشوائب ويتبين ذلك من العقوبات التي نالها فلما كان جنديا جلد مرات عديدة أثرت في نصف عجيزته.

Poiron le commissaire des guerres à Toulon, mémoire concernant l'état présent du royaume de Tunis et ce qui s'est passé du plus remarquable entre la France et cette régence depuis 1701 jusqu'en 1752 , bibliothèque nationale de paris, fond français, manuscrit N 13084, supplément français 2036.

[5] ابن أبي الضياف، أحمد. (2001). إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج2، تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس .

[6] البيعة الأولى كانت بمناسبة توليه السلطة في جويلية 1705 ثم أردفها ببيعة ثانية في الشهر الموالي أي في أوت 1705 بعد قدوم رسل من عشي مصطفى صاحب الجزائر من أجل تعويضه بإبراهيم الشريف ثم طالب ببيعة ثالثة في جانفي1706 بعد صراعه مع الداي محمد خوجة الأصفر وأخيرا في سنة 1715 لما ثار عليه محمد بن مصطفى وتمكن من الحصول على فرمان سلطاني بتولي السلطة، ثم طلب في مناسبة خامسة بيعة أهل القيروان بعد فراره إليهم عقب إنهزامه ضد علي باشا سنة 1735.

[7] الإتحاف، نفس المصدر، ج 2.

[8]Plantet, Eugène. (1894) , *correspondance des beys de Tunis et des consuls de France avec la cour 1577-1830,* ancienne librairie germer bailliere , Félix alcan , paris.

[9] كان هذا الأمير تقيا شجاعا كريما رفيقا بالرعية ... الإتحاف، المصدر نفسه ،ج 2.

[10] الأندلسي،محمد بن محمد، المعروف بالوزير السرّاج. (1970) الحلل السندسية في الأخبار التونسية،ج2، تحقيق محمد الحبيب هيلة، تونس.

[11] تواتر استعمال مفردة لين العريكة على عدد من البايات عند ذكره لكل من علي وعثمان وحسين باي مثلا كناية عن ضعف شخصية هؤلاء الحكام مقارنة بغيرهم من البايات .

[12] حمودة باشا تخلى عن حريمه وجواريه ليقضي معظم سهراته مع الظرفاء كونه تعود على تعاطي الخمر كل ليلة بإفراط وبفوضى. الإمام ،رشاد. (1980) سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814، منشورات الجامعة التونسية، تونس. ....دونكم في ذلك كذلك أن سبب مقتل يوسف صاحب الطابع هو محاولته الحد من جموح حسين ومصطفى باي في شأن إقبالهما على الشهوات .

[13] عند صعود علي باشا لجبل وسلات سنة 1728 بعث حسين بن علي إلى الخزنادار وأمره أن يحضر شكاير الدراهم والدينار، فإمتثل لأمره وحضر ما عنده، وفرق أمواله من الذهب وصار أنصار حسين بن علي يمشون تحت الجبل وينادون يا أهل الجبل أنظروا لسيدنا الباي وما أعطانا، وبه أغنانا وبالسلطاني ملك رقابنا، واليد فيما عنده مليانة، وعلى الله وعليه إتكالنا، كل من يأتي برأس من الوسالتية يأخذ إحسان من الخازندار. بن يوسف ،محمد الصغير.1988. المشرع الملكي في سلطنة أولاد علي التركي، تقديم أحمد الطويلي، المجلد الأول، المطبعة العصرية، تونس. .... نفس هذه السياسة المعتمدة على لمال السياسي حاول حسين بن علي استعماله مجددا لمنع الجزائريين من نصرة الباشا فبعث عمر المورالي إلى الجزائر يتكلم مع خواص الدولاتلي ولهم كذا وكذا من الهدايا والمال. المصدر نفسه، المجلد الثاني.

[15] ثم إن الباي حسين خرج بالمحلة إلى جبل وسلات وكاتب أعيانهم وداخل أولاد مانس منهم وانقادوا إلى الطاعة فعفا عنهم وتوثقوا بعفوه وأمانه ومنعهم السكنى بأوعار الجبل إلا أولاد مانس وقفل راجعا للحاضرة. الإتحاف، نفس المصدر، ج2.

[16] ابن عبد العزيز ،حمودة. 1970. الكتاب الباشي، 2 أجزاء، تحقيق محمد ماضور، ج1،الدار التونسية للنشر، تونس.

[17]نرى أن الردع طال حتى أولئك الذين أووا الوسالتية بعد إخلائهم فقد سلطت خطية بعشرة آلاف دينار على أولاد عون "لأننا أمرناهم بإخراج الوسالتية من بلادهم ولم يعملوا" الأرشيف الوطني التونسي، (1762)، الدفاتر الجبائية، دفتر عدد 120.

[18]الهويدي، سلوى. (1999-2000) أعوان دولة علي باي 1759-1766، شهادة الدراسات المعمقة في التاريخ الحديث، إشراف الصادق بوبكر، جامعة تونس الأولى، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس.

[19]خوالدية، الضاوي. (2008) الأسر والذوات التونسية في ق19 من خلال إتحاف أهل الزمان لابن أبي الضياف، مطبعة دنيا، الطبعة الثانية، تونس .

[20] الهرماسي،عبد اللطيف.(1999)، العلماء والإصلاح: دراسة في سوسيولوجية النخبة وموقفها إزاء المسعى الإصلاحي في تونس، المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، 118، (29).

[21] Dakhlia, Jocyline.(1992) Le Pouvoir indigne ; une mémoire de la tyrannie dans le sud tunisien, *Cahiers de la Méditerranée*, (45), 1, 19.

[22]خوالدية.الضاوي، الأسر والذوات.... ، نفس المرجع.

المرجع نفسه.

[23] (P 23) . Hnia,A. (1980), *Les rapports de jrid avec le beylik 1676-1840*, P-U-T, Tunis

في مقابل دية الشيخ التي تقدر بألف دينارا فإن دية الشيخ في الجريد 750 دينارا...ويتفق هذا الرأي مع المستندات الأرشيفية: 4 ألاف دينار دية الشيخ مراد الغياثي قتلوه العطيات ودية الشيخ إبراهيم بن بوقرة لقتله الشيخ بن الحاج بعشرة ألاف دينارا ومعه البشير بن بوعلاق وعلي بن محمد ومنصور بن الحاج فصارت أربعة آلاف دينارا تعينت على يد الحاج أحمد بن القايد وألف دينارا دية الشيخ محمد بن صالح السهيلي الذي طعنه يوسف بن الربيعي وعمه بوفارس و1500 دينار دية الشيخ المرزوقي وأخيه الذي قتله أولاد مرزوق ....أ. و. ت(ديسمبر1773). نفس المصدر، الدفاتر الجبائية،دفتر67، ص 3 .

[24] "على محمد بن مسعود النملاغي وأخيه من الوهبة 300 ريال لتسفلهم وتطريدهم الترك الذين قدموا إليهم وباتوا عندهم "المصدر نفسه، (ديسمبر 1767) د ج، دفتر عدد 142، صفحة 40، تاريخ. المصدر نفسه، (1679_1842)السلسلة التاريخي، صندوق 1، ملف 4. مراسلات وتذاكر صادرة عن بعض موظفي الدولة تعلقت أغلبها بصرف مبالغ مالية ومؤن وترقية بعض الضباط .

[25] شاع لدى الأتراك ذلك القول "العربي خذ ماله وأقطع رأسه" كبرهان على مدى تغلغل الشعوبية الحديثة بين الأطياف الاجتماعية في تونس.

[26] ابن خلدون،عبد الرحمان. (1992)، المقدمة، ج2، تحقيق أ م كاترمير، مكتبة لبنان عن طبعة باريس سنة 1858، بيروت.

[27] الإتحاف ، نفس المصدر، ج 3.

[28] الشنوفي،المنصف (1856)، رسالة أحمد بن أبي الضياف في المرأة ، مخطوط بالمكتبة الوطنية عدد 421.....يشمل هذا المخطوط على 35 ورقة بخط إبن أبي الضياف كلها أسئلة طرحها عليه ليون روش وتحوم حول وضع المرأة المسلمة في تونس، وكانت أجوبة

أبن أبي الضياف مركزة على منزلة المرأة في الإسلام ويتغاضى عن حاضر المرأة الذي غلب عليه التدهور .

[26] Chater, k. (1984), *Dépendance et mutations précoloniales ; la régence de Tunis de 1815 à 1857,* P-U-T, Tunis.

[27] التميمي. عبدالجليل، (1987) ، من أجل كتابة تاريخ الحياة الاجتماعية للأقلية الإفريقية السوداء بالبلاد التونسية: مصادر وأفاق ، المجلة التاريخية المغاربية، 45-46، تونس .

[28] الإتحاف، نفس المصدر ، ج 2.

[29] الوزير السراج ، الحلل السندسية، نفس المصدر.

[30]Plantet, Eugène (1894), correspondance des beys de Tunis …, *op, cit*.

[31] الإتحاف، نفس المصدر، ج3.

[32] ألفونص، روسو. (1992)، الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر، نقله عن الفرنسية وتحقيق محمد عبدالكريم الوافي، منشورات جامعة قار يونس، ليبيا.

[33] Ganiage,j. (1968), *les origines du protectorat français en Tunisie 1861-1881*, Maison Tunisienne de l'édition, 2 [eme] édition, Tunis.

[34] أ و ت، (1873-1874). نفس المصدر ، س ت، ص 211، م 223 فرعي.

[35] روسي، إيتوري. (1974)، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، تعريب وتقديم خليفة محمد التليسي، دار الثقافة، الطبعة الأولى بيروت.

[36] الإتحاف، نفس المصدر، ج3.

[37] أ و ت، (1856) ، نفس المصدر، س ت، ص 148، م 120، و21.

الفكر السياسي عند أبي حمو موسى الثاني من خلال كتابه– واسطة السلوك في سياسة الملوك– (دراسة مقارنة بين النظرية والتطبيق).

طالب دكتوراه ولد العربي بلال الدكتور قدور وهراني
جامعة ابي بكر بلقايد –تلمسان– الجزائر.

تاريخ الإيداع: 2019/02/07م تاريخ التحكيم: 2019/02/09م تاريخ القبول: 2019/02/10م

الملخص:

يتضمن هذا المقال دراسة شخصية سياسية بارزة من شخصيات بلاد المغرب الاسلامي في العصر الوسيط ألا وهو الأمير الزياني أبو حمو موسى الثاني، وذلك من خلال إنتاجه الفكري المتمثل في كتابه –**واسطة السلوك في سياسة الملوك**–، كما يسلط الضوء أكثر في المقارنة بين فكره السياسي من خلال كتابه السالف الذكر، وذلك بتتبع ورصد معظم أفكاره وآرائه السياسية للحكم الاسلامي وأوجه التماثل والاختلاف بينها وبين الواقع السياسي لنظام الحكم الزياني في عهده، وهذا كله بهدف إبراز المكانة السياسية والفكرية التي كان عليها امراء الدولة الزيانية عامة والأمير أبوحمو موسى الثاني خاصة، والدور الذي قام به في التنظير لفكر سياسي إسلامي راقي، استطاع بفضله بعث وإحياء هذه الدولة من جديد وعلى مختلف أوجه الحياة المختلفة.

الكلمات المفتاحية: تلمسان – الدولة الزيانية – الفكر السياسي – أبوحمو موسى الثاني – كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك.

Abstract :

This article includes a prominent political study of the personalities of the Islamic Maghreb in the Middle Ages, namely Prince Zayani Abu Hamo Musa II, through his intellectual production represented in his book - and behavior in the policy of kings - and also highlights the comparison between his political thought of In order to highlight the political and cultural status of the princes of the Zayani state in general and Prince Abu Musa II, in particular, The role played by the political theory of Islamic thought sophisticated managed thanks to him and sent a revival of this state again and on the various aspects of life.

Keywords: Tlemcen - The Zayani State - Political Thought - Abu Musa II - The Book of Mode of Conduct in the Politics of Kings.

الفكر السياسي عند أبي حمو موسى الثاني من خلال كتابه– واسطة السلوك في سياسة الملوك– (دراسة مقارنة بين النظرية والتطبيق).

طالب دكتوراه ولد العربي بلال الدكتور قدور وهراني
جامعة ابي بكر بلقايد –تلمسان– الجزائر.

محتوى كتاب – واسطة السلوك في سياسة الملوك–:

الكتاب في مجمله عبارة عن وصايا ونصائح لابنه وولي العهد من بعده في السياسة الشرعية وأحكامها وآدابها، قصد سياسة الرعية بالعدل يكون بها بعيدا عن الجور والظلم، فقسّم المؤلف السلطان أبو حمو موسى الثاني كتابه إلى أربعة أبواب كل باب يضم مجموعة من الفصول والقواعد كالآتي:

الباب الأول: ويذكر فيه جملة من الوصايا والآداب التي ترشد إلى طرق الصواب في تسيير دفّة الحكم ويسوس بها الحاكم رعيته السياسة الرشيدة، وقسّم هذا الباب إلى أربعة فصول: يذكر في الفصل الأول وصايا في الاتصاف بالعدل وطرقه ووسائله، وفي الفصل الثاني وصايا في التحلي بالتقوى ومراقبة الله عز وجل في رعيته، وفي الفصل الثالث وصايا في طرق جمع المال من مصادره الشرعية وحفظه والاستعانة به في تدبير شؤون مملكته ورعيته، وفي الفصل الرابع في سياسة الحروب وفن حفظ الجيوش والأجناد لحفظ الأمن الداخلي ورد العدوان الخارجي.

أما الباب الثاني: فيذكر فيه جملة من قواعد المِلك وأركانه وما يحتاج الملك إليه في قوام سلطانه، وقسّم هذا الباب الى أربع قواعد: القاعدة الأولى وهي قاعدة العقل، والثانية قاعدة السياسة، والثالثة قاعدة العدل، والرابعة في قاعدة جمع المال والجيش.

أما الباب الثالث: فيذكر فيه الأخلاق الواجب توفرها في المِلك، والتي هي نظام الملك وجماله وبهجته وكماله، وقسّمه الى أربعة قواعد: القاعدة الأولى في خلق الشجاعة، والثانية في خلق الكرم، والثالثة في خلق الحلم، والرابعة في خلق العفو.

أما الباب الرابع والأخير: فخصّصه في الفراسة "فراسة الملك"، فيوضح معناها وفضلها وضرورة اتصاف الملك بها، تمكّنه من التمييز بين الحقائق والحق من الباطل والمظلوم من الظالم.

مقدمة:

إن الحديث عن شخصية أبي حمو موسى الثاني إنما هو حديث عن شخصية قلّ لها مثيلا –فيما نعلم– في تاريخ الأمراء والملوك طيلة التاريخ الإسلامي، وذلك راجع لأمور :

1–إهتمام الكثير من المؤرخين في تتبع نشأته ومسيرته العلمية والسياسية ثناءًا وإشادة على سياسته الرشيدة في الحكم،لم يحض بها غيره من الأمراء الزيانيين.

2–حركته السياسية القوية والمعارك الكثيرة التي خاضها ضد بني مرين، جعلته يبرز كقائد سياسي بارع ومحنّك استطاع بسببها إجلاء المرينيين من المغرب الأوسط وإحياء دولة أجداده بني عبد الواد الزيانية من جديد وذلك سنة 760هـ/1358م.

3-الأمر الثالث والأهم جمعه بين الإمارة وطلب العلم، وقلّ أن تجد هذه الخصلة قد اجتمعت في أمير قبله، وخير دليل على هذا كتابه-واسطة السلوك في سياسة الملوك- ،فالمتصفح للكتاب يرى بوضوح مدى المكانة العلمية والخبرة السياسية التي كان يتمتع بها هذا الأمير في تسيير دفة الحكم وفق الشريعة الإسلامية.

ومن خلال هذا التقديم الموجز يتبادر إلينا مجموعة من التساؤلات، والإجابة عنها هي التي ستحدد الجوانب المراد دراستها في هذا المقال وهي كالتالي :

* ماهي الأسباب والعوامل التي أسهمت في نشأة الأميرأبو حمو موسى الثاني، سواءً العلمية منها أو السياسية ؟

* ماهي أبرز المعالم والأفكار السياسية عند هذا الأمير من خلال كتابه - واسطة السلوك - ؟ وهل وُفّق أثناءإمرته على تلمسان في تطبيق ما قعّد له من القواعد السياسية في كتابه السالف الذكر؟

وسنحاول من خلال هذا المقال الكشف عن خبايا هذا الموضوع، والإجابة قدر الإمكان على الأسئلة المطروحة، والله الموفق و هو وحده الهادي إلى سواء السبيل.

أوّلا- ترجمة أبي حمو موسى الثاني:

يتصل نسب أبي حمو موسى الثاني بالمؤسس الأول للدولة الزيانية(*)(عمورة،2002،ص79-84)وهو يغمراسن بن زيان (حاجيات،2011،ص69)، فهو أبو حمو بن يوسف بن عبد الرحمان بن يحي بن يغمراسن بن زيان بن ثابث (ابن خلدون،2000،ص199)، فأما يغمراسن فهو يغمراسن بن زيان

بن ثابت بن محمد مؤسس دولة بني زيان، حكم من سنة 633-681هـ/1236-1283م، أما يحي ابنه كان مولده بتلمسان (الحموي،ص44)سنة 633هـ/1235م، ووصفه المؤرخين انه كان من أهل الفضل والشهامة والإقدام، ولاّه أبوه على سجلماسة (الحموي،ص192)سنة 661هـ/1262م، وتوفي بتلمسان في نفس السنة (ابن خلدون،2007،ص41)، وأماعبد الرحمان فإنه ولد بسجلماسة أثناء ولاية أبيه عليها، وتوفي في جيش غرناطة سنة 716هـ\1316م (ابن خلدون،2007،ص45-46)، وأما يعقوب يوسف والد أبو حمو الثاني فقد ولد سنة 689هـ/1290م وأقام بالأندلس (الحموي،ص262-263) مع إخوته، وشارك في وقائع جهادية مع المسلمين، وهناك بالأندلس وُلد صاحب الترجمة أبو حمو موسى الثاني سنة 723هـ (ابن الاحمر،1962،ص55)/(ابن الخطيب،1275،ص292)/(ابن خلدون،2007،ص46).

ولد أبو حمو الثاني بغرناطة من الأندلس سنة 723هـ، وهي السنة التي عاد به أبوه الى تلمسان باستدعاء من السلطان أبي تاشفين الأول (مكيوي،2000-2001،ص94)،وقد نشأ أبو حمو في تلمسان مثل غيره من أبناء الأمراء، فعرف حياة البلاط وما تشتمل عليه منُ أبّهة و ترف، وفيما يخص نشأته العلمية فقد درس على أشهر العلماء مكّنه من تحصيل مبادئ اللغة العربية والعلوم الدينية خاصة في فترة إقامته بفاس (الحموي،ص230-231)سنة 745هـ إلى750هـ، وجّه نشاطه فيها الى طلب العلم لاسيما وأن فاس كانت في ذلك الوقت قلعة من قلاع العلم ومركزا من أهم مراكز الثقافة والمعرفة الإسلامية، كلّ هذا وذاك مكنه من نيل الحظ الأوفر من العلم الشرعي، ومع هذا كله يذكر صاحب كتاب (أبي حمو موسى الثاني- حياته و آثاره-) أنه لم يجد في المصادر إشارات حول أشياخ أبي حمو الثاني وأسماء من تتلمذ على أيديهم من العلماء (حاجيات،2011،ص71-73).

أما فيما يخص نشاطه السياسي فأول ما نبتدئ به إقامته بفاس، حيث لما بلغ أبو حمو موسى الثاني 14عاما عرف آلام الاغتراب بفاس بعد الاجتياح المريني على تلمسان سنة 737هـ/1336م صحبة أبيه وكثير من أبناء قبيلته (حاجيات،2011،ص71)، وقد ذكر صاحب كتاب (روضة النسرين) :" انه أدرك أبو حمو بفاس في دولة المولى أبي الحسن المريني" (ابن الاحمر،1962،ص58)، ومرت الأيام وغادر أبو حمو رفقة أبيه من فاس إلى ندرومة منقطعان عن كل نشاط سياسي، هذا وقد حدثث بعض المناوشات بين الجيش الزياني والجيش المريني بتلمسان أسفرت عن انتصار المرينيين وجلاء الزيانيين، ما حتّم على أبي يعقوب وابنه أبو حمو الانتقال من ندرومة إلى تونس ونزلا في حضرة الدولة الحفصية (ابن خلدون،2007،ص49-54)، وفي سنة 760هـ توفي السلطان المريني -أبو عنان- الذي كان محاصرا لتلمسان، فجدّ أبو حمو في المسير بعساكره والتقى بجموع المرينيين وهزمهم، ودخل تلمسان وبايعو له بالخلافة وذلك سنة 760هـ/1358م (ابن خلدون،2007،ص65-76)، وما ان وصل تلمسان الا وشرع في احياء دولة اجداده الزيانيين، فعمل على تنظيم مختلف أجهزة الدولة وتعيين الوزراء والكتاب والسفراء ....، كلّ هذا وفق منظور سياسي إسلامي ترك لنا بعضا من آثاره وآراءه السياسية في كتابه – واسطة السلوك في سياسة الملوك-.

ثانيا- الفكر السياسي عند ابي حمو موسى الثاني:

أ-نظرية أبو حمو الثاني السياسية :

أ-1/خلق المَلك : يذكر فيه أهم الوصايا و الآداب و الحِكم التي ترشد الى طرق الصواب ومن أهمها: -قاعدة العدل- حيث يحثّ فيها ابنه أو من يلي الأمر من بعده إلى ضرورة الاتصاف بالعدل الذي هو أساس الملك، والتحلي بالفضل والإحسان إلى الرعية

لاستجلاب مودتهم ومؤازرتهم له في الرخاء والشدة، ثم يذكر –قاعدة العقل– وان يكون الملك ذكيا فطنا متيقظا لجميع شؤون الامارة، ذو عقل راجح و بصيرة نافذة يميز بها بين العدو و الصديق وما يصلح له و لرعيته في الدنيا و الآخرة، ثم يذكر–قاعدة الشجاعة– وان يكون الملك شجاعا حكيما خاصة في المواقف الحاسمة، فهو الذي يقود الجنود وبشجاعته يدحر الخصم اللدود، ثم يذكر –قاعدة الكرم– التي لابد للملك ان يتصف بالكرم على اهله ورعيته دون اقتار اواسراف، فاذا فعل ذلك تمكن حبه في قلوب رعيته والتفوا حوله مساندة وحماية ونصرا في الشدائد، ومن بين القواعد التي يذكرها ايضا –قاعدة الحلم– وان يكون الملك ذو حلم على خاصته و رعيته متغافلا عن زلاتهم الا ما عظم منها، وان يتصف بالاناة والتؤدة فلا يتعجل العقاب حتى يحيط بكل حادثة علما وفهما لها من جميع الجوانب، ثم ليحكم بعد ذلك حاملا شعار الحلم والعفو عند المقدرة، كما يذكر ايضا –قاعدة العفو– وأن يتصف الملك بعد حلمه بالعفو عن من بدرت منه الاساءة، خاصة لمن لم يكن يقصد ذلك ونيته حسنة حكيما في هذا كله يضع العفو موضعه لمن لا يصلحه الا العفو ويضع العقاب موضعه لمن لا يصلحه الا العقوبة، ثم في الاخير يذكر من خلق الملك –قاعدة السياسة– وأن يكون الملك أو الأمير خبيرا بأمور السياسة و غوائلها، سائسا رعيته سياسة بناء وإصلاح حسن التدبير لشؤون مملكته (ابو حمو الثاني،1279هـ،ص4-31).

أ–2/رعية الملك :

يذكر أولا رتبة –الوزير– وهو يحتل اعلى المراتب في الدولة في تصور ابي حمو، فيرى ان يكون وافر العقل عاريا عن الجهل حاضر الذهن سريع الفهم، راجح الرأي محمود السعي محبا ناصحا ودودا صالحا، شجاعا في المهمات وعند نزول الملمات، حسن الصورة فصيح اللسان، بديع العبارة بليغ البيان...، ثم يذكر –جلساء الملك– فيقول :"يجب ان تختار

لنفسك جلساء رؤساء من قومك، ذوي العقول الوافرة، واذهان ثاقبة حاضرة، فصحاء اللسان نصحاء في السر والاعلان، يجانبون مخالطة الناس، و يعظمونك اذا أظهرت لهم البسط والايناس...، وينبغي لك ان تختبر احوالهم، وتمتحن اقوالهم و افعالهم ...، ثم يذكر – كاتب السر– ويحتل هذا المنصب أهمية بالغة لدى الأمير أبو حمو فيقول :"واما كتابك فلتخير منهم لسرك كاتبا من وجوه بلدك، موفيا لغرضك ومقصدك، فصيح اللسان جرئ الجنان بليغ البيان عارفا بالآداب سالكا طرق الصواب، بارع الخط حسن الضبط عالما بالحل والربط كاتما للأسرار متحليا بحلى الوقار ذا عقل وافر وفهم حاضر...، ويذكر أيضا –كاتب الاشغال– فيقول عنه :"واما صاحب اشغالك وضابط اعمالك فلتتخيره من وجوه بلدك الاخيار وكفاة الحساب و النظار، و يكون ذا ثقة وامانة وعفة وصيانة وصلاح وديانة وحزم وكفاية وضبط و دراية، عدلا في احواله صادقا في اقواله، عارفا بأنواع الخراج والجبايات ضابطا للزمام والحسابات ويكون ذا مال ويسار وأثاث وعقار..."،ويذكر أيضا –الفقهاء– فيقول :"واما فقهاؤك فلتتخير لنفسك فقيها عالما نبيها موسوما بالصلاح سالكا طرق الرشاد والفلاح، يرشد الى الهدى ويهدي الى الرشاد ويسدد الامور ويأمر بالسداد ليبين لك ما اشكل عليك من الاحكام وما تأتيه من الحلال وتدعه من الحرام، وما تقف عنده من الحدودالشرعية التي هي قوام الملك والرعية وما يصلح لك من الامور الدنيوية و الاخروية، ويتخولك بالموعظة ويذكرك احوال الاخرة ولينبهك من سنة الغفلة..."، ويذكر أيضا – القضاة– ويصفهم بقوله :"... يجب عليك ان تختار قاضيا من فقهائك افضلهم في متانة الدين وارغبهم في مصالح المسلمين، لا تاخذه في الحق لومة لائم ولا يسمح لظلامة ظالم، يساوي بين الشريف و المشروف والقوي والضعيف عالما بتنفيذ الاحكام مفرقا بين الحلال و الحرام، قاضيا بالعدل آخذا بالفضل".

ومن الحاشية التي للملك يذكر-الاعوان- فيقول عنهم :" تخير عونا تجعله مقدما على اعوانك ومتصرفا في امور سلطانك، وينبغي ان يكون ذا دربة وشدة وكفاية ونجدة مبادرا لامتثال الاوامر متيقضا لما تريد منه في الباطن و الظاهر..."، ويذكر أيضا –صاحب الشرطة- يقول عنه :"ينبغي ان تتخير صاحب الشرطة لانها عند الملوك اكبر خطة، فتقدم لها من يكون صاحب ديانة وعفة وصيانة وهمة ومكانة وسياسة وراي و فراسة..."، ويذكر أيضا –العمال- يقول:" تخير منهم العارفين بجبايات الخراج واهل البصر بالالقاب التي بها الاحتياج، ويكون ذوي حزم ودربة ودراية وضبط وامانة و فضل وديانة، لا يضيعون اعمالك ولا يضرون في ذلك الرعية "، كما لاينسى أيضا –السفراء- المتوجهون من قبل الملك الى الملوك امثاله وهؤلاء يجب ان يكونوا :" من وجه قبيلتك وخيار عشيرتك ممن يليق بالرسالة، فيكون الواحد منهم قوي القلب راجح العقل حافظا على الأسرار كاتما لجميع الاخبار، فصيح اللسان حسن العبارة والبيان مليح الهيئة والصورة، محبا في سلطانك عاملا على ما يوافق شانك قليل الطمع متنزها عما في الايدي تنزه الورع"، ثم يختم رعية الملك -بالعامة من الناس- يصفهم بقوله :" واما العامة والدهماء فتسلك بهم طريقة واحدة يقفون عندها لا يتعدون حدها، وتجريهم على ما تعودوا من السير المحمودة والموالاة المجيدة، ثم مع ذلك لا تتركهم لاغراضهم الفاسدة، واما الجري معهم على حسب اوقاتهم وازمانهم وطبقاتهم فان كان زمن رخاء وخير فتسير فيهم احسن سير، وان كان في زمن فتنة ثائرة فتشد على الرعية جهد الاستطاعة، وان كان زمن قحط ومحن ومجاعة واقعة فترفق بهم في المخازن والمجابي وتحسن لضعفائهم المحتاجين وتحابي" (ابو حموالثاني،1279هـ،ص32-87).

أ-3/ مال الملك : كان ابو حمو من رجال السياسة الذين يعرفون قيمة المال للملك، ولذلك عني بجمع المال من جباياته وتدبر في اوجه انفاقه فيقول:" اعلم يابني ان المال به

تدفع العدا وحصن يتقي به من الردى، يابني خير المال ما وقع به الانتفاع وشر المال ما تركته للضياع، فاجمعه من مواضعه ووفّره ولمّ جبايته وثمره وقوّ مادته بالعدل وتوسط في العطاء والبذل...".

أ-4/جيش الملك : وقد جاء تركيب الجيش في فكر ابي حمو الثاني على الشكل التالي : اولا -قُواد الجيش- فيصفهم بقوله :" تخير قواد من انجاد جندك زعماء صادقين في محبتك وافين بعهدك، ذوي حزم وكفاية ومعرفة ودراية لا يصلون الى الرعية بمضرة ولا بإذاية، بل يسدون الثغور ويصدون العدو المحذور ويحوطون البلاد ويمنعونها من كل باغ وعاد وساع في الفساد "، ثم يذكر -خاصة الملك- وكانوا يتألفون من وجوه القبائل وكرام العشاير الذين يستخلصهم الملك لنفسه معتمدا في اختبارهم ان يكونوا محبين له، ثم يذكر -قبيل الملك- اي قرابته فيقدم الاشياخ على الجموع ويجعل على كل جماعة منهم شيخا من كبارهم واعيانهم وخيارهم، على ان يكون هؤلاء الاشياخ من بين اكثر قبيلته محبة له ورغبة في خدمته، ثم -حماة الملك و انصاره- وهؤلاء يبقون محيطين بالملك لا يفارقونه ليلا ولا نهارا، ويختارهم من اصحاب الشأن في الشدائد ومن اكثر الناس موالاة له ونصرته في حال الحاجة، اما بالنسبة -لمماليك الملك- ولقد كانوا يتألفون من العلّاج والنصارى والاغزاز والوصفان ودورهم قمع كل عصيان، ويجب لذلك ان يكونوا شجعانا ذوي بأس، كما يجب على الملك الا يدعهم يفارقونه طرفة عين، ثم يختمها -بالسياسة الحربية- ضد الاعداء، فيرى السلطان ابو حمو الثاني انه اذا كان العدو اقوى فيجب عليه ان يدفعه بانواع المحاولات وتستميل قلبه بالمراسلات...، واذا كان العدو اضعف فينبغي غزوه مرتين في السنة لإضعاف شوكته، واذا كان العدو مساو لك ينبغي ان تحاوله بالمصالحة والمهادنة والموالاة و المحاسبة.

ثم يختم نظريته بفصل مهم في السياسة ألا وهي –فراسة الملك–، فيوضح معناها وفضلها و ضرورة اتصاف الملك بها، وهذه الفراسة يحتاجها الملك في التمييز بين العدو من الصديق والامين من الخائن والكاذب من الصادق، ويقضي بها عند انعدام الدليل فيقول:"...اعلم يابني ان الفراسة قوة نفسانية واسرار ربانية يؤيد الله بها النفوس، حتى ينقلب بها المعدوم كالمحسوس ...، وينبغي ان تكون فراستك في وزيرك و كاتبك وجلسائك، وقاضيك ومفتيك وصاحب شرطتك وعمالك وصاحب اشغالك ..." (ابو حموالثاني،1279هـ،ص9-142)/(ابن حمادة،2011،ص306-311).

من خلال ماسبق يمكن القول، ان ابو حمو الثاني قد طرق موضوع السياسة من اوسع بابه، ونظّر في السياسة الشرعية وتدبير شؤون الامارة والملك أحسن التنظير، مستشهدا في هذا كله بنصوص الوحي من الكتاب والسنة وسير الصالحين من الامراء والملوك، كما لم يغفل الجانب الادبي من شعر بنوعيه الديني و السياسي مع حِكم و امثال...، جعلت من نظريته السياسية المرجع الهام لكل باحث في النظريات السياسية الاسلامية عند المسلمين.

ب–نظام الحكم السياسي على عهد ابي حمو موسى الثاني:

ب–1/**النظام السياسي:**

اولا نبدأ –بالعاهل– وهي قمة النظام السياسي، وهي الملك الاعظم يحكم شعوبا مختلفة كالخليفة والامبراطور، وكانوا يحرصون على التكني بأسماء أبنائهم مباهاة ومفاخرة وتعظيما، وقد تكنى موسى بن يوسف بن عبد الرحمان بن يحيى بن يغمراسن بابي حمو موسى الثاني، وتلقب بلقب أمير المسلمين، وهو اول من تلقب بلقب الخليفة (ابن خلدون،2000،ص164).

اما بالنسبة –للبيعة– وهي العهد على الطاعة، كانت تتم على مرحلتين: البيعة العامة من طرف الامة، والبيعة الخاصة من طرف اعيان البلد من علماء وفقهاء وقادة الجيوش...، وقد عرف السلطان ابو حمو الثاني البيعتين معا، اما –سلطات العاهل– فلقد كان سلطان بني عبد الواد بمثابة الخليفة العام للمسلمين، وقد حاول ابو حمو الثاني تقليد نفسه هذه السلطة وهناك اشارات في كتابه تؤكد ذلك (أبو حمو الثاني،1279هـ،ص5).

، أما –ولي العهد– أو من يتولى الامر من بعده فقد كان سلاطين بني عبد الواد يعهدون بولاية العهد الى أكبر الابناء دون غيرهم، كما فعل ابو حمو الثاني عندما ولّى العهد لابنه ابي تاشفين الثاني (ابن خلدون،2007،ص555). ، أما بالنسبة –للوزير–(*)(ابن خلدون ،2010،ص193)كان في عهده بمثابة قائد الجيش، وموكّلا بإجادته فنون الحرب والقتال اكثر من غيرها من الاوصاف، واهم وزراءه: ابو عمران موسى بن علي بن برغوث، وابو محمد عبد الله بن مسلم الزردالي الذي كان شديد البأس و الاقدام، ومنحه ابو حمو نفوذا واسعا في الدولة...، اما –الحاجب–(*)(ابن خلدون،2010،ص187) فتذكر المصادر أن الامير ابو حمو الثاني قد اولى عناية كبيرة لهذا المنصب، حيث راسل العلامة عبد الرحمان بن خلدون وعرض عليه منصب الحجابة وكتابة العلامة في دولته فاعتذر له ، وقد كان الوزراء في عهده هم انفسهم من يتقلدون هذا المنصب (ابن خلدون،2004،ص98–99)، اما بالنسبة –للمزوار– وكانت تطلق على صاحب الحسبة في قبيلته، واضطر اليها هذا السلطان ربما لسد فراغ كان سببه غياب رتبة الحاجب في دولته، اما –الكاتب– فكانت مهمته تتلخص في تحرير المراسلات والمعاهدات وقراءة الرسائل للسلطان، ومن ابرز كتّاب الامير ابو حمو الثاني: العلامة يحي بن خلدون، والفقيه محمد بن علي العصامي...، اما –صاحب الاشغال– وهي القيام على الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل و الخرج، وإحصاء العساكر بأسمائهم وتقدير أرزاقهم وأعطياتهم... (ابن خلدون،2010،ص199)، فقد

تحدث الامير ابو حمو الثاني في كتابه – واسطة السلوك – عن هذه الرتبة وأهميتها والصفات الواجب توفرها عند صاحب هذه الخطة، ومن ابرز أصحاب الأشغال في عهده: الفقيه محمد بن علي العصامي، و الفقيه ابي عبد الله محمد القيسي (ابن خلدون،2007،ص114-168).

ب–2/النظام المركزي:

النظام الاداري بدولة بني عبد الواد الزيانية كان كغيره من النظم الادارية في الدول الاسلامية ودول المغرب والاندلس ، ويمكن تقسيمه الى صنفين : الادارة المركزية و الادارة المحلية.

ب–2–1/الادارة المركزية :

يبدوا ان دولة بني عبد الواد قد وزعت وظائفها في المستوى المركزي ضمن ثلاث هيئات ادارية : ديوان الانشاء والتوقيع، وديوان العسكر، وديوان الاشغال، وقد اولى الامير ابو حمو الثاني عناية خاصة بهذه الدواوين، وينصح ابنه وولي عهده في كتابه –الواسطة– بحسن اختيار اصحاب هذه الوظائف ومن امثلة هذا قوله :"...يابني واما صاحب اشغالك وضابط اعمالك فلتتخيره من وجوه بلدك الاخيار، وكفاة الحساب و النظار، ويكون ذا امانة وعفة وصيانة ..."، ويضيف في موضع آخر:"...وليكن ترتيب الجيش في العطاء على قدر شجاعتهم وسابقتهم في الخدمة واصطناعاتهم، و محبتهم والفتهم واجتهادهم وهؤلاء هم اهل

الطاعات ...، وهم القبيل والحماة و الانصار والاجناد ..." (ابن خلدون،2007،ص 153.62.61.60).

ومن بين الوظائف التي ذكرها ابو حمو الثاني في كتابه: -الفقيه صاحب المشورة-، فينصح ولي عهده باتخاذ فقيها موسوما بالصلاح ويخص به نفسه، ويستشيره فيما اشكل عليه من احكام الشرع، ويذكر -السفير- والذي يجب ان يتصف بالشجاعة و رجاحة العقل والصدق في القول وكاتما للاسرار مراقبا الله في ذلك كله... ، و-الطبيب الخاص- بالسلطان وقصره، ويوصي ولي عهده باختيار طبيب ماهر عاقلا اديبا فاضلا ثقة محبا الخير للامير ناصحا له، و-الجلساء- الملازمين لمجالس السلطان فيوصي ولي عهده بمجالسة العلماء والفقهاء والاشراف ذوي الاذهان الثاقبة الحاضرة ، اضافة الى -خدم القصر- واعوان السلطان في بلاطه (ابوحموالثاني،1279هـ،ص72).

ب-2-2/الادارة المحلية:

تنحصر اشكال الادارة المحلية في الدولة العبدوادية فيما يلي :

***العمالات او الكور** : قسّم ابو حمو الثاني العمالات والمناطق وعين على كل عمالة قائد يشرف على تسيير شؤونها، ومن بين هذه العمالات: عمالة بني راشد وعمالة منداس وونشريس وعمالة شلف وعمالة المدية وعمالة تدلس وعمالة وجدة...، وقد اعتبر هذا التقسيم الاداري للعمالات في وقته من ارقى صور التنظيم في الدولة العبوادية.

ثم يذكر باقي الوظائف وأولها -القائد-، وقد جاء في كتاب – الواسطة – بعض الاشارات التي تدل على المكانة التي حضي بها منصب القائد او العامل في عهد ابو حمو الثاني منها قوله :" يابني واما عمالك فلتتخير العارفين بجباية الخراج ...ويكونو ذوي حزم

وكفاية ودُربة ودراية وضبط وأمانة ... (ابوحموالثاني،1279هـ،ص61-62)، ثم يذكر- القاضي- ومهمته الفصل في القضايا، وكان القضاة يخضعون في نهاية الامر الى قاضي الجماعة و يصدرون عن امره (ابن خلدون،2007،ص186-198)، ثم يذكر -الخطيب- ومهمته الصلاة بالمسلمين وتوعيتهم بأمور دينهم، وقد اتخذ ابو حمو الثاني خطباء مساجد وأجرى لهم جرايات ورواتب ويبقى موظفا رسميا من خدام الدولة العبدوادية، ثم يذكر- صاحب البريد- والذي كان موكلا بخدمات عديدة منها : ايصال المراسلات والأمانات الى حيث تُوجه، والتجسس لصالح السلطان عبر المناطق التي يعبرها صاحب البريد (قاضي،2011،ص37).

ثالثا: المقارنة بين النظرية و التطبيق: (المناقشة)

سنتحدث في هذا الفصل حول مناقشة نظرية ابو حمو الثاني ومدى مطابقتها للنظام السياسي العملي للحكم في عهده، وقبل ذلك نود ان ننوه ببعض المقالات التي كتبت حول هذا الامير ونظريته السياسية في الحكم: كمقال "**مكانة النظرية السياسية عند أبو حمو موسى الثاني**" لسمير المزرعي، ومقال "**النظرية السياسية لابي حمو موسى الثاني ومكانتها بين النظريات السياسية المعاصرة لها**" لوداد القاضي، ولكن جميع هذه المقالات جاءت حول المقارنة بين نظرية ابو حمو الثاني السياسية وبين غيرها من النظريات السياسية الإسلامية الاخرى، فجاء هذا الفصل او المقال كمحاولة منا اكتمال صرح هذا البناء العلمي ومزيد فهم لنظرية هذا الأمير من مختلف الجوانب الفكرية والسياسية لديه.

فبادئ ذي بدء نقول، لقد اختلف المؤرخون حول السنة التي ألف فيها هذا الامير كتابه - واسطة السلوك-، فمن قائل انه الفه سنة 760هـ (حاجيات،2011،ص187)وآخرون يذهبون الى القول بتاليفه سنة 765هـ (المزرعي،2014،ص53) ، وهذا القول الاخير هو

الذي يرجحه عبد الحميد حاجيات صاحب كتاب – ابوحمو موسى الثاني حياته وآثاره–، فإذا سلمنا بهذا القول الاخير نرى ان ابو حمو الثاني الف الكتاب وهو في بداية مشواره السياسي في تسيير جهاز الحكم الزياني، وهذا ينم عن امرين هامين:

– جعل نظريته السياسية بمثابة احكام وقواعد سياسية صالحة لاصلاح ما فسد من نظام حكم بني عبد الواد الزيانيين.

– ان يكون هذا الدستور اشبه ما يكون بدستور سياسي اسلامي موحّد ينصح به من يلون الامر من بعده في اقتفاء اثره والعمل بتعاليمه وقواعده قصد النهوض بالمستوى الحضاري للمغرب الاسالامي عامة والدولة الزيانية خاصة.

وعودا على بدء فمن خلال قراءة نظرية ابو حمو الثاني السياسية ومقارنتها بنظام حكمه، نرى ان ابو حمو قد وُفّق الى حد كبير في تطبيق معظم القواعد والاحكام والوصايا التي ضمّنها كتابه–واسطة السلوك– والتي منها سياسته في جمع المال، فقد أعطى لها حقها في فكره السياسي وفي عمله السياسي التطبيقي، وهي انه كان يهدف من خلال فكرته الى جمع المال وصنع الرجال وليس جمع المال وتضييع الرجال وهذا ما نلمسه في غالب اوصاف رجال حكمه (قاضي،2011،ص31)، ومن الجوانب التي تُذكر لأبي حمو ونراها قدُ وفق فيها الى حد بعيد وطبق فيها افكاره السياسية ما امتاز به واتصف به من الرفق برعيته واكرامهم والعطف عليهم في الازمات، كما في حادثة المجاعة، وكان يقيم العدل فيهم فيعقد لمظالمهم المجالس، ويستوي عنده الشريف والوضيع والقوي والضعيف فينصف المظلوم ويجير المستجير ويهدي العائل ويرحم المسكين، كما ان ابا حمو خدم الرعية في مجملها عندما قام ببعض النشاط العمراني لأجلها كتشييده لدار الصناعة السعيدة – ذات الفائدة الحربية –، وهي دار

جمع فيها الصناع على اختلاف صناعاتهم فكان العمل فيها على قدم وساق وتعرض منتجاتها مرتين في اليوم امام الخليفة. (ابن خلدون،2010،ص186).

اما بالنسبة للجوانب التي اخفق في تطبيق ما نظر له في نظريته السياسية الشرعية في الحكم، مسألة اختياره لقب الخليفة، فتذكر المصادر والمراجع التي ارّخت للفترة الزيانية ان الامير ابو حمو موسى الثاني هو الوحيد من بين الأمراء الزيانيين من تلقب بهذا اللقب، ولعل السبب في ذلك مارآه من الضعف السياسي التي كانت عليه دولته قبل مجيئه للحكم، فاراد الرفع من شأنها واضفاء ستار العظمة على سلطانها وامرائها، ولكن الامر الذي يُعاب عليه ان جعل لقب الخليفة معناه خليفة الله في ارضه، فقد رفض ابو بكر الصديق –رضي الله عنه– لقب (خليفة الله) ونهى المسلمين عنه، حين قال :" لست خليفة الله ولكني خليفة رسول الله" لما لهذا اللقب من امانة عظيمة يجدر بمن تلقب بها ان يكون معصوما من الخطأ والزلل وهذه (العصمة) ليست في اخلاق البشر ولا في مقدورهم (قاضي 2011،ص28–29)، ومن بين الامور التي تُأخذ على هذا الامير ايضا، انه لم يوفق الى حد كبير في اختيار رجال دولته من الوزراء و العمال والقواد والسفراء والكتاب على الاوصاف التي اشترطها في كتابه السالف الذكر، فلإن كان قد احسن اختيار عبد الله بن مسلم لوزارته لما ظهر من اخلاص هذا الوزير له وشجاعته في الدفاع عن بلده حتى الموت فلقد اساء اختيار ابي عمران موسى بن علي بن برغوث في المنصب نفسه لان هذا الاخير لم يبقى على ولائه له اثناء الحصار المريني الثالث، يقول يحي ابن خلدون :"...لاشعاره اياه لباس الوزارة ولم يعمل بمقتضاها"، ومن المآخذ ايضا ان جميع وزراء ابي حمو –كما يبدو في عهده–كانوا لا يجيدون من المهن سوى مهنة الحرب والقتال، الامر الذي جعلهم قادة للجيوش اكثر من اي شيء آخر، ربما كانت ظاهرة الفتن والحروب السائدة في عهد هذ الاخير هي العامل الذي اوحى

اليه بتقديم خصال القوة والشجاعة اكثر من غيرها من الاوصاف التي ذكرها في نظريته السياسية (قاضي،2011،ص28-29).

اما بالنسبة للعمال، اذا كان عاملا ابي حمو وولديه المنتصر وابو زيان قد ظلا على طاعة ولدهما فان ابنه وعامله ابا تاشفين تآمرا على كاتبه ابي زكرياء بن خلدون وقتلوه، ثم استعان ابنه بالمرينيين وقتل اباه ابو حمو، رغم انه كان احب اولاده اليه، وقد اعطاه ولاية العهد واطلق يده سنة 776هـ على السيف والقلم والخراج والحكم في دولته فكان ابو حمو من فتح له باب الطمع في الملك، وكان الاولى به ان لايصرح بالعهد الى احد من اولاده، وكذلك عصى سالم بن ابراهيم عامل ابي حمو على الجزائر وكاد يخرج عن طاعته، كذلك لم يكن توفيق ابي حمو مع القواد احسن بكثير، فنحن نعلم ان احدهم وهو عثمان بن مسلم الزردالي ابطن النفاق ضد ابي حمو وتسلم القيادة احد جيوشه ثم انحاز الى عدوه، وهناك اثنين اخرين وهما: (وادفل بن عبو بن حمادي، وسعيد بن تصاليت) الذين خاناه وتركاه الى عدوه فاضطر ابو حمو الى قتلهما، وكذلك بالنسبة لسفراءه فتذكر بعض المصادر التاريخية ان البعض منهم لم يؤدي مهمته على الوجه الحسن وعلى ما كان يتمناه الامير ابو حمو الثاني منهم –محمد بن عمر البريطل– سفيره الى ملك المغرب الذي انحاز الى العدو فاضطر ابو حمو الى قتله، كذلك لم يكن توفيق ابي حمو مع الكتاب موفقا كثيرا، وخير دليل ما جرى له مع ابرز كتابه وهو – يحي بن خلدون– فانه انظم الى دولته معززا مكرما سنة765هـ، ولكن عندما استولى المرينيون على بلاده سنة772هـ وهرب ابو حمو الى البادية، لم يتمسك به ولم يعينه في محنته وانما فارقه :"لخيالات سوداوية و نزعات شيطانية"، وعندما استقامت احوال ابي حمو وعاد الى سلطانه رجع يحي بن خلدون اليه سنة775هـ، وعبر عن ندمه على ما فعله في السابق معترفا بالذنب متبرئا من الاصرار مستقيلا العثار، فغفر له ابو حمو زلته وعفا عنه واعاده الى خطته وسابق جرايته (قاضي،2011،ص29-30).

هذه بعض النمادج التي استخلصناها واوجه المقارنة التي عقدناها بين النظرية والتطبيق عند هذا الامير الزياني ابو حمو الثاني، ولعل من ابرز العوامل التي حالت دون تحقيق وتطبيق هذا الامير جميع القواعد السياسية التي ضمنها كتابه –واسطة السلوك– عند مباشرته مهام الحكم ما يلي:

1- اولا الموقع الجغرافي للدولة الزيانية في الوسط بين القوتين الكبيرتين المرينية في المغرب الاقصى و الحفصية في المغرب الادنى وطمع كلا هاتين القوتين في ضم هذه الدولة، مانتج عنه نشوب العديد من الصراعات والمعارك والتي اشغلت الامير ابو حمو طيلة فترة حكمه بردّ العدوان، وألهته كثيرا عن تنظيم جهاز حكمه على ما كان يصبو اليه في كتابه –واسطة السلوك–.

2- الفتن و القلاقل التي عصفت بالدولة الزيانية من الداخل في عهد هذا الامير ابو حمو الثاني كحركة ابي زيان ابي عثمان ضد ابي حمو، وعدم التوازن في ولاء القبائل العربية لابي حمو الى خيانة ابنه ابا تاشفين له....، تضافرت هذه العوامل وغيرها لتجعل من سني ابي حمو في الحكم حوالي 31سنة يقضيها في صراعات سياسية وعسكرية متواصلة.

خاتمة:

هذا ما تم جمعه وتهيأ اعداده واعان الله على قوله حول هذا الامير وكتابه –الواسطة–، الذي يعد بحق المرآة الصادقة التي تعكس مدى الرقي الفكري والتطور الحضاري الذي بلغته حاضرة الدولة الزيانية في عهده، فلقد قام هذا الأمير بمحاولة جادة في التقعيد لنظام سياسي مثالي على غرار غيره من مفكري الاسلام في المشرق والمغرب الاسلامي، وامتاز على غيره

محاولته تطبيق هذه النظرية تطبيقا عمليا على نظام حكمه، وجعله كنموذج لنظام سياسي إسلامي عملي يسير عليه الأمراء الزيانيين من بعده.

وفي الاخير رجائنا كبير ان تكون هذه المساهمة العلمية المتواضعة فاتحة باب البحث لدى الباحثين و الدارسين في التنقيب اكثر عن التراث الحضاري والفكري الذي بلغته الدولة الزيانية في العصر الوسيط بصفة عامة، وتاريخ المفكرين والسياسيين والادباء امثال المفكر السلطان ابو حمو موسى الثاني بصفة خاصة.

قائمة المصادر و المراجع:

-(*)الدولة الزيانية: تأسست سنة 633هـ على يد يغمراسن بن زيان من قبيلة بني عبد الواد بالمغرب الاوسط،ومن ابرز حكامها ابوجمو الاول وابوتاشفين الاول وابو حمو الثاني،شهدت تطورا حضاريا وفكريا راقيا ودخلت في صراعات عسكرية عديدة مع جارتيها الحفصية و المرينية ، الى ان سقطت سنة962هـ وورثتها الدولة العثمانية.

-حاجيات، عبد الحميد.(2011). **ابوحمو موسى الثاني حياته و اثاره**.المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية للنشر والتوزيع.الجزائر

-ابن خلدون، عبد الرحمان.(2000). **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و البربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الاكبر**.مر:خليل شحادة وسهيل زكار.ج7.دار الفكر للنشر والتوزيع.بيروت.لبنان.

-تلمسان: مدينتان متجاورتان مسورتان بالمغرب ، احداهما قديمة و الأخرى حديثة،الحديثة اختطها الملثمون ملوك المغرب، فيها يسكن الجند واصحاب السلطان واصناف الناس، واسم القديمة اقادير، فهما كالفسطاط والقاهرة من ارض مصر، ينظر: الحموي، ياقوت.**معجم البلدان**. ج2 .دار صادر للنشر و التوزيع.بيروت.لبنان.

-سجلماسة: مدينة في جنوبي المغرب في طرف بلاد السودان، بينها و بين فاس عشرة ايام .

-ابن خلدون، أبي زكرياء يحي.(2007).**بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**،تق وتع وتح:بوزيان الدراجي.ج2. دار الامل للدراسات و النشر و التوزيع.الجزائر.

-الاندلس: هي جزيرة ذات ثلاث اركان مثل شكل المثلث قد احاط بها البحر من جميع جهاتها الا من الشمال، وهي تواجه ارض المغرب ويفصل بينهما جبل يدعى جبل طارق...

-يرى صاحب كتاب -روضة النسرين- انه ولد سنة 722هـ\1322م، بينما يرى صاحب -بغية الرواد-انه ولد سنة 723هـ اتفاقا مع ابن الخطيب في -الاحاطة- .

-ابن الاحمر، ابي الوليد اسماعيل.(1962). **روضة النسرين في دولة بنو مرين**، منشورات القصر الملكي .المغرب.الرباط.

-ابن الخطيب.(1275).**الاحاطة في اخبار غرناطة**،تح:محمد عبد الله عنان. ط1.ج3. مكتبة الخانجي للنشر و التوزيع. القاهرة. مصر .

-ابو تاشفين الاول: هو السلطان ابو تاشفين عبد الرحمان الاول ابن السلطان ابي حمو موسى الاول، ولد سنة 692هـ/1293م، وبويع صبيحة الغد من يوم اغتيال والده سنة 718هـ/1318م، وقد عرف هذا السلطان بميله الشديد بالعمران، حيث اشاد الدور و

القصور وسك النقود . وللمزيد ينظر: محمد، مكيوي.(2000-2001 م). "**الاوضاع السياسية والثقافية للدولة العبدوادية منذ قيامها حتى نهاية عهد ابي تاشفين الاول633-737هـ\1236-1337م**"،رسالة ماجستير في الثقافة الشعبية، اشراف:عبد الحميد حاجيات،قسم الثقافة الشعبية،كلية الاداب والعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، جامعة ابي بكر بلقايد، تلمسان..

-فاس: مدينة مشهورة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر، وهي حاضرة البحر ومن اجل مدنه قبل ان تختط مراكش .

-ابو حمو، موسى الثاني.(1279هـ).**كتاب واسطة السلوك في سياسة الملوك**. مطبعة الدولة التونسية.تونس.

-ابن حمادة،سعيد.(2011)."**الفكر الاصلاحي في تلمسان في القرن 8هـ/14م من خلال واسطة السلوك لابي حمو الزياني**"،مجلةعصور الجديدة(منشورات مختبر البحث الجزائري.وهران.الجزائر) :(2): 306-311.

وعن الامير ابوحمو موسى الثاني يقول ابن خلدون:"ودخل السلطان ابو حمو تلمسان لثمان خلون من ربيع الاول سنة 760هـ،واحتل منها بقصر ملكه، واقتعد اريكته، وبويع بيعة الخلافة...".

-(*)يعرفها ابن خلدون بقوله:" الوزارة هي ام الخطط السلطانية و الرتب الملوكية لان اسمها يدل على مطلق الاعانة فهي مأخوذة من المؤازرة وهي المعاونة او من الوزر وهو الثقل كانه يحمل مع مفاعله اوزاره و اثقاله..." ينظر:ابن خلدون عبد الرحمان. ابن خلدون، عبد

الرحمان.(2010). **مقدمة بن خلدون**. ط1. دار بن الجوزي للنشر والتوزيع. القاهرة. مصر.

-(*)الحاجب: هو من يحجب السلطان عن العامة ويغلق بابه دونهم او يفتحه لهم على قدره في مواقيته.

-ابن خلدون، عبد الرحمان.(2004) **رحلة ابن خلدون**.تح:محمد بن تاويت الطنجي.دار الكتب العلمية. بيروت. لبنان.

-قاضي، وداد.(2011)."**النظرية السياسية لابي حمو موسى الثاني ومكانتها بين النظريات السياسية المعاصرة لها**".مجلة الاصالة(منشورات وزارة الشؤون الدينة والاوقاف.تلمسان): 12(27):37.

-المزرعي، سمير.(2014)."**مكانة النظرية السياسية عند ابو حمو موسى الثاني**".دورية كان التاريخية:24: 53.